بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السّودان المفتوحة

برنامج التربية

تفسير القرءان الكريم

رمز المقرر ورقمه: سلم 104

إعداد المادة العلمية: د. الحبر يوسف نور الدائم

التصميم التعليمي: أ. أحمد هاشم خليفة

التدقيق اللغوي: أ. السيد عوض الكريم الدوش

التصميم الفني: نادر محمد علي الأمين

منشورات جامعة السّودان المفتوحة، الطبعة الأولى 2005م.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة السّودان المفتوحة، لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، وبأي وجه من الوجوه، إلا بعد الموافقة المكتوبة من الجامعة.

مقدمة المقرر

عزيزي الدارس، مرحباً بك،،،

نرحب بك كل الترحيب في رحاب الله الكريم، ومع كتابه الفيَّاض بكل خير وبركة، وها أنت مقبلٌ على هذا العلم القيِّم (علم التفسير)، علم يستمد قيمته من الفرقان المجيد، حبل الله المتين، والهادي إلى الصراط المستقيم، ولك أن تتأمل وتستغرق وتتساءل:

أي قيمةٍ هذه؟ وأي نعمة هذه يسرها لي الله – بلا حول ولا قوة مني؟!

عزيزي الدارس،،

هذا المقرر في التفسير، مؤلفٌ شافٍ في بابه، عظيم الثراء في موضوعه، وضعه عالم جليل، علمٌ بلا مراء والعلمُ لا يعوزه تعريف.

يضم هذا المقرر في جنباته ثلاثة موضوعات رئيسة، ستُفصّل إلى وحدات أصغر تعينك على الدراسة والاستعياب، والموضوعات على التتالي:

- الأول: مقدمة موجزة في معاني القرآن والتفسير والتأويل.
- الثاني: مصادر التفسير وتاريخه.
- الثالث: نماذج من كبار المفسرين.

والمقرر مزود بالمصادر والمراجع لمن أراد الاستزادة والتوسع.

نضرع إلى الله العلي القدير، أن ينفعك به خاصةً، وكل من يتصفحه عامةً.

ودونك – عزيزي الدارس – أهداف المقرر، تمعن فيها جيداً وبحضور كامل لتقودك إلى بلوغ المرام.

الأهداف العامة للمقرر



- ✓ **تَشرح** معاني القرآن، والتفسير، والتأويل لغةً واصطلاحاً.
- ✓ **تُفصِّل** مصادر تفسير القرآن الكريم.
- ✓ **تَسرد** تاريخ هذا العلم **مع بيان** الدلالات المستفادة من آثار كل عصر.
- ✓ **تُعرِّف** نماذج من أعلام المفسرين مع الإلمام بمناهجهم في التفسير والتأويل.

يتضمن هذا المقرر الوحدات الآتية:

الوحدة الأولى: مقدمة في معاني القرآن، التفسير، التأويل.

الوحدة الثانية: مصادر التفسير.

الوحدة الثالثة: تاريخ التفسير.

الوحدة الرابعة: من رجال التفسير.

الوحدة الخامسة: نموذج من التفسير.

وكل وحدة تشتمل على مقدمة وتدريبات وأسئلة تقويم ذاتي، ومزودة بقائمة من المراجع والمصادر، وتجد فهرسة المحتويات في بداية كل وحدة، وهي مرقمّة بطريقة خاصة، لتسهل لك الكشف مباشرة عن الفقرات والموضوعات التي تريدها. والمقرر في كل وحداته يمضي على نسق واحد حتى تحيط بطريقته وتلم بنهجه، وتحسن الإمساك بزمامه، فتحدث الفائدة المرجوة.

محتويات المقرر

م	الوحدة	الصفحة
1	مقدمة في معاني القرآن والتفسير والتأويل	1
2	مصادر التفسير	31
3	تاريخ التفسير	93
4	من رجال التفسير	181
5	نموذج من التفسير	231


الوحدة الأولى
مقدمة في معاني
القرآن – التفسير – التأويل

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**3**
تمهيد	3
أهداف الوحدة	3
1. القرآن	**4**
1.1 أصل الكلمة	4
2.1 القرآن في الاصطلاح	7
2. التفسير	**8**
1.2 التفسير في اللغة	8
2.2 التفسير اصطلاحاً	12
3. التأويل	**13**
1.3 التأويل في اللغة	14
2.3 التفسير والتأويل	16
الخلاصة	**25**
لمحة مسبقة عن الوحدة الثانية	**26**
إجابات التدريبات	**26**
مسرد المصطلحات	**28**
المصادر والمراجع	**29**

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس،

مرحباً بك إلى هذه الوحدة!

تتألف هذه الوحدة من أربعة أقسام رئيسة، تكشف لك عن معاني القرآن، والتفسير، والتأويل في اللغة والاصطلاح، ثم ما يميِّز التفسير عن التأويل.

وهذا تمهيد ضروري للتقدم في علم التفسير، وتأسيس ما بعده من مباحث وموضوعات، واشتملت الوحدة على سرد المعاني المختلفة وتوضيحها، وضرب الأمثلة، والشواهد الشعرية بما يمكِّنك من استخلاص وفهم المراد وإدراك المعاني القريبة والبعيدة.

وانطلاقاً من الحرص على تمكينك من مهارات ونهج التعلُّم الذاتي بسطنا لك التدريبات، والمناشط، وكل منها تعالج أغراضاً خاصة، تعينك على الفهم بطرائق شتى، ومما تتيحه لك الوحدة قائمة المراجع ومسرد المصطلحات وإجابات للتدريبات لتكون الفائدة متكاملة ومغنية بما يطمئن لها قلبك.

أهلاً بك مرة أخرى – عزيزي الدارس!

سَائِلاً الله تعالى أن تستفيد من دراسة الوحدة كل الفائدة.

أهداف الوحدة

عزيزي الدارس،

بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1. **تُعرِّف** القرآن لغةً واصطلاحاً.
2. **تُعرِّف** التفسير والتأويل لغةً واصطلاحاً.
3. **تفرَّق** بين التفسير والتأويل.
4. **تُعبِّر** عن الفائدة التي استفدتها من هذه الوحدة.

توطئة

ما أصل كلمة "القرءان"؟

- كيف بالهمز سابقاً لحرف المد هكذا "القرءان"، أم بالمد فقط "القرآن" دون الهمز؟
- هل عرَفَ العرب هذه الكلمة من قبل؟
- أيوجد كتابٌ حمل هذا الاسم قبل "القرءان"؟

عزيزي الدارس، سنناقش معاً الأسئلة المتقدمة في الفقرات الآتية:

1. القرآن

تكتب هذه الكلمة **القرآن** على صورتين:

- القرءان
- القرآن

- الصورة الأولى: "القرءان" تكتب هكذا – **ولا سيما في المصاحف المجّودة** – في إشارة إلى أن **المدَّ** هاهنا **مدّ البدل** الذي يأتي فيه سبب المدّ – وهو **الهمز** هاهنا – **سابقاً لحرف المدّ** وهو **الألف**.

- وكثيراً ما تكتب بالمد فقط دون الهمز هكذا ←القرآن.

1.1 أصل الكلمة

ولقد اختلف العلماء أيضاً في كلمة "القرآن":

أجامدة هي أم مشتقة؟ وإن كانت مشتقة فمن أيّ شيء هي مشتقة ؟

- أما **الأمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي** – أحد الأئمة الأربعة الأعلام – فقد أنكر الهمز فيها وقال:

(إنما هي "قرآن" ← لفظ جامد غير مشتق وضعه الله – عز وجلّ– علماً لكتابه الذي نزله على عبده **محمد** – صلى الله عليه وسلم – فكما سمي الكتاب الذي أنزله على **موسى** (توراة) والذي نزله على **عيسى** (إنجيلاً) وعلى داوود (زبوراً) فكذلكم هنا سمي الكتاب الذي نزل على محمد (قرآنا).

ويقول **أ. د الحبر يوسف نور الدائم:**

(وكنت أحسب إلى عهد قريب أن الشافعي رحمه الله هو أول من قال بهذا وأنه ابن عذرة هذا القول، حتّى وجدت **ابن منظور صاحب اللسان** يشير إلى أنَّ بعضهم كان سابقاً له ومن ذلك قوله:

(وقال **أبو بكر بن مجاهد المقرئ:** كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز القرآن، وكان يقرؤه كما قرأه على ابن كثير**)** •

- وحكي عن ابن الأثير قوله: (تكرّر في الحديث ذكر القراءة، والاقتراء، والقارئ، والقرآن والأصل في هذه اللفظة (الجمع) وكل شيء جمعته فقد قرأته).

وسمّي **القرآن لأنه جمع** القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر **كالغفران والكفران.**

- القرآن مصدر بمنزلة القراءة:

وبهذا شرح الشراح بيت حسان بن ثابت في رثاء سيدنا عثمان بن عفان:

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

* أشمط: من اختلط سواد شعره بالبياض دلالة على التقدم في السن.

ومن ذلك قول الشاعر:

تعشّقتها شمطاء شاب وليدها وللناس فيما يعشقون مذاهب

ومن المعروف أن سيدنا عثمان – رضي الله عنه قد تجاوز التسعين عاماً.

وقول حسان بن ثابت **تسبيحاً** أي قراءة تقول: قرأ الكتاب قراءةً وقرآناً، فكلمة (قرآن) مصدر بمنزلة القراءة.

~ ولعلّ هذا من مواضع الإجماع بين اللغويين حتّى قال ابن فارس:

(القاف والرَّاء والحرف المعتلّ أصل صحيح يدل على جمع واجتماع من ذلك القرية، سمّيت قرية لاجتماع النّاس فيها **)**•.

• ابن منظور / لسان العرب / مادة قراج219/5.

• مقاييس اللغة / كتاب القاف / ج78/5.

~ ولعلّ من ذهب إلى أنّ (القرآن) اسم علم غير مهموز، ذهب إلى أصل قريب من ذلكم الأصل الذي يدلُّ على الجمع والاجتماع وهو:-

(قَرَن) ←——— فالقاف والراء والنون كما ينص ابن فارس أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على جمع شيء إلى شيء.

~ والقِران: الحبل يُقرن به شيئان والقَرَن الحبل أيضاً (وهذا المعنى الثاني)، قال جرير:

بلَغ خليفتنا إن كنت لاقيه أنّى لدى الباب كالمشدود في قرن

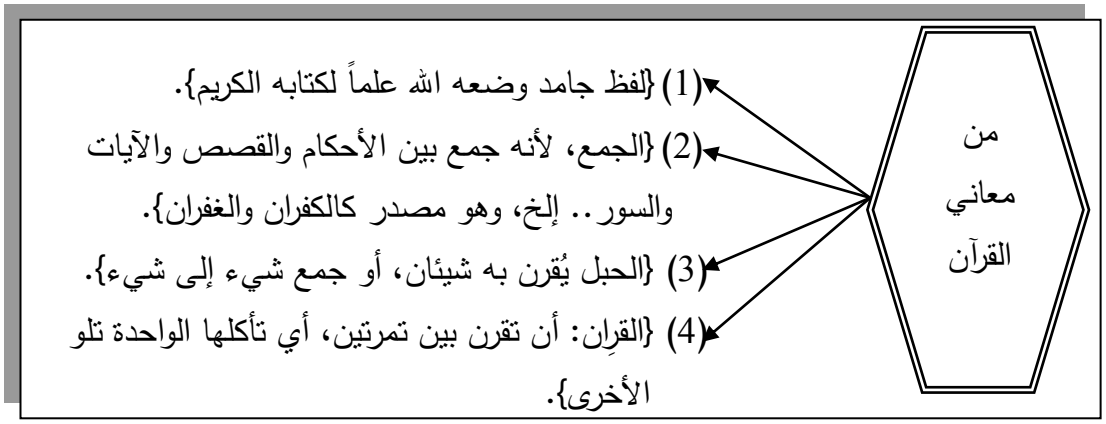
تدريب (1)



ماذا تستشف من قول الشافعي وابن منظور:-

إن "القرآن"، لفظ جامد غير مشتق وضعه الله – عز وجل – علماً لكتابه الذي أنزله على عبده – محمد صلى الله عليه وسلم؟

- والقِران أن تقرن بين تمرتين تأكلهما • قلتُ:- **(وقولهم نهى رسول الله** – صلى الله عليه وسلم – عن **القِران** من هذا الباب لئلا يظلم أحد الآكلين صاحبه **!)**



*** ملاحظة:**

* **المعاني 2، 3، 4** تتقارب كثيراً وتؤول إلى معنى آخر.

• بن فارس / مقاييس اللغة / كتاب القاف / ج76/5

* وأشار المؤلف أيضاً إلى من ذهب إلى أنه علم مهموز قريب من ذلكم الأصل الذي يدل على ———————— **الجمع والاجتماع.**

2.1 القرآن في الاصطلاح

عزيزي الدارس،

بعد أن عرفت وجوه القول في معنى القرآن اللغوي، ننتقل إلى تعريفه في الاصطلاح.

الاصطلاح: هو ما اصطلح عليه علماء علم أو فن ما، أي ما اتفقوا عليه من تعريف يميز الحقائق والمعارف بتعاريف جامعة مانعة، تجمع خصائص المصطلح وتمنع أدنى تداخل من علم آخر مهما كان التشابه بينهما.

1. أما في اصطلاح المحدثين (أهل الحديث):

عرّفه بعض المحدثين بقوله:- (القرآن كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف)•

2. في اصطلاح الأصوليين (أهل الأصول من علماء الكلام وأصول الفقه..... إلخ)

(القرآن كلام الله المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة **جبريل عليه السلام** المتعبد بتلاوته المفتتح بفاتحة الكتاب المختتم بالناس).

ملاحظة: مصطلح (أصول) يدل دائماً على أهل الاستقصاء والبحث ممن يعمدون إلى وضع أصول وقواعد وأسس لعلم ما أو يعودون بالفروع على القواعد الكلية حتى تكون هذه المبادئ بمثابة المرجعية لكل من يريد أن يجتهد فينزِّل ما بدا له على هذه القواعد، وعمدتهم في ذلك النقل والعقل).

أسئلة تقويم ذاتي

1. عرَّف (القرآن) لغةً واصطلاحاً؟
2. عدَّد الأقوال التي ذكرت في معاني القرآن، واشرحها بإيجاز.
3. هل يوجد معنى مشترك يتخلل هذه المعاني المتعددة للقرآن؟ إذا كانت الإجابة "بنعم" حدده، واشرح ذلك بإيجاز؟
4. قارن بين تعريف القرآن لدى أهل الحديث وأهل الأصول؟

2. التفسير

عزيزي الدارس،

- هل تعلم أن كلمة **(تفسير)** وردت في القرآن الكريم في موضع واحد من سورة الفرقان.

▲ وهو قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ﴾ (الفرقان: 32 – 33)

أمّا التأويل فهو كثير الدوران في القرآن الكريم كما سنبين ذلك لاحقاً إن شاء الله تعالى.

1.2 التفسير في اللغة

التفسير: الكشف والبيان، وقيل فسر مقلوب سفر، كما الحبر مقلوب البحر **بتقديم وتأخير**.

~ تقول أسفر الصبح إذا انكشف فأضاء ومنه قوله تعالى ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ ﴾ (المدثر: 34)

~ ورجل مسفر الوجه إذا كان مشرقاً وضئياً قال تعالى ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ﴾

(عبس: 38)

~ والسَّفر منه لأنّه يكشف عن معادن الرجال وأخلاقهم ومن هنا قال عمر لمن جيء به ليشهد (أجرّبته في سفر).

ومنه قول الآخر:

ربّ ابن عمّ لسليمى مُشْمعلْ طبّاخ ساعات الكرى زاد الكِسلْ

أروعَ في السَّفْر وفى الحي غَزِلْ

- **المشمعل:** النشيط، المشمر، العازم على أمره.

~ والشاعر يريد أن الفتى الخامل الذي يتفنن في النوم والكسل كما يبرع الطباخ في تنويع وطهي طبخه، قد يكشف السفر عن معدنه وقوة عزمه ونشاطه الجم المخبوء في ثوب الدعة والاسترخاء.

فهذا هو مدلول كلمة التفسير ⟵ الكشف والبيان والتوضيح.

~ قال ابن فارس ("**فسر**" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفَسْر، يقال فسرتُ الشيء، وفَسّرته، والفسر والتفسرة نظر الطبيب إلى الماّءوحكمه فيه) • . يعنى البول وهذا – كما ترى – ضرب من ضروب التشخيص للدّاء وما يعرف اليوم بالتحليل.

~ أمّا أبو الفضل جمال الدين بن منظور المصريّ فقد وقف وقفه طويلة متأنيّة عند كلمتي "**التفسير**" و "**التأويل**"، وسنرجى الحديث عن التأويل، ونكتفي هنا بالإشارة إلى شرحه لكلمة " التفسير " واشتقاقها، وذلك إذ يقول:–

(فسر الفسر البيان. فسر الشيء يفسِره بالكسر، ويفسُره بالضمّ فسراً وفسَّره أبانه، والتفسير مثله .. وقوله عزّ وجلّ : (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)، الفسر : كشف المغطّى، والتفسير كشف المراد من اللفظ المشكل)• .

•مقاييس اللغة (باب الفاء والسين وما يثلثها) ج504/4

•لسان العرب / المجلد الخامس (حرف الفآء)

~ أمَّا المعجم الوسيط فقد جاء فيه:- (فسر الشيء فسراً وضّحه والطبيب نظر إلى بول المريض ليستدل به على مرضه. فسّر الشيء وضحه. وفسر آيات القرآن الكريم : شرحها ووضّح ما تنطوي عليه من معانٍ وأسرار وأحكام).

التفسير: الشرح والبيان، وتفسير القرآن من العلوم الإسلامية يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم وأحكام) •

وهذا – كما ترى – تفصيل جيد في لغة معاصرة سهلة وافية بالغرض .

~ وكلمة (فسر) وما يتفرّع منها وما يتصل بها من ألفاظ ومعان من الكلمات المألوفة المعروفة من زمان بعيد فقولهم مثلاً:-

" نعم تَرْجمان القرآن ابن عباس " يعنى نعم المفسَّر هو **فالترجمة** هنا بمعنى **التفسير** ومنه قول عوف بن محلم الشيباني:

إن الثمانين – وبُلِّغْتها – قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

فاحتاج إلى واسطة تُبلِّغه وتفسر له ما يقول النّاس.

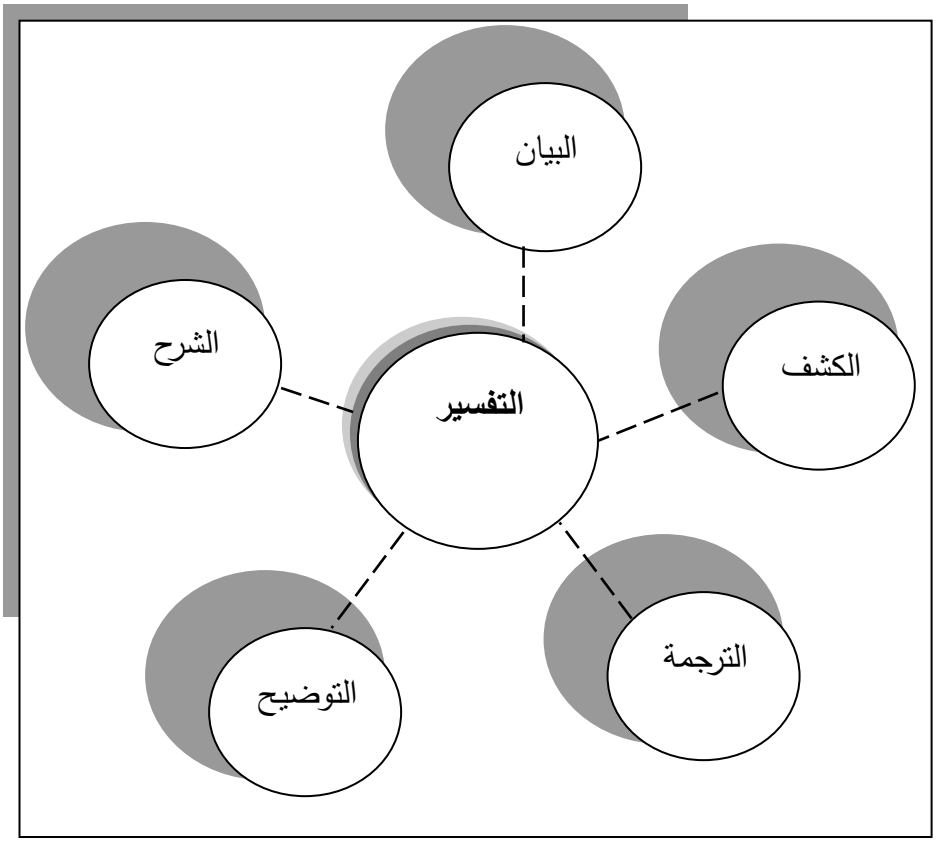
وكذلك قول أبى الطيب المتنبي:

ملاعب جنّة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

وسليمان مع معرفته للجن وتسخيرالله لهم له يحتاج إلى واسطة تشرح وتفسر ما يشاهده من عجائب في شعب بَوان بزعم أبي الطيب فانظر أيّ بلاغة ومبالغة !

•المعجم الوسيط / احمد حسن الزيات وآخرون طبع دار المعارف جمهورية مصر العربية

شكل (2)



تدريب (2)

1. إلى أي مدى تحققت المعاني المختلفة لكلمة (**التفسير**) في علم تفسير القرآن؟
2. هل بإمكانك استخراج معنىً جامعاً لكلمة (**التفسير**) يجمع بين هذه المعاني المعروضة في الوحدة؟

والكلمة – بعد – كثيرة التداول في الكلام العربي قديمه وحديثه قال الزمخشري:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشّافي

~ وقال بروفسور / عبد الله الطيب رحمه الله:

وتفسَّر القرآن حتّى أصبحت آياته أُنس التي خلف الخبا

- الخبا: المخبأ ويعني بذلك صاحبته التي يأنس لها من وراء حجاب، فكأنما نفر من كل أُنس مهما كان عزيزاً إلى نفسه إلاّ أُنس القرآن، فقد ملك شغاف قلبه وتخلل منه النياط.

~ وقال بعض السودانيين – وللسودانيين اشتغال بالقرآن وعلومه – مفاخراً :

إذا سامر الناس الحسان سفاهةً فسميري القرآن والتفسير

2.2 التفسير اصطلاحاً

التفسير في الاصطلاح:

1. (علم يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه – محمد صلى الله عليه وسلم – وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه).
2. (علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية).

أسئلة تقويم ذاتي

1. عدّد المعاني اللغوية لكلمة التفسير مع الشرح الموجز لها؟
2. عرِّف التفسير اصطلاحاً؟
3. وردت كلمة التفسير في القرآن مرة واحدة، حدد موضعها، واشرحها من خلال معرفتك لمعاني التفسير؟
4. أي الأقوال التي تعرضت لمعنى (التفسير) أقرب إلى المعاصرة، ولماذا؟

3. التأويل

ذكرنا أن كلمة (تفسير) وردت في القرآن الكريم في موضع واحد من سورة **الفرقان** أمّا كلمة **(التأويل)** فهي أكثر ذيوعاً وشيوعاً في كتاب الله – عز وجل – فقد **ذكرت في أكثر من موضع كقوله تعالى:-**

▲ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (آل عمران: 7)

* واختلف أهل التفسير في الواو التي سبقت (الراسخون) هل **للعطف** أم **للاستئناف؟** وذلك حسب فهمهم للآية، فإن كان الله وحده المستأثر بعلم المتشابه فالواو للاستئناف، وإن كان الراسخون في العلم يعلمون أيضاً فالواو للعطف.

▲ وقوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ (يونس: 39)

▲ وقوله ﴿ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (يوسف: 44)

▲ وقوله ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الكهف: 82)

~ وهي كثيرة التداول في الكلام العربيّ ومنه قول الآخر في وقعة صفين:

نحن ضربناكم على تنزيله واليوم نضربكم على تأويله

وفى جامع أحكام القرآن للقرطبي:

إنّ الذبيح – هديت – إسماعيل نطق الكتاب بذاك والتنزيل

شرف به خصَّ الإله نبيّنا وأتى به التفسير والتأويل

~ وقد سمي **الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ** تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ولعلَّ بعض النُّصوص التي نقلناها آنفاً تفيدنا عندما يأتي أوان الحديث عن الصلة ما بين التفسير وبين التأويل وما بينهما من فروق وتباين واختلاف.

1.3 التأويل في اللغة

والتأويل أصله من (الأَوْل)، ومن أحسن ما تقف عليه من المعاجم اللغوية في هذا الشأن **لسان العرب** لابن منظور المصري فقد وقف عند كلمة **(التأويل)** وقفة لغوية حسنة جّداً بيّن فيها أصل الكلمة، واستدلَّ بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية واستشهد عليها بالشعر العربي القديم كشعر **الأعشى ميمون بن قيس**، ونقل فيها أقوال **العلماء كعائشة** رضي الله تعالى عنها، **وابن الأثير وأحسن في ذلك كله وأجاد.**

- قال ابن منظور:

(أوّل الكلام تأوّله: دبّره وقدّره. وأوّله وتأوّله فسّره وقوله عزّ وجلّ (ولمّا يأتهم تأويله). أي لم يكن معهم علم تأويله وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه. وقيل معناه لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة . ودليل هذا قوله تعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

وفى حديث ابن عباس:

(اللهمّ فقهه في الدين وعلمه التأويل)

قال ابن الأثير هو من آل الشيء يؤول إلى كذا أي رجع وصار إليه.

- والمراد **بالتأويل** نقل **ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إليه من دليل لولاه،** ما ترك ظاهر اللفظ.

ومنه حديث عائشة: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللهم وبحمدك "). يتأوّل القرآن مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ

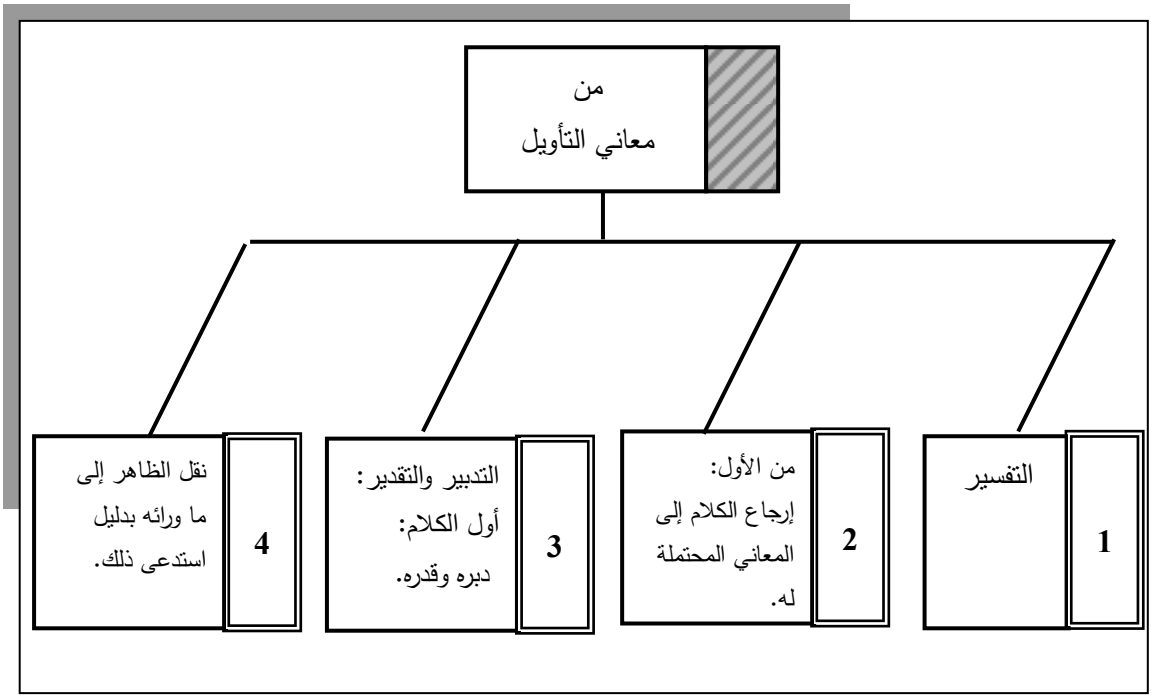
بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ أي إن إكثار الرسول صلى الله عليه وسلم من الاستغفار والحمد في ركوعه تأويل لما ورد في الآية الكريمة ومن ذلك أنشد الشاعر:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

وأنشد آخر: **على أنها كانت تأوّل حَبَّها تأوّل ربعيّ السَّقاب فأصحبا**

ومعناه: أن حُبَّ هذه المرأة بدأ في قلبه أول أمره ضعيفاً واهناً كالبهم الصغير ثم مازال يكبر في صدره وينمو حتى أصبح كهذا البهم الذي اشتد عوده فصحب الأمهات في المرعى. وبيت الشعر آنف الذكر هو من كلام الشاعر الجاهلي الأعشى صاحب اللامية المشهورة والتي يقول فيها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل



2.3 التفسير والتأويل

وهذا أوان نشرع في بيان ما بين كلمتَيْ **التفسير والتأويل** من اختلاف أو اتفاق وأقوال العلماء فيهما.

1. قال بعضهم إنما هما **كلمتان متفقتان في المعنى** وهذا ما يعرف في اللغة العربية بالترادف الذي ينكره بعض اللغويين.

~ فقد حكى صاحب **مقاييس اللغة**، قول ابن الأعرابي:

(التفسير والتأويل والمعنى واحد).

ولعلَّ شيخ المفسرين **أبا جعفر الطبريّ** كان يذهب هذا المذهب، ولهذا سمي تفسيره " جامع البيان في تأويل آي القرآن " فالتفسير والتأويل عنده ~~بمنزلةٍ~~ واحدة سواء.

* إلاّ أن **جمهور العلماء** لم يركنوا إلى هذا الذي ذهب إليه **ابن الأعرابي والطبريّ** وأَضرابهما، ولم يرضوا به ويطمئنوا إليه فشغلوا أنفسهم بتبيين ما بين اللفظين من فروق واجتهدوا في ذلك غاية الاجتهاد.

وأصبح الجهل بتلك الفروق وعدم القدرة على التمييز بين معاني تلكما الكلمتين **سُبّة** ومعّرة قد تدلّ على جهل فاضح ، وضحالة واضحة . وقد روى السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن أن ابن حبيب النيسابوري كان يقول:-

(قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين **التفسير** و**التأويل** ما اهتْدوا إليه!!)• وقد عقد فصلاً حسناً في معرفة تفسير القرآن وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه.

2. ومن أقوال العلماء في تلك الفروق : **قال الرّاغب الأصفهاني** – ومن النسَّاب من يقول الأصبهاني فيبدل الفاء باءً - صاحب مفردات غريب القرآن :

(التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله **في الألفاظ** ومفرداتها وأكثر استعمال **التأويل في المعاني والجمل**، وأكثر ما يستعمل في **الكتب الإلهية** أما التفسير فيستعمل **فيها وفى غيرها)**. ~

وتوضيحاً لقول الراغب الأصفهاني أضرب لك بعض الأمثلة:

➢ قوله تعالى: ﴿ تَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾

• السيوطي / الاتقان / ج2 /17.

* **الصلب:** الظهر ومنه قول امرئ القيس في المعلقة:

أقول له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل ... الخ

* **والترائب:** جمع مفرده تَريبٌ وتريبة وهو عظام الصدر ومنه قول المثقِّب العبدي:

ومن ذهبٍ يلوح على تريبٍ كلون العاج ليس بذي غضون

وقد ذكر امرؤ القيس **الترائب** فقال:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

* المهفهفة : الضامرة .
* والمفاضة: الواسعة .
* والسجنجل: المرآة.

▪ هذا كلُّه تفسير للقول الكريم أما إذا أخذت **الكلام جملة** وذهبت تبيَّن **طريقة الخلق** و**التكوين التي يشير** إليها القرآن الكريم، وقد **تُعرِّج** على ما في ذلك من **إعجاز علمي** لم يكتشفه الناس إلاّ حديثاً فهذا هو ~~التأويل~~ الذي يشير إليه الراغب الأصفهاني.

ولك أن تقول **حسب رأيه أوّلت القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وفسّرت ما فيها**، ولك أن تقول **فسّرت** شعر نابغة بنى ذبيان ولكنّك لا تقول **أولته** وهذا معنى قوله التفسير أعمّ من التأويل.

أسئلة تقويم ذاتي

1. عدِّد معاني التأويل التي عرفتها؟
2. ما معنى قولهم (التفسير أعم، والتأويل أخص)؟
3. ماذا يوحي لك رأي الطبري في أنه لا فرق بين التفسير والتأويل؟
4. (أكثر استعمال التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني والجمل) اشرح هذه العبارة.
5. هات مثالاً للتفسير، وآخر للتأويل موضحاً الفرق بين المثالين؟

3. وقال غيره – أي الأصفهاني– **التفسير** بيان لفظ لا يحتمل **إلا وجهاً واحداً. والتأويل** توجيه **لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلّة.**

* وعندي أنّ هؤلاء ذهبوا إلى ←التفسير متعلَّق **بالمحكم**

- كقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ ﴾ (الصافات الآية: 5)
- وقوله ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ﴾

* **والتأويل** ←متعلق **بالمتشابه** كآيات الصفات والحروف المقطعة عند بعضهم.

- وذلك نحو قوله سبحانه: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ (طه الآية: 5)

4. **وقال أبو منصور القشيري:**

(التفسير مقصور على **الاتباع والسّماع، والاستنباط** فيما يتعلق **بالتأويل).**

* فالتفسير عنده يعتمد على الرواية كأن تقول في قوله الله عز وجل:

- ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٠ ﴾ (الأنبياء الآية: 30)

~ قال ابن عباس: (كانت السماء لا تمطر ففتقها الله بالمطر وكانت الأرض لا تنبت ففتقها الله بالنبات) •.

- وأما **التأويل** فدائرته منداحة فيها ما فيها من إعمال النظر ، والاجتهاد واستنباط الأحكام على ما يقرّره أبو منصور القشيرى.

5. وهذا القول قريب من سابقه، وهو قول السهروردي شهاب الدين الصوفي المقتول سنة (632هـ) إذ يقول: **(إن محاولات** تفسير "الروح" في القرآن يجوز أن يكون الكلام فيها بمثابة **التأويل** لكلام الله تعالى والآيات المنزلة، حيث حّرم تفسيره وجوّز تأويله إذ لا **يسع القول** في **التفسير إلا نقل،** وأما **التأويل** فتمتد **العقول إليه بالباع الطويل.**

• القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج 284/6

• ومعنى قول **السهروردي** أن **ما يسمى بالتفسير الصوفي الباطنيّ** الذي يتجاوز ظاهر النُّصوص يدخل في دائرة **التأويل** دخولاً مباشراً. كقول **نظام الدين النيسابوري** في كتابه (رغائب القرآن وغرائب الفرقان) • في تفسير قول الله عزّ وجلّ:

➢ (فقد استمسك بالعروة الوثقى) – قال:

(عروة العوام أداء الفروض، وعروة الخواص أداء النوافل، وعروة خواص الخواص الفناء في ذات الله عزّ وجلّ).

6. وقال **أبو طالب الثعالبي:**

(**التفسير** – بيان وضع اللفظ إمّا حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق ، والصيب بالمطر **والتأويل** – تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأوْل وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل.

➢ مثاله قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

تفسيره: أنه من الرصد يقال: رصدته رقبته والمرصاد مفعال منه.

تأويله: التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف اللفظ فى اللغة) •

وهو كلام نفيس كما ترى ولذلك تجد المتحرجين من الناس يختمون كلامهم في التفسير **والله أعلم بمراده.**

• مطبوع على هامش جامع البيان للطبري (المطبعة الميمنية) وفيه التفسير الظاهر والتأويل الباطن .

• السيوطي / الإتقان / ج173/2

تدريب (3)



1. تعددت الأقوال في الفروق بين التفسير والتأويل، هل بالإمكان جمعها واختصارها، حاول أن تلخص ذلك.
2. أيهما في تقديرك بحاجة إلى إعمال نظر وحدة ذكاء، التفسير أم التأويل، علل إجاباتك؟
3. (واقع الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى التأويل أكثر من التفسير) ناقش هذه العبارة؟
4. ورد في قول أبي طالب الثعالبي: (وقواطع الأدلة تقضي بيان المراد منه على خلاف اللفظ في اللغة) حلل هذه العبارة وبين المراد منها؟

مقارنة

بين التفسير والتأويل

م	عناصر المقارنة	التفسير	التأويل
1	**المعاني اللغوية**	* البيان * الكشف * التوضيح * الشرح * الترجمة * التعرية	* **من الأوْل:** إرجاع الكلام إلى ما يحتمله المعاني. * التفسير: أي أن التأويل والتفسير مترادفان. * من التقدير والتدبير: أوّله بمعنى دبره وقدره. * العاقبة والمصير. * تجاوز الظاهر إلى باطن الأمر وحقيقته وأعماقه البعيدة، وهذا قريب من المعنى الأول الرجوع إلى ما يحتمله من المعاني. * **وقوع المخبر عنه:** من قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ﴾(الأعراف: 53) * تفسير مدلول الرؤية: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (يوسف: 44) * وكل هذه المعاني تؤول إلى النظر فيما وراء المعنى الظاهر، أي ما يؤول إلى معانٍ أبعد وأعمق، وعليه يمكن القول بأن (الرجوع) أي إرجاع الكلام إلى ما يتحمله من معان هي المعنى المشترك التي تؤول إليه هذه المعاني.
2	**مدار البحث في القرآن**	* **التفسير أعم وغالباً** ما يتعلق **بالألفاظ** أي	* **في المعاني والجمل:** بمعنى أنه لا يكتفي فقط ببيان الألفاظ القريبة، وإنما يمضي إلى

		بيان معانيها مثل: الصيب: المطر، الصراط الطريق. * **التفسير** أيضاً أعم إذ يشمل الكتب السماوية وغيرها مما يحتاج إلى تفسير. * **التفسير** متعلق بالمحكم من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ ۝٤ ﴾* **التفسير**: مقصور على الاتباع والسماع مثل تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة النبوية. * التفسير: عند أهل التصوف ما تعلق بالظاهر.	أبعد بيان المراد من الجملة ككل مستفيداً من الألفاظ، وبالتالي فالتأويل أخص بما هو أدق وأكثر تفصيلاً من العموم. * **التأويل** مجاله الكتب السماوية خاصة * **التأويل** متعلق بالمتشابه مثل آيات الصفات والحروف المتقطعة مثل: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾ * **التأويل** متعلق بالاستنباط أو إعمال العقل (الدراية). * **التأويل (عند أهل التصوف)** ما تعلق بالباطن والحقيقة، وما تفيده الإشارة، وفيه أيضاً إعمال للعقل والنظر، وقد صنفه العلماء إلى صنفين، فما كان موافقاً للشرع دونما شطط، لا ينافي المعقول مهما استغرق في باطنه فلا بأس بقبوله والاستفادة منه وإلا فلا، وكما قال الجنيد سيد القوم – قدس الله سره: (أمرنا هذا – أي التصوف – مسيجٌ بالشرع فمن خالف الشرع فليس منا) أو كما قال.

تدريب (4)



1. قارن بين التفسير والتأويل لغوياً؟
2. وضح الفرق بينُ المحكم والمتشابه في القرآن، ومثِّل لكل منهما، واشرح الرأي القائل بأن مدار التفسير المحكم، وأن التأويل متعلق بالمتشابه؟

يقول المعد: (هذا، وأُودُّ أن أختم هذه السياحة في فرق ما بين التأويل والتفسير بالإشارة إلى مستشرق معاصر هو (Lane) وضع معجماً عربياً إنجليزياً سماه (Arabic-English Lexicon) تطرق فيه إلى ما نحن فيه وذلك إذ يقول :

The Latter (تأويل) means " The turning a verse of the Koran from its apparent meaning to a meaning which it bears , or admits , when the Latter is agreeable with the Koran and sunna for instance , in the phrase (يخرج الحي من الميت) if the meaning be (He produceth the bird from the egg) this is Tafsir .If the meaning be He produceth The believer from unbeliever or (The knowing from the ignorant) this is (تأويل).

هذا المثال باختصار يعني بأن المستشرق اتخذ من قول الله تعالى: ﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ مثالاً يفرق به بين (التفسير) و (التأويل) فقال:

- عندما نقول أن الله قادر على أن يخرج الطير من البيض الذي لا حراك فيه – فهذا تفسير.
- ولكن عندما ننتقل إلى معانٍ أعمق وأبعد – وبما تؤيده الأدلة الشرعية من القرآن والسنة – فنقول مثلاً أن ذلك يعنى: الخروج من الكفر إلى الإيمان، ومن الظلمات إلى النور فهذا تأويل. على اعتبار الكفر هو الموت والظلمات والجهل، وأن الإيمان هو النور والحياة والعلم.

وهكذا ترى في هذا المثال الذي أورده ذلك المستشرق دقة تدل على حسن تأمل، ودقة بصر. والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف يرشحان المعنى الذي ذهب إليه.

- فالقرآن يشير إلى أنّ الإيمان بمنزلة الحياة، وأن الكفر بمنزلة الموت وكذلك يفعل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

➢ قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (الأنعام: 122)

➢ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال: 24)

~ وفى الحديث الصحيح: (مثل العبد الذي يذكر ربه والعبد الذي لا يذكر ربّه كمثل الحي والميت).

نشاط



1. اكتب عن التأويل وما يرتاد من آفاق؟
2. ارجع إلى كتب التفسير مثل:

* الجامع لأحكام القرآن القرطبي * روح المعاني للألوسي* الكشاف للزمخشري
* أضواء البيان للشنقيطي – * التفسير القيم لابن القيم
* في ظلال القرآن لسيد قطب – * تفسير القرآن العظيم لابن كثير
* الأساس في التفسير لسعيد حوى

وتخير بعضاً منها ثم حاول أن تصنف هذه الكتب إلى ثلاث فئات على أن تكون كالأتي:

1.الفئة الأولى: يغلب عليها التفسير.
2.الفئة الثانية: يغلب عليها التأويل.
3.الفئة الثالثة: تجمع بين التفسير والتأويل.

وذلك وفقاً للمعايير الخاصة بكلٍ مما استفدته من هذه الوحدة.

* اعرض نشاطك على المشرف والزملاء.

الخلاصة

عزيزي الدارس، لقد تعرفت في هذه الوحدة على بعض مذاهب أهل اللغة في معنى كلمة القرآن وأبرزها:

- أنه لفظ جامد أنزله الله علماً لكتابة مثل الإنجيل والتوراة والزبور.
- أن القرآن يعني الجمع، فقد جمع بين القصص والأمثال والحكم والأحكام ومشاهد اليوم الآخر ووصف الجنة والملائكة والروح، وهو مصدر كالغفران والكفران.
- أو أنه مصدر بمنزلة القراءة.

- أما القرآن اصطلاحاً: كلام الله المنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بواسطة جبريل عليه السلام. المتعبد بتلاوته المفتتح بفاتحة الكتاب، المختتم بالناس.
- ثم أتاحت لك الوحدة معاني كثيرة (للتفسير)، وعلمت أنها تدور كلها حول البيان والكشف والإيضاح لألفاظ القرآن وبيان مراد الله تعالى.
- وانتقل العرض بعد ذلك إلى (التأويل) من الأوْل أي إرجاع الكلام إلى معانيه المحتملة، من آل يؤول أي رجع وانتهى، لذا فهو يحتاج إلى تقدير وتدبير وترجيح، فهو يغوص وراء اللفظ الظاهر، ولا يقنع بالمعنى القريب.
- وأخيراً فُصِّل لك القول في الفرق بين – التفسير والتأويل – وأبرز ما فيه أن التفسير أعم ويعني بيان الألفاظ، أما التأويل أخص وأدق ويسعى إلى الكشف عن المعاني الأكثر تعقيداً في الجمل، فيما يتعلق (التفسير) بالمحكم من الآيات التي لا مجال فيها لإعمال العقل لأنها واضحة قاطعة ولا مجال فيها لرأي أو تصرف. يدور (التأويل) حول المتشابهة من الآيات التي تستدعي الاستنباط والاجتهاد المعتمد على أدلة شرعية كانت أو لغوية بما تطمئن له النفس، ويحول دون الشبهات ومداخل الشيطان سيما الآيات المتعلقة بالعقيدة.

لمحة مسبقة على الوحدة التالية

الوحدة التالية ستعرفك بمصادر علم التفسير المتمثلة في القرآن والسنة، واللغة العربية، أما رويات أهل الكتاب فهو (يُعد مصدراً مجازاً)، فالاستعانة ببعض تفاسير أهل الكتاب كان طرفاً قصياً، وانحصر جُلّه في القصص التاريخي القرآني، لذا فقد حصرها المؤلف في المصادر الأولى الرئيسة والضرورية التي لا مناص للمفسر من إدراكها والنهل من معينها وهي:

أ- القرآن الكريم. ب- السنة المطهرة.

جـ- اللغة العربية. د- أهل الكتاب.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

إن هذا الاسم غير مسبوق ولم يكن معروفاً لدى العرب من قبل، وهذا من أعظم الأدلة على أن القرآن نسيج وحده، وأنه معجز جملةً وتفصيلاً عنواناً ومضموناً.

تدريب (2)

1. المعاني المذكورة تدور كلها حول بيان وإيضاح المراد من كلام الله، وتتفاوت من بيان الألفاظ إلى المعاني الحقيقية، إلى الإسهاب في شرح الآيات، ثم إن القرآن على سبعة أحرف وهي لغات العرب المشهورة على القول الغالب، وبيان وتفسير القرآن عندما يتعرض لألفاظ وكلمات غريبة على بعض قبائل العرب فكأنما نقل من لغة إلى أخرى وهذا يعد من باب الترجمة، أما تفسير القرآن للعجم وأشباه العجم من المستعربين فالترجمة فيه أوضح وأنسب في هذا المقام.
2. البيان والكشف.

تدريب (3)

1. تدور الأقوال في الفرق بين التفسير والتأويل على أن:
التفسير مقصور على الاتباع والسماع أي النقل أما الرواية، والاستنباط وإعمال النظر وانبساط عمل العقل أي الاجتهاد في الرأي فميدانه الرحب التأويل.
2. التأويل: لأنه نظر فيما وراء المعنى الظاهر.
3. واقع الأمة اليوم بحاجة ماسة إلى الاجتهاد وإعمال الرأي لإيجاد حلول ناجعة لكل ما يواجه الأمة من مآزق ماثلة ومخاطر داهمة وقضايا متسعصية في تكاثر وتفاقم بلا هوادة، والاجتهاد ونفاذ الفكر الثاقب لما وراء النصوص أقرب إلى التأويل منه إلى التفسير.
4. أن الأدلة تشير بصفة قاطعة على وجوب التأويل في بعض الآيات.

تدريب (4)

1. أ- **التفسير**: يتعلق ببيان الألفاظ والمعاني القريبة.

ب- **التأويل:** يغوص بحثاً في الجمل والمعاني البعيدة واستنباط وترجيح المعنى المدعم بأدلة أقوى نقلية وعقلية ولغوية.

التداخل واضح جداً لدرجة أن بعض العلماء قال بترادف الكلمتين تماماً، ونجد أيضاً بعض معاني مثل التفسير مثل الكشف والترجمة بحاجة إلى اجتهاد وإعمال نظر واستنباط، وهذا ما يجمع بينهما، ثم أن التفسير هو المدخل للتأويل، وأن من يؤول لابد له أن يفسر أولاً ولو لم يصرح بذلك، ولا يتأتى له التأويل إلا بعد الاحاطة بالمعاني المتعددة للكلمة ومواضع استخدامها عند العرب، وأخيراً فإن المدار في التفسير والتأويل هو بيان مراد الله تعالى وهذا هو القدر المشترك الأعظم بينهما.

2. المحكم: الآية القاطعة التي لا مراء فيها مثل قوله تعالى:

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ (الإخلاص: ك)

المتشابه: يوحي ظاهره بالتشابه مع صفات البشر ويحتاج إلى تأويل مثل قوله تعالى:

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ (الفتح: 10)

لأن المتشابه بحاجة واضحة إلى تأويل حتى نبتعد به عن الوقوع في المحظور ألا وهو التشبيه الذي يفضي إلى الشرك والجهل بصفات الله

مسرد المصطلحات

❁ القرآن الكريم:

في اللغة: مصدر بمعنى القراءة.

في الاصطلاح: الكتاب المنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته المفتتح بالفاتحة المختتم بالناس.

❁ التفسير:

في اللغة: البيان والتوضيح والكشف والشرح.

في الاصطلاح: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه – صلى الله عليه وسلم – وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه.

❁ التأويل:

في اللغة: من آل الشيء يؤول أوْلاً ومآلاً؛ أي الرجوع.

في الاصطلاح: الاجتهاد في معرفة ما وراء الظاهر من الآيات فهو استنباط المعاني البعيدة والعميقة وما كان معتمداً على إعمال العقل. وقيل:

التفسير: ما وقع مبيناً في كتاب الله، أو معيناً في السنة فمعناه أقرب إلى الوضوح.

أما **التأويل:** ما استنبطه العلماء، فالتفسير يتعلق بالرواية. والتأويل يتعلق بالدراية.

المراجع

1. ابن منظور، **أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم** تـ (711هـ)، **لسان العرب**، الطبعة الأولى (1997م)، دار صادر بيروت.
2. ابن فارس، **أبو الحسين أحمد بن فارس بن ذكريا** تـ (395هـ)، **مقاييس اللغة**، الطبعة الثانية (1969م)، القاهرة.
3. الزيات، **أحمد حسن الزيات، المعجم الوسيط**، دار الدعوة (1989م)، اسطنبول، وآخرون: **إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد علي النجار**.
4. السيوطي، **جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر** تـ (911هـ)، **الإتقان في علوم القرءان**، الطبعة الثالثة (1951م)، مصر.
5. القرطبي، **أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري** تـ (671هـ)، **الجامع لأحكام القرءان**، (1935م)، القاهرة.


الوحدة الثانية
مصادر التفسير

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**34**
تمهيد	34
أهداف الوحدة	34
1. مصادر التفسير	**35**
1.1 القرآن الكريم	36
2.1 أقوال العلماء في تفسير القرآن بالقرآن	36
3.1 أمثلة على تفسير القرآن بالقرآن	39
4.1 القراءات والتفسير	44
2. السنة	**53**
1.2 الرسول – صلى الله عليه وسلم – أول مفسر للقرآن	54
2.2 أحاديث التفسير	57
3.2 الأحاديث الموضوعة	62
3. اللغة العربية	**63**
1.3 القرآن وعلوم العربية	64
2.3 بداية الاهتمام بالعربية مصدراً للتفسير	70
3.3 العلماء والاستشهاد بالشعر	73
4. أهل الكتاب	**77**
1.4 القرآن والتوراة والإنجيل	78
2.4 المنهج النبوي وروايات أهل الكتاب	79
الخلاصة	**81**
لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية	**82**

الموضوع	الصفحة
إجابات التدريبات	83
مسرد المصطلحات	89
المصادر والمراجع	91

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس،

ما هو المصدر؟

وما هي مصادر التفسير؟

المصدر هو النبع، والأصل الذي يؤخذ عنه، والمرجع الرئيس الذي نحتاجه ونؤول إليه لتأصيل الفرع، والتعرُّف عليه عن كثب، فالأصل يضفي القيمة ثمينة أو رخيصة على فرعه، ويكشف عن معدنه وحقيقته.

والتفسير هو من أجلَّ العلوم لا يُضاهى ولا يُبارى شرفاً ومرتبة، والصورة تُنبئ عن الحقيقة، والمظهر دليل المخبر، فهذا العلم فرعٌ من ذاك الأصل حبل الله المتين، صراطه المستقيم ونهجه القويم لا يحيد عنه إلا هالك.

لا بد أن تقدر – عزيزي الدارس – قيمة الوحدة التي بسطت لك هذه المصادر، ومهدت لك المعينات على تفهمها والتمتع بها، ففي الأهداف المحكمة، وألوان التقويم والمناشط، والمنبهات والعلامات اللافته، والحوار المبثوث، ثم الإجابات على التدريبات والمراجع – خيرُ حادٍ للركب ودليل على بلوغ المنشود.

فلتكرع – أيها الدارس – من موارد الفضل، ولتهنأ بها كل الهناء، وتنأى عن مهالك الجهل، والله ولي التوفيق.

أهداف الوحدة

عزيزي الدارس،

بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1. **تُحدِّد** ماهية مصادر علم التفسير.
2. **تُعدِّد** هذه المصادر.
3. **تكشف** عن دور وأثر كل مصدر في علم التفسير.
4. **تُلخِّص** الفائدة التي استفدتها من هذه الوحدة.

1. مصادر التفسير

التفسير من أهم علوم القرآن .... لا بل هو أهم علوم القرآن بإطلاق، ولذلك يعرف عند أهل هذا الشأن **بأم العلوم القرآنية** إذ عليه المدار والمعول، وعلوم القرآن كافةً من ناسخ ومنسوخ وأسباب **لنزول** ومحكم ومتشابه وغيرها إنما يراد **بها خدمة هذا العلم النبيل**، فالغاية النهائية من وراء تلك العلوم معرفة المراد من كلام الله تعالى، وإذا ما قورنت بعلم التفسير فهي منه بمنزلة الأدوات والآلات والعوامل المساعدة التي من شأنها أن تلقى ضوءاً كاشفاً على بعض الدوائر المظلمة المبهمة في مجال التفسير فإذا هي مسفرة مستنيرة.

هذا، وللتفسير مصادره التي عنها يصدر، وأصوله التي عليها يعتمد، وينابيعه التي منها يستمد. وإنّها لمصادر متنوعة، وأصول متعددة، وينابيع كثيرة وسنقف بإذن الله على أربعة مصادر: المصادر الثلاثة الأولى مصادر ضرورية لازمة لكل مفسر في كل عصر ومصر، والمصدر الرابع الأخير ليس بمصدر حقيقي ولكنه أمر تاريخي طرأ في مراحل تاريخية من تاريخ التفسير فلجأ إليه بعض المفسرين في بعض جوانب القصص التاريخي القرآني الكريم وسنرى كيف كان التعامل معه عند عهد التحدث.

وهذه المصادر الأربعة على الترتيب المتتابع هي:

أ- القرآن الكريم.

ب- السُنّة المطهرة.

جـ- اللغة العربية.

د- أهل الكتاب.

شكل (1)

1.1 القرآن الكريم

يتعين على من يريد تعاطي التفسير أن يكون عارفاً بكلام الله عز وجل ولا يكتفي بتعرف السورة والسورتين بل لا بد من تعرفه جميعاً حتى يمكنه الاستعانة بالقرآن في تفسير القرآن فمن المعلوم أن القرآن نزل بلسان العرب واتبع طرائقهم في التعبير، وأساليبهم في الكلام وكان من عادتهم **المراوحة** بين أساليب القول، وقوالب الكلام فلم يكن كلامهم على وتيرة واحدة لا تتخلف ولهذا عرفوا الإجمال والتفصيل، وعرفوا الإيجاز والإطناب فقد يلجأون إلى تطويل الخطب تارة، وقد يكتفون باللمحة الدالة أحياناً

يرمون بالخُطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

- وحي الملاحظ: يعني بذلك الإيماء أو الإشارة الخفية أو الإيحاء بلفظ أو لمحة يلتقطها اللبيب وتفوت على الشهيد الرقيب.

2.1 أقوال العلماء في تفسير القرآن بالقرآن

~ ولهذا قال ابن تيمية – وهو من علماء القرن السابع وفقهائه ومفسريه: (فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير عن النبي – صلى الله عليه وسلم –؟ فالجواب إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمل في مكان قد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موقع آخر) •

تدريب (1)



1. (التفسير أم العلوم القرآنية) حلل هذه المقولة؟
2. ما الحكمة في أن القرآن هو المصدر الأول من بين مصادر التفسير؟
3. ما معنى: (أن من عادة العرب في الكلام المراوحة بين أساليب القول، فلم يكن كلامهم على وتيرة واحدة لا تتخلف) ؟

• ابن تيمية / مقدمة التفسير /32

~ وقد زاد هذا المعنى فضل بيان وتوكيد السيوطي الذي ذكر: (أن ابن الجوزي – وهو مفسر ومؤرخ وفقيه لا يشق له غبار – قد ألف كتاباً فيما أجمل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر) •

~ وقد أشار **السيوطي** نفسه إلى أمثلة منه في نوع المجمل. وفى عصرنا هذا قام **الشيخ محمد الأمين الشنقيطي** بجمع الآيات التي يفسر بعضها بعضاً في كتاب **أضواء البيان** الذي فسر فيه القرآن بالقرآن.

وأقول أن تفسير القرآن بالقرآن من أسلم الطرق المفضية إلى معرفة المراد من كلام الله عز وجل ولقد شاءت إرادة الله عز وجل أن ينزل القرآن متشابهاً قال تعالى:

▲ ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر: 23)

● والتشابه المذكور في سورة آل عمران الذي أشرنا إليه في حديثنا عن "التفسير والتأويل" منها غير المتشابه المذكور هنا – أي المذكور أنفاً من سورة الزمر فهناك التشابه قسيم المحكم (منه آيات محكمات هُنّ أم الكتاب وأخر متشابهات)

وهنا التشابه قسيم التناقض والاختلاف فالقرآن صدق كله لا تناقض ثم ولا اختلاف

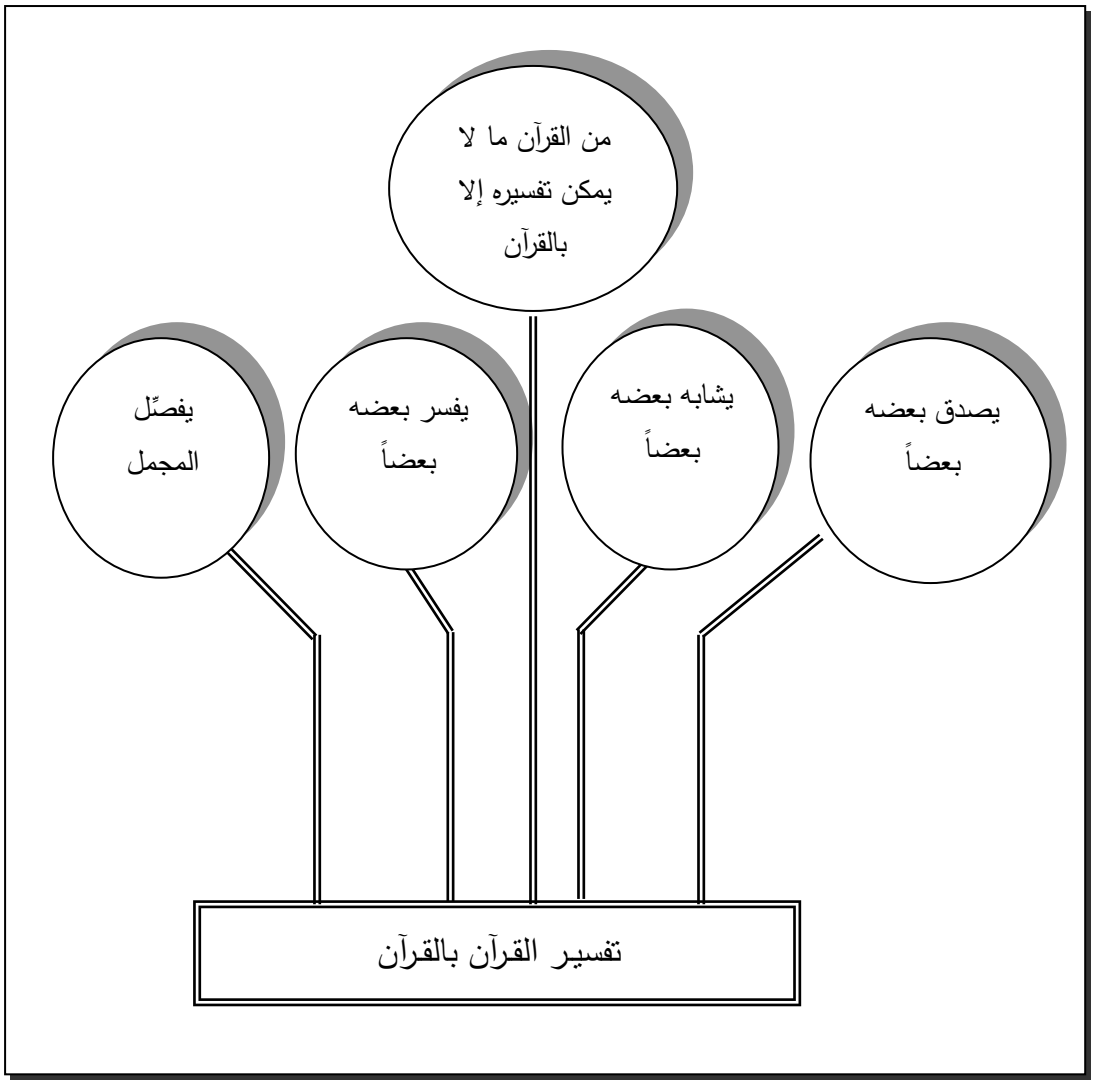
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء: 82)

♦ ولهذا فهو يصدق بعضه بعضاً، ويشبه بعضه بعضاً في الصدق والعدل والاستقامة، ويفسر بعضه بعضاً لما فيه من إجمال وتفصيل، واختصار وتطويل حسب ما اتخذه العرب من أساليب التفنن والمراوحة تنشيطاً للقارئ، وتشحيذاً للهمم فالأذن مجاجة وللنفس حمضة فلو سار على أُسلوب واحد لا يحيد عنه، فلربما دفع ذلك إلى شيء من الرتابة والسآمة التي يتنزه عنها كتاب الله – عز وجل – الذي كما قال الشاعر:

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً **(هذا من كلام أبي نواس الشاعر العباسي المعروف)**

• السيوطى / الاتقان /ج174/2

شكل (2)



- وكون القرآن مجملاً ومبيناً، مبهماً ومفصلاً مما اتفق عليه العلماء إذ أنّه، ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

(الشعراء: 193 – 194)

واللسان العربي المبين فيه **المجمل والمبين**، وفيه **المبهم والمفصل** ولا أعرف أحداً شذّ عن هذا القول إلاّ ما كان من أمر **داوود بن علي الأصفهاني** صاحب **المذهب الظاهري** وهو من علماء القرن الثالث للهجرة وقد أنكر أن يكون في القرآن مجمل فيما حكاه عنه السيوطي.

~ **ملحوظة:** اندثر هذا المذهب – أي الظاهري – بعد موت صاحبه إلى إنْ بَعثه من جديد ودافع عنه دفاع المستميت **أبو محمد بن حزم الأندلسي** صاحب **(المحلى في الفقه)**، و**(الفصل في الملل والنِحل)**، و**(طوق الحمامة)** وغيرها من التصانيف.

أسئلة تقويم ذاتي

1. ما موقع (علم التفسير) من بين العلوم القرآن؟
2. عدّد مصادر التفسير الرئيسة، ووضح لماذا توقف المؤلف عند المصدر الرابع.
3. اتفق العلماء تقريباً على أن تفسير القرآن بالقرآن من أسلم مناهج التفسير، لماذا؟
4. ما وجوه تفسير القرآن بالقرآن.

3.1 أمثلة على تفسير القرآن بالقرآن

والأمثلة على تفسير القرآن بالقرآن كثيرة مستفيضة لا ينكرها إلا مكابر. وقد يأتي:

1. **البيان** بعد **الإجمال مباشرةً**.
2. وقد يأتي في **مواضع أخرى** في **سور أُخرى**.

1. البيان المرادف للإجمال مباشرة:

مثال (1):

وممّا جاء **مرادفاً للإجمال مباشراً** له نحو قول الله عز وجل:

➢ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾

فالطارق الذي أقسم به وهوّل من أمره، وعظم من شأنه، واستفهم عنه ذلكم الاستفهام العجيب المهول ⟵ هو **النجم الثاقب** المذكور من بعد الإجمال والاستفهام مباشرةً.

مثال (2):

- ومثل ذلك أيضاً أي **البيان بعد الإجمال مباشرةً**، ما جاء في سورة القارعة، قوله تعالى:﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١ ﴾

فالهاوية المستفهم عنها المستعظم لشأنها هي تلك ⟵ **النار الحامية** وقانا الله شرها.

مثال (3):

- وكذلك قوله سبحانه من سورة الانفطار:

﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾

استفهم حقيقة **يوم الدين** ثم **فصّل وبيّن ما سيكون عليه الحال** في ذلك اليوم.

تدريب (2)



1. ما معنى أن بيان المجمل في القرآن يأتي بصورة مباشرة؟
2. هات أمثلة في المصحف توضح بياناً مباشراً لما فُصِّل غير تلك التي عرفتها من خلال الوحدة؟
3. أن في النهج القرآني في طرح المجمل أولاً ثم تفصيله وبيانه حكمةً وفائدة عظيمة، حاول أن تكشف عن ذلك بإيجاز.

2. البيان في مواضع أخرى

عزيزي الدارس،،

* نود أن نلفت نظرك إلى أن من **الآيات القرآنية** ما لا **تستطيع له تفسيراً إلا بالرجوع إلى القرآن** ولا تعوزنا الأمثلة ولا تعزّ علينا ولا تعيينا – يعني المؤلف بذلك أنها موفورة – وهاك بعضها:

مثال (1):

▲ قال تعالى: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ (المائدة: 1)

فسّرها قول الله عز وجل:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ (المائدة: 3)

* فما **أجمل** في سورة الحج في قوله تعالى: (**إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ**) فُصِّل في سورة المائدة تفصيلاً حيث كشف وأبان عن كل اللحوم المحرمة على المسلم.

مثال (2):

▲ قال تعالى:﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ **(الفاتحة:7)**

فسرها قول الله عز وجل:

➢ ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ (النساء: 69)

* **الذين أنعمت عليهم** في سورة الفاتحة **مجملة**، فصلتهم سورة النساء فهم **النبيين والصديقين والشهداء** ... الخ، وما أعظم وأسعد وأهنأ أن يرافق الإنسان هذه الصفوة.

مثال (3):

➢ قال تعالى: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١ ﴾ **(النساء: 160 – 161)**

➢ وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨ ﴾ (النحل: 118)

* **وقل لي بربّك كيف تستطيع أن تفسر هاتين الآيتين** من **غير رجوع إلى سورة الأنعام؟ !**

* فما هي الطيبات التي أُحلت للذين هادوا ثم حُرمت عليهم بسبب ظلمهم؟

* ثُم انظر إلى هذه الإحالة الكريمة ←——— (ما قصصنا عليك من قبل)!

* وانظر أي فائدة عظيمة نجنيها في معرفتنا بالسابق واللاحق!

* أولا: ينفعك – ما تقدم ذكره – في التعرف على تاريخ الأنبياء والأمم السابقة؟

*ثانياً: ينفعك هذا في **معرفتك** بالناسخ والمنسوخ من كتاب الله، فمن المعلوم أن اللاحق ينسخ السابق ولا نعلم في هذا من مخالف إلاّ ما كان **من أمر بعض المنحرفين من المعاصرين** ممن لا يعتد بخلافه من أن **المكي** وهو سابق ينسخ **المدني** وهو **لاحق**، فأعجب وتأمل !

إنّنا لا نستطيع أن نفهم **الطيبات** التي **أُحلت للذين هادوا** ثم **حرمت عليهم** بسبب بغيهم وظلمهم وخلافهم لأنبيائهم، وارتكابهم للمعاصي، واقترافهم للآثام؛ **إلا إذا وقفنا عند قول الله عزّ وجل:**

➢ ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (الأنعام: 146)

ملحوظة: كل ذي ظفر "قال مجاهد": هو كل شيء لم تنفرج قوائمه من البهائم كالإبل والنعام وما لا قائمة له كالأوز. "والحوايا" هي المباعر التي يجتمع فيها البعر، وللمزيد أنظر (الأشقر، زبدة التفسير من فتح التقدير، ص: 188).

* وهكذا جاء في سورة الأنعام تفصيل ما أُبهم وأُجمل وأُشير إليه إشارة غير مفصلة في سورتي النساء والنحل.

مثال (4):

ونختم هذه الأمثلة بمثال من سورة الزخرف الذي يفسره مثال سورة النحل.

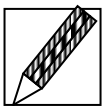
➢ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (الزخرف: 17)

ويفسره قول الله عز وجل:

➢ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

(النحل: 57 – 59)

تدريب (3)



1. ما هو الإعجاز المتمثل في أن من القرآن ما لا تستطيع له تفسيراً إلا بالرجوع إلى القرآن؟
2. من هي الفرقة المعاصرة التي يعنيها المؤلف والتي تقول بنسخ السابق للاحق؟

أسئلة تقويم ذاتي



1. مثِّل لتفسير القرآن بالقرآن بالصورة المباشرة، وغير المباشرة؟
2. من القرآن ما لا يمكن تفسيره إلا بالقرآن، هات ثلاثة أمثلة على ذلك؟
3. قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ هل بإمكانك أن تستخرج تفسيراً لهاتين الفئتين من القرآن الكريم؟

4.1 القراءات والتفسير

عزيزي الدارس،

ما هي **القراءات؟** وكم **عددها**، وما علاقتها **بالتفسير؟**

* لعلك من خلال مقرر (علوم القرآن) قد عرفت الكثير عن هذا الموضوع.

فمن المعلوم أن القرآن أُنزل على **سبعة أحرف** كلها **كافٍ شافٍ** كما قال صلوات الله وسلامه عليه، ثم رأى الصحابة رضوان الله عليهم في عهد عثمان بن عفان أن يتجاوزوا هذه الرخصة التي يراد بها التوسعة والتيسير على الأُمة فاختاروا من تلك السبعة **حرفاً قرشياً واحداً تنضوي تحت لوائه القراءات السبع** التي اختارها أبو بكر بن مجاهد في القرن الرابع للهجرة.

ولقد نالت هذه القراءات **درجة التواتر** فتلقتها الأمة بالقبول ثم زيد عليها ثلاث قراءات **لتبلغ عشراً**، وقد عرفت هذه القراءات الثلاث – المضافة – بالقراءات **المشهورة** أما القراءات **الأربع** الأخرى فقد وصفت **بالشذوذ**.

لماذا وصفت هذه الأخيرة بالشذوذ؟ لأنها فقدت ركناً أو أكثر من أركان صحة القراءة المتمثلة في:

~ **الرواية** ~ **والرسم** ~ **والعربية**

- والقراءات بضروبها المختلفة، وألوانها المتباينة في درجاتها المتفاوتة من تواتر وشهرة وشذوذ لها أثرها الذي لا ينكر، ونصيبها الذي لا ينفع **في مجال التفسير، بل أن علوم القرآن كلها بما فيها علم القراءات تمثل للمفسر مفاتيح بها يلج أبواب الكتاب، وبها يقطع لجته، ويسبر ما يتاح له من غوره.**

~ ومن هنا كان اهتمام **أهل القرآن بعلومه،** وعلى **رأسها علم القراءات** حتى قال الإمام بدر الدين بن عبد الله الزركشي في خطبة كتابه (البرهان في علوم القرآن):-

(وضمنته من المعاني الأنيقة والحكم الرشيقة، ما بهر القلوب عجباً ليكون مفتاحاً لأبوابه، عنواناً على كتابه ، معيناً للمفسر على حقائقه ، مطلعاً على بعض أسراره ودقائقه) •.

~ فانظر كيف أدرك أولئك الرجال ما **لعلوم القرآن** من شأن في **تفسيره** وبلوغ مراميه، فلولا المعرفة بأسباب النزول مثلاً لما وسع بعضهم أن يتأول قول الله عز وجل:

▲ ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣ ﴾

(المائدة: كل)

على غير وجهه فأباحوا لمن كانت تلك صفته أن يعاقر الخمر، وكان هذا موضع تساؤل عند بعض الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – فقد قالوا بعد أن نزل تحريم الخمر بعد وقعة أحد – متسائلين ومشفقين:-

كيف بإخواننا – من أمثال حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه – الذين ماتوا وهي في بطونهم؟!

- فجاءهم الرد الحاسم الحكيم أن ليس عليهم من بأس ولا حرج، فقد شربوها ولما تحرّم عليهم، وكانوا من التقوى والورع والإحسان أن ينتهوا عن شربها لو أنهم قد نهوا عنها.

• الزركشي /البرهان /ج9/1.

فالآية إذاً تتحدث عن السلف من الصحابة الذين أفاضوا إلى الله قبل التحريم وفي بطونهم ودمائهم من خمر الجاهلية الكثير.

- هذا، وللقراءات أثرها الكبير الذي لا يخفى على كل ذي بصر في مجال التفسير.

~ واضرب لك مثلاً على اختلاف المدلول، وتباين الحكم الفقهي حسب الاختلاف في القراءة والإعراب، يقول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (المائدة /6)

* اختلف القرّاء في قراءة ⟵ (أرجلكم)

– فقرأ عاصم بن أبى النجود وهو أمام من أئمة القرّاء الكوفيين واحد السبعة • (نصباً)

أي قرأها بالنصب هكذا ⟵ (أرْجلَكم) "بفتح اللام"

وتفسير ذلك:

1. إما عطف على الوجوه والأيدي "وهي منصوبة".
2. وإما بفعل محذوف يدل على ما قبله "واغسلوا أرجلكم" بعبارة أخرى أن الفعل (فاغسلوا) مع الوجوه والأيدي، مكرور هنا أيضاً مع الأرجل لكنه حذف لدلالة الأول عليه، فتكون الأرجل منصوبة بفعل الأمر المحذوف (فاغسلوا).

• ينظر في بعض كتب القراءات كالتيسير لأبى عمرو الداني أو السبعة لابن مجاهد أو غيث النفع للسفاقصي أو لامية الإمام الشاطبي المعروفة ببحر الأماني.

- وهذه القراءة توجب غسل الرجلين لأن الفعل فعل أمر ومعطوف على الوجوه والأيدي التي يعد **غسلها فرضاً**، فالمعطوف والمعطوف عليه يأخذان حكماً واحداً.

وهذه القراءة يؤيدها ما قاله – رسول الله صلى الله عليه وسلم – لأصحابه:

~ (أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار)

✓ فأنظر – عزيزي الدارس – كيف **مهدت هذه القراءة في استنباط هذا الحكم الفقهي.**

- وقرأ أبو عمرو بن العلاء المازني – إمام أهل البصرة وواحد من القرّاء السبعة أيضاً:

(أَرْجُلكِم) ⟵ خفضاً عطفاً على رؤوس، مما يوجب المسح أي على (وامسحوا برؤوسكم في الآية) فالأمر بالمسح والرؤوس مخفوضة بالباء، فالعطف عليها يستوجب الخفض والمسح.

– وليس بمستنكر هاهنا أن تبين السنة أن الغرض المقصود من المسح هاهنا هو **الغسل أو المسح** على الخفين إذا لُبسا على طهارة، لحديث أبى سعيد الخدري:

~ (دع الخفين فقد لبستهما على طهارة)

✓ تأمل أيضاً – عزيزي الدارس – كيف حولت هذه القراءة الحكم الفقهي من وجوب الغسل إلى المسح؟!

- وهناك قراءة ثالثة منسوبة إلى الحسن البصري ⟵ وهي قراءة الرفع.

(وأرجُلكم) بضم اللام ⟵ وهى(**قراءة شاذة**) • من **حيث الرواية** ولكنها **مفيدة** من ⟵ حيث **التفسير**.

وقديماً قال أبو عبيد القاسم بن سلام – وهو من طبقة الإمام الشافعي:

المقصد من القراءة الشاذة تفسير المشهورة

• ابن جنى / المحتسب ج314/1

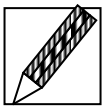
~ ومن أجل ذلك كان اهتمام العلماء بشواذ القراءات التي ألفّوا فيها تصانيف قائمة بأنفها:

كالمُحتسب ← **لأبي الفتح عثمان بن جني** (المتوفى سنة 392هـ).

وتجدها – أي القراءات الشاذة – ذائعة مبثوثة في كثير من كتب التفسير:

كجامع الطبري، وأحكام القرطبي، وكشاف الزمخشري، ومحيط الرازي.

تدريب (4)



1. للقراءات أثرها الفاعل الذي لا يخفى في التأويل واستنباط الأحكام الفقهية. حلل ذلك.
2. اشرح ما قاله أبو عبيدة بن عبد السلام: (المقصد من القراءة الشاذة تفسير المشهورة).
3. من معلوماتك عن علوم القرآن ما هو القول المشهور في الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن؟

أسئلة تقويم ذاتي



1. ما الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف؟
2. ما الحكمة في قرار سيدنا عثمان بن عفان والصحابة في زمنه بتوحيد هذه الأحرف على حرف قرشي واحد يضم هذه الأحرف؟
3. كم مجموع القراءات التي خلصت إليها هذه الوحدة؟
4. فصّل عدد المتواتر، وعدد المشهور، وأخيراً عدد الشاذ من القراءات.
5. اذكر فوائد هذه القراءات لعلم التفسير.
6. وضح كيف يستفيد المفسر حتى من القراءة الشاذة.

- ولا تحسبن أن **اهتمام العلماء بالقراءات الشاذة** وإن كانت قراءات **غير معتبرة ولا يعتد بها**، ولا **يصلّى بها** ولا **تعُد قرآناً** جاء اعتباطاً ولكنه جاء **لغرض شرعي صحيح** فهي: تمثل معيناً ثراً لا ينضب، وينبوعاً لا يغيض لكل من أراد أن يتعاطى التفسير... كيف؟!

~ ولقد عرف العلماء ضرباً من ضروب القراءة أطلقوا عليه ⟵ القراءة **المفسرة** أو القراءة **المقحمة**، بمعنى أنها جاءت **مفسرة فاقتحمت النص القرآني اقتحاماً** فقد كانت **تفسيراً لصحابة** أو **تابعين وظنها البعض من القراءات.**

* ومعلوم أن **المصاحف العثمانية جُردت مما ليس بقرآن مما جاء على سبيل التفسير والتعليق.** حتى قال الناظم:

وجردوه كما يهوى كتابته ما فيه من نقط ولا شكل فيحتجرا

وكان **عبد الله بن مسعود** إذا اجتمع إخوانه من أمثال علقمة بن أبي وقاص الليثي نشروا المصاحف، وفسر لهم فربما **دوّن** بعضهم بعض تفسيره فقال من جاء من بعد: **هذه قراءة ابن مسعود وليست هي بقراءة على وجه الدقة وإنما هي ضربٌ من ضروب التفسير.**

✓ انظر – عزيزي الدارس– كيف تولد هذا الخلط؟!

- ومن هذا كأن يقال مثلاً:

➢ ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾ (القارعة: ٤ – ٥)

~ **في قراءة ابن مسعود (كالصوف)** ⟵ أي وتكون الجبال كالصوف المنفوش، فحلت كلمة الصوف محل العهن.

- فالصوف ليس **بقراءة،** ولكنها كلمة جيء بها على وجه **التفسير**، وهي بعد ليست **بالتفسير الدقيق** إذ **العهن** ليس هو **بمطلق الصوف،** ولكنه الصوف **المصبوغ الملون** الذي كانت تزين به الهوادج وترقم

قال علقمة الفحل في ميميته:

عقلاً ورقماً تظل الطيرُ تخطفه كأنه من دم الأجواف مدموم

✓ وانظر – أخي الدارس – إلى دقة التشبيه القرآني فقد علمنا أن الجبال ذات ألوان مختلفة، قال تعالى:

➢ ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ ﴾

(فاطر: 27)

- الجدد: بفتح الدال الأولى تعني الطرائق في الجبل.
- غرابيب: جمع مفردة غربيب وهو الأسود شديد السواد، تقول غراب أسود غريب.

✓ فعندما تنسف هذه الجبال وتتطاير ذراتها فى الهواء يوم القيامة يحسبها من رآها كأنها العهن أو كأنها صوف ملون مصبوغ فانظر دقة القرآن وايجازه وإعجازه!

- ومن تلك القراءات المفسرة قراءة **عبد الله بن عباس** – حَبر الأمة ، وترجمان القرآن لقوله تعالى:

➢ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ (البقرة: ك‌لا)

- فقوله " في موسم الحج " ليست بقرآن، وإنما هي كلمات جيء بها على وجه التفسير **رفعاً للشبهة** إذ ليس علينا جناح أصلاً أن نبتغى فضلاً من ربنا ولكن يأتي **الإشكال في مواسم الحج** فهل لنا أن نحج ونتكسب نبتغى رزقاً من الله وفضلاً؟!
  - فالقراءة المقحمة ترفع **الشبهة**، وتحل **الإشكال**، وتبين ألا **حرج ثمّ ولا جُناح**.

- ومنها – أي من القراءات المقحمة والشاذة – ما ينسب إلى حفصة أو إلى عائشة زوجَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم – ورضي الله عنهما – في قوله تعالى:

➢ ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾

(البقرة:238)

فصلاة العصر ليست بجزء من الآية، ولا تَعلُقَ لها بكلام الله – عز وجل – وإنما جيء بها للشرح والتفسير والبيان ولا سيما ونحن نعلم أن بين العلماء **خلافاً مستطيراً في أي الصلاة هي الصلاة الوسطى؟!**

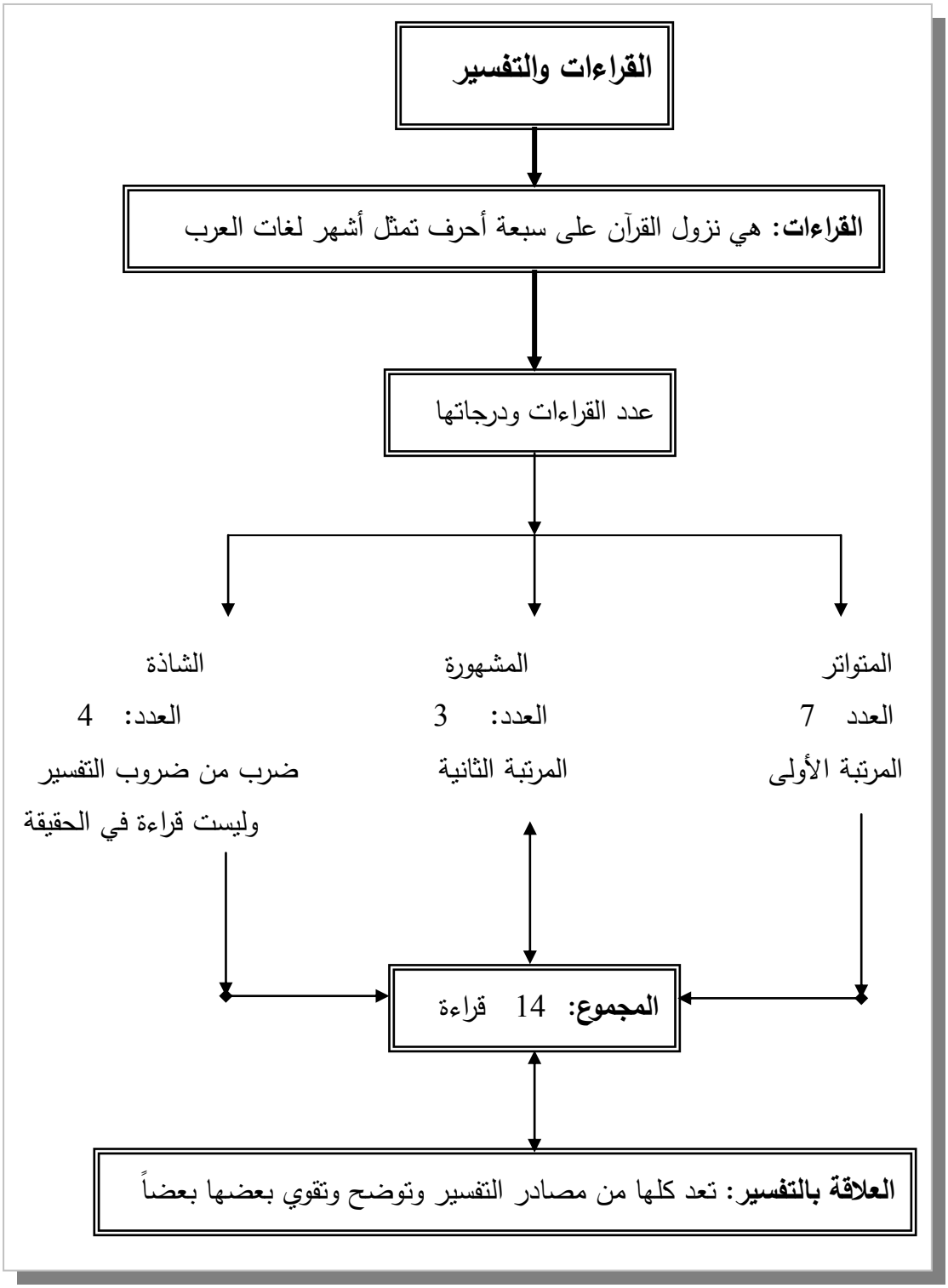
~ فقد ذكر بعضهم الفجر مثلاً ولكن يُرجح أنها صلاة العصر لوجودها في مصحف حفصة أو عائشة من جهة ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

° (ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر)

- وبالجملة فالقراءات على اختلاف درجاتها **مصدر من مصادر التفسير**، وينبوع من ينابيعه حتى رُوي عن **مجاهد بن جبر – مولى بنى مخزوم** وواحد من كبار أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله عنه – وكان ملازماً له وقرأ القرآن عليه أكثر من ثلاثين مرة يوقفه في كلّ موضع يشكل عليه يسأله حل المشكل، وبيان المُبْهَم، روي عنه أنه قال:

(لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود ما احتجت أن أسأل ابن عباس عن كثير مما سألته منه) يعني بذلك تفسيره لبعض الآيات

✓ وهكذا رأينا أن القرآن بقراءاته ما تواتر منها وما شذَّ مصدر من مصادر التفسير.


القراءات والتفسير
القراءات: هي نزول القرآن على سبعة أحرف تمثل أشهر لغات العرب
عدد القراءات ودرجاتها
المتواتر
العدد 7
المرتبة الأولى
المشهورة
العدد: 3
المرتبة الثانية
الشاذة
العدد: 4
ضرب من ضروب التفسير
وليست قراءة في الحقيقة
المجموع: 14 قراءة
العلاقة بالتفسير: تعد كلها من مصادر التفسير وتوضح وتقوي بعضها بعضاً

تدريب (5)



ما خلاصة القول الذي استفدته عن ما ذكر في القراءة الشاذة؟

نشاط



ارجع إلى كتب التفسير وعلوم القرآن، وصمم جدولاً للمقارنة بين القراءة المتواترة، والمشهورة، والشاذة. مع بيان أمثلة لكل منها، ووضح فوائد كلٍّ واحدةٍ منها للتفسير والتأويل.

2. السُّنة

- **السنة في اللغة:**

السنة في أصل اللغة الطريقة محمودة كانت أو مذمومة.

- **السنة في الشرع:**

وسنته صلوات الله وسلامه عليه كل ما يتعلق به بسبب من قول أو فعل أو تقرير أو خَلْق أو خُلُق.

قال الشاعر:

فلا تجزعن من سيرة أنت سيرتها فأول راضٍ سنة من يسيرها

وقال لبيد بن ربيعة العامري في معلقته الميمية :

من معشر سنت لهم أسلافهم ولكل قوم سُنة وإمامها

1.2 الرسول – صلى الله عليه وسلم – أول مفسر للقرآن الكريم

- **والرسول** – صلى الله عليه وسلم – هو **أول مفسر** لكتاب الله – عز وجل – وقد بيّن الله سبحانه وتعالى **في مواضع** ـــــــــــــــــ من القرآن الكريم **وظيفته** صلوات الله وسلامه عليه التي تتمثل في:

~ تلاوة القرآن الكريم.

~ وتعليمه.

~ وتزكية النفوس على منهاجه فهو دعوة أبيه إبراهيم – عليه السلام.

➢ قال تعالى – يخبر عن دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (البقرة /139)

- ولا شك أنّها منة من الله على المؤمنين عظيمة!

➢ ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران /164)

- وهي مِنّة واسعة تشمل المؤمنين في كل عصر ومصر ما استقاموا على كتاب الله وآمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل

➢ ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا

يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾ (الجمعة/ 2-4)

- والمحروم من حُرِمَ من ذلك الفضل السابغ والرحمة الغامرة، وأُعيذك ونفسي أن نكون ممّن حمل القرآن فلم يحمله لا في **مجال القراءة** و**التلاوة**، ولا في مجال **العلم والتفسير** ولا في مجال **العمل والتزكية** فنكون مثلنا مثل **الحمار يحمل أسفاراً** .•

عزيزي الدارس،

على ضوء ما تقدم تبين لك أن:

أن أهم مهام الرسول الكريم: – صلى الله عليه وسلم:

– تعليم القرآن وبيان تلاوته، وأن تعليم القرآن يقتضي تفسيره،

ومما لا شك فيه أن أعلم الناس بأسرار القرآن ومعانيه هو **الرسول**

– صلى الله عليه وسلم **بما علَّمه الله.**

* ورسولنا الكريم مفسّر للقرآن بقوله المتمثل في الأحاديث النبوية الشريفة التي بذل فيها جهابذة المسلمين – **الجهبوز الخبير الضليع المتمكن** – وعباقرتهم كل جهد مستطاع فكانت الصحاح كصحيحي البخاري ومسلم وصحيح ابن خزيمة وكتب السنن كسنن ابن ماجة والبيهقي، وكانت المسانيد كمسند أحمد وابن أبي شيبة وكانت المعاجم كمعاجم الطبراني وغير ذلك من التصانيف التي وضعها علماء المسلمين خدمة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* وكلها – أي الأحاديث النبوية – تشتمل ضرورةً على **التفسير قولاً وفعلاً وأخلاقاً وشمائل** فالرسول الكريم **الترجمة العملية** لما في **القرآن الكريم من أحكام وتعاليم ولهذا كان** ذلكم القول الجامع من زوجه عائشة – رضي الله عنها:

• هذا هو المثل الذي ضربه الله سبحانه وتعالى لليهود في سورة الجمعة إذ حملوا التوراة فلم يحملوها وأنشد أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبين:

زواملُ للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا بأحماله أو راح ما في الغرائر

عندما سألها بعض التابعين عن أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه فقالت كالمستنكرة (أو لم تقرأ القرآن يا فتى)؟!

يعنى لو قرأ القرآن لكفاه مئونة ذلك السؤال (كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه).

وحكى القرطبي في جامع الأحكام:- (أن عائشة سئلت عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فتلت الآيات العشر الأولى من سورة (المؤمنون) التي حملت جملة صالحة من المكارم خشوع في الصلاة ، فعل للزكاة ، عفة في الفرج ، وفاء بالعهد ، وأداء للأمانة) .•

* وآية النحل صريحة في مكان الرسول صلى الله عليه وسلم من تفسير القرآن وبيانه.

➢ قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النحل/44)

~ بل إن آية إبراهيم دالة على أن هذا سارٍ في جميع الرسل وذلك إذ يقول – عز وجل:

➢ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم/ 4)

~ وعند البيان المفصل تنتهي مسئولية الرسول وتلزم الحجة قومه.

عزيزي الدارس،،

استقرئ الآيات المتقدمة!

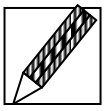
وتوقف عند:

- **يتلو** عليهم آياته.
- **يعلمهم** الكتاب.
- **ليبين للناس** ما نزل عليهم.

"تتكشف لك بوضوح **مرتبة السنة كمصدر ثانٍ للتفسير**، ووظيفة الرسول – صلى الله عليه وسلم – كأول **مفسر** للقرآن".

• القرطبي / أحكام القرآن /104/12.

تدريب (6)



روي عن عائشة رضي الله عنها:

(أن الرسول صلى الله عليه وسلم – كان خُلقه القرآن)

1. حلل ذلك في ضوء أن السنة هي المصدر الثاني للتفسير؟
2. علامّ يدل قول الله تعالى:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾

أسئلة تقويم ذاتي



1. من أول من فسر القرآن؟ وما دليلك؟
2. اذكر الآية التي تعهدت بالعناية التامة بالقرآن تنزيلاً وتفسيراً؟
3. أكد القرآن الكريم في الكثير من آياته مهمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – الرئيسة، اذكر بعضاً منها ببعض ووضح علاقة ذلك بالتفسير.
4. استدل ببعض الآيات والأحاديث على مكانة السنة كمصدر رئيس للتفسير؟

2.2 أحاديث التفسير

- ونحن لا **نزعم** أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد **فسر القرآن كله سورة سورة، وآية آية، وكلمة كلمة** فمنه من لا يحتاج إلى تفسير أصلاً فمعناه في ألفاظه ظاهر مكشوف لكل سامع.

~ وهناك حديث منسوب إلى السيدة عائشة أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يفسر شيئاً من القرآن إلاّ آيً بعددٍ علمهنّ إياه جبريل – عليه السلام.

➢ والعلماء في هذا الحديث إما مؤول وإما منكر فمنهم من أنكره جملة وتفصيلاً ولم يصحح نسبته إلى عائشة – رضي الله عنها –، ومنهم من قال إنها إنما تشير إلى آيات مخصوصة أشكلت عليه – صلوات الله وسلامه – عليه فجاء جبريل – عليه السلام – **بالتأويل كما جاءه بالتنزيل.**

➢ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (القيامة/ 17 – 19)

~ وحديث عمر بن الخطاب – قبض رسول الله صلى الله وسلم – ولما **يفسر لنا آية الربا** دال على أن **الرسول** – صلى الله عليه وسلم – قد فسر لهم كثيراً من الآيات القرآنية. بل إن الواقع العلمي يشهد شهادة حق على أن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر من القرآن ما ليس بقليل وقد قال العلماء:–

إن (الجامع) في الأحاديث النبوية لا يستحقّ صفة (جامع) إلا إذا اشتمل على كتب ثمانية من بينها " **كتاب التفسير** " والناظر في كتب التفاسير في تلك الجوامع كالجامع الصحيح المسند **لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري** يجد جملة صالحة من تلك الأحاديث المفسرة لآيات الكتاب المجيد.

هذه الأحاديث المجموعة المفسرة لكتاب الله عز وجل تمثل المصدر الثاني ذلك لأن المصدر الأول هو القرآن نفسه بما فيه من بسط وشرح وتفصيل وبيان. والرسول صلى الله عليه وسلم معدن البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآي كتابه كما يقول ابن جرير الطبري.

أضف إلى المجموعات الحديثية بعض الكتب التي ألّفت في علوم القرآن **وجلال الدين السيوطي** يورد في أواخر كتابه الإتقان في علوم القرآن الأحاديث التي صُرح برفعها للرسول صلى الله عليه وسلم وهاك بعض أمثلة منه:

1. ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ (البقرة /197)

* أخرج **الطبراني** عن **أبي أمامة** قال، قال **رسول** الله صلى عليه وسلم قال: (شوال وذو القعدة وذو الحجة).•

2. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ (البقرة/ 143)

عن أبى سعيد الخدريّ من رواية أحمد والترمذي والحاكم عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال (عدلاً) •

* وقد تأتي هذه الأحاديث المفسرة منه – صلوات الله وسلامه – عليه **ابتداءً من غير ما سؤال من أحد** وذلك من **باب التعليم** فقد بعث – صلوات الله وسلامه – معلماً وقد تكون إجابة عن سؤال مثل:

▲ قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا ﴾ (آل عمران/ 7)

* عن أبي الدرداء الصحابي الجليل الذي قال فيه صلوات الله وسلامه عليه " نعم الفارس عويمر" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين فقال " **من بّرت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه وعف فرجه وبطنه فذلك من الراسخين في العلم** "

ويلاحظ أن **الرسول** صلى الله عليه وسلم لم يشر إلى **علم نظري أكاديمي مجرد** وإنما نظر إلى **ثمرة العلم وهى العمل.**

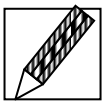
* وقد تأتي تعقيباً عن حادثة أو تصويباً لخطأ أو تقويماً لاعوجاج في الفهم ومن أبرز الأمثلة على ذلك الحديث الذي أخرجه أحمد والشيخان عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام/ 87)

شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه ؟

• لسيوطي / الإتقان /ج191/2

• السيوطى / الإتقان /ج191/2

تدريب (7)



1. حلل قول من قال استناداً على حديث لعائشة رضي الله عنها:
(بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يفسر إلا آيات معدودات أشكلت عليه فجاءه جبريل – عليه السلام بالتأويل)
ورد عليه بما انتهى إليك من دور السنة كمصدر ثانٍ للتفسير.

وأصل الظلم في اللغة **وضع الشيء في غير موضعه** فإذا حفرت في أرض ليست بموضع للحفر سميت تلك الأرض مظلومة كما قال نابغة بنى ذبيان:

وقفتُ فيها أُصيلاناً أسائلها عيّتَ جواباً وما الربع من أحد

إلاّ الأواري لأيا ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلدِ

ومنه قول الحادرة:

ظلم البطاح له انهلالُ حريصةٍ فصفا النطاف له بعيد المُقْلع•

- وهكذا أخذ الصحابة (الظلم) المذكور في آية الأنعام في مدلوله اللغوي الفضفاض غير المنضبط أن تضع الشيء في غير موضعه فإنك إن خرجت من الطاعة إلى المعصية ولم تمتثل أمراً ولم تنه عن منهيّ وذهبت تأتى فاحشة أو ترتكب إثماً أو تقترف ذنباً فقد خرجت عن دائرة الأمن والهداية التي وعد بها الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم. ومن هنا كان الفزع والخوف والمشقة فكلُّهم خطّاء وكلهم لا يخلو من ذنب يلابسه أو إثم يخالطه فقد هلكوا إذن فما كان منه – صلوات الله وسلامه عليه – **إلا أن كشف لهم ما عَمِي** عليهم وقال:

✓ (إنّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا العبد الصالح ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ (إنما هو الشرك). • (لقمان/ 13)

• من كلمته العينية ومطلعها:
بكرت سُمية بكرة فتمتع وغدت غُدو مفارقٍ لم يرجع وانظر المفضليات /44.

ولعلك قد لاحظت كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **قد استدل بالقرآن على القرآن وفسّر القرآن بالقرآن** كما أشرنا من قبل المصدر الأول من مصادر التفسير.

✓ مما سبق ذكره يتبين لنا أن **الأحاديث النبوية التي جاءت مفسرة للقرآن الكريم** كثيرة ومتنوعة ومنها ما يأتي مؤكداً لما في الكتاب فقول الله عز وجل:

➢ ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ﴾ (الفرقان/ 68)

~ يؤكده حديث ابن مسعود وهو مما اتفق عليه الشيخان:

(قالوا أيّ الذنب أكبر؟ قال: أن تجعل لله نداً وقد خلقك. قالوا: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يأكل معك. قالوا: ثم آي؟ قال: أن تزاني حليله جارك) •

- وحليله الرجل زوجه ومنه قوله تعالى: ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ (النساء /23)

ومنه قول عنترة فى المعلقة :

وحليل غانية تركت مجندلاً تمكو فريصته كشدق الأعلم

✓ وكتب التفسير **مشحونة بالأحاديث المفسرة** ففي **الكشّاف** وهو دون بعض التفاسير **كابن جرير الطبري** في الاستشهاد بالحديث تجد بعضها في قوله عز وجل:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾ (الأنعام / 125)

يشير إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

- (إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا وهل لذلك من أمارة " أمارة بالفتح أي علامة " ؟ قال التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله)

• لقمان /13 وانظر السيوطى / الاتقان ج193/2 / والزركشى البرهان /ج1/14-15

• الزركشي – البرهان – ج 1 – ص: 193.

3.2 الأحاديث الموضوعة

ولكثرة الأحاديث التي تكتظ بها كتب التفسير نبّه بعض العلماء إلى الاحتراز من **الأحاديث الموضوعة** التي لا تثبت ولا تصح نسبتها للرسول – صلى الله عليه وسلم.

➢ ملحوظة مهمة:

كالحديث الطويل في فضائل السور سورة سورة، فقد نص العلماء على أنه موضوع وهذا لا يمنع أن هناك أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلتها بعض السور.

بل أن من المفسرين من أُتهم بوضع الأحاديث تأييداً لبعض المذاهب الفاسدة فقد قالوا عن الزمخشري:

ويثبت موضوع الحديث تعصباً لمذهب سوء فيه أصبح مارقا

- ولعل للعداوات المذهبية أثرها في ذلك المنحى – أي اتهام بعضهم بعضاً بوضع الأحاديث انتصاراً لمذاهبهم – وإن كُنّا لا ننزه كشاف الزمخشري عن أحاديث منحولة وقد كفانا الإمام ابن حجر العسقلاني تكلفة التنقيب عنها فقد ألف كتاباً سماه (الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف).

(ولعل ما ذهب إليه ابن حنبل من أن المغازي والملاحم والتفسير – يعني الأحاديث المتعلقة بها – • لا أصل لها إذ انقطعت كثير من أسانيدها لا يخلون – أي أحاديثها – من شيء من صحة).

عزيزي الدارس:

خلاصة ذلك أن أحاديث المغازي والملاحم والتفسير إذا انقطعت أسانيدها أضحت ضعيفة ولا أصل لها ولا يحتج بها، وهذا لا يعني أنها كلها هكذا بل فيها ما هو صحيح.

• السيوطى – الإتقان – ص /178.

أسئلة تقويم ذاتي



1. هل فسر **الرسول** – صلى الله عليه وسلم – كل القرآن تفسيراً مفصلاً وشاملاً؟ علل إجابتك؟
2. ما تفسيرك لقول عائشة – رضي الله عنها – أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان خلقه القرآن؟
3. اذكر الآيات القرآنية التي تعهدت بحفظ القرآن تلاوةً وتفسيراً، واستدل من ذلك على مكانة السنة كمصدر رئيس من مصادر التفسير.
4. تفسير السنة للقرآن ضروب شتى، عدِّدها، مع التمثيل لها.
5. اذكر بعض المواضع التي أشكل على الصحابة فهمها وفسرها الرسول – صلى الله عليه وسلم.
6. ما هي الأحاديث الموضوعة، وما علاقتها بالتفسير؟
7. الأحاديث التي وردت في التفسير كثيرة جداً، استدل ببعض الأمثلة، وبيِّن مدلول ذلك؟
8. اكشف عن سبب ظهور الأحاديث الموضوعة في كتب التفسير؟

3. اللغة العربية

يشير القرآن الكريم في **أكثر من موضع أنه نزل باللسان العربي المبين المفصح من ذلك قوله تعالى:**

➢ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء: 192 – 195)

➢ وقال تعالى﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزمر: 27 – 28)

➢ وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (فصلت: 3)

➢ وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (يوسف: 2)

➢ وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النحل: 103)

عزيزي الدارس،

هذه الآيات – المذكورة أنفاً – ونظائرها وأشباهها تؤكد ما للغة العربية من منزلة في دراسة القرآن وتفسيره والكشف عن أسراره ومعانيه، ولولا ذلك لما كان للإلحاح على عربيته من كبير معنى.

ولذلك جعلوا المعرفة **بلغة العرب شرطاً لازماً من شروط المفسر** وروى **البيهقى** في (الشعب) عن **مالك** قال:

(لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً)

نكالاً: أي نكلت به أشد التنكيل، والنكال العذاب الشديد ويريد مالك بقوله هذا تقريع من يتجرأ على التفسير بدون علم وزجره وردعه بلا هواده.

1.3 القرآن وعلوم العربية

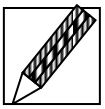
✓ ولعل هذا ما يفسر لنا اجتهاد المسلمين وانكبابهم على **اللغة العربية حفظاً وتحصيلاً ودراسة**. والناظر في تاريخ اللغة العربية يشاهد عن كثب هذا الرابط الوثيق المحكم بين القرآن وبين العربية لغة القرآن. وخوف المسلمين من اندراس اللغة العربية، وانطماس معالمها، وذهاب

آثارها هو الذي شحذ من همتهم ودفع للحفاظ عليها من أن تضيع أو تبور وذلك لأنهم يدركون إدراكاً جيداً أن **زوال اللغة العربية وعفاءها معناه** أن يصير القرآن **كنزاً مغلقاً، وثروة محجوبة.**

وقد أوضح علماء اللغة العربية الأوائل أن غرضهم من دراسة اللغة العربية، والوقوف على خدمتها، ومحاولة الإحاطة بأسرارها غرض ديني في المقام الأول. وأنّهم إنما يبتغون وجه الله، والخطوة عنده عندما ندبوا أنفسهم لصيانة هذا اللسان الذي نزل به القرآن الكريم.

✓ وقد أصاب الأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله مفصل الحق حين قال (حتّى إنّه لولا القرآن لما وضع شيء من ذلك البتة) وذلك في مقدَّمته لأدب الكاتب لابن قتيبة بشرح الجواليقي عهد كان يتحدث عن المؤلَّفات التي وضعها الأقدمون من أمثال الجاحظ ، وابن قتيبة وأبى العباس المبرد وأضرابهم.

تدريب (8)



1. كيف تستدل شرعاً وعقلاً على أن العربية من أهم وأعظم مصادر التفسير ؟
2. ماذا تستشف من قول الرافعي:

(لولا القرآن لما وضع شيء من ذلك البتة) يعني لما كتب شيئاً في الأدب مطلقاً؟

✓ بل أن هناك من العلوم في فروع اللغة العربية أو أصولها ما قد يظنه بعضهم أنّه بعيد عن القرآن وهو منه قريب **فالخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض ومخترعه** يريد أن يثبت أن القرآن ←——— ليس بشعر ولا يجري على بحوره وأعاريضه.

✓ وعلماء البلاغة أرادوا أن يكشفوا عن سر إعجاز القرآن والنحو وأرادوا به حفظ القرآن وصونه من تحريف وتصحيف وقل هذا في سائر ضروب العربية وأقسامها.

✓ ونظرة واحدة في كتاب **الفهرست لابن النديم** ترينا أيّ صلة **وثيقة ضاربة بين أهل اللغة العربية وشيوخها وبين القرآن.** وهاك سرداً لبعض ما ذكره ابن النديم صاحب الفهرست من مؤلفات لأهل العربية فى القرآن الكريم •:

م	عنوان الكتاب	المؤلف
1	معاني القرآن	الكسائي
2	معاني القرآن	الأخفش سعيد بن مسعدة
3	معاني القرآن	يونس بن حبيب
4	معاني القرآن	المبّرد
5	معاني القرآن	قطرب النحوي
6	معاني القرآن	ابن الأنباري
7	معاني القرآن	ثعلب...
8	غريب القرآن	أبي عبيدة
9	غريب القرآن	ابن قتيبة
10	غريب القرآن	محمد بن سلام الجمحي... الخ

عزيزي الدارس،

من خلال النظرة المتأنية في هذا الجدول تدرك الاهتمام البالغ لعلماء العربية بالقرآن الكريم، والعناية بدارسة دقائقه من معاني وألفاظ، وبحثوا في غرائبه، ومضوا في أغوار لغته ومعانيه فأدركوا **بعضاً من لآلئه،** بل إن **القرآن كان الزاد لهم فأمدهم بالكثير مما وسع آفاقهم، ورفد حصيلتهم اللغوية.**

✓ وهل هؤلاء إلا حَمَلة اللغة ونَقَلتها من الكوفيين من أمثل الكسائى وثعلب، والبصريين من أمثال يونس بن حبيب وأبى عبيدة ، والبغداديين الذين حاولوا أن يتوسطوا بين المدرستين من أمثال ابن قتيبة؟!

• ابن النديم / الفهرست /52

✓ ولقد اتسعت دائرة اهتماماتهم لتشمل النحو وأصوله، والشعر وفنونه، والقراءات ووجوهها، والقرآن وتفسيره. وإذا سمعتهم يقولون **معاني القرآن، وإعراب القرآن، ومجاز القرآن** ونحو ذلك فاعلم أنّهم إنما **يريدون تفسيره والإعراب عن معانيه ولا يريدون معنى اصطلاحياً من فاعل ومفعول، وجار ومجرور، وكناية واستعارة، وتورية والتفات فقد كانت تلك المؤلفات سابقة لما استحدثه الناس من بعد من إعراب القرآن كلمة كلمة ومن هذا الباب:**

~ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن •

~ وكتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه •

وكتب التفسير نفسها مليئة **بالمناقشات النحوية والمسائل اللغوية** ويكفى أن نذكر في هذا المجال:

~ جامع البيان للطبري.

~ وكشاف الزمخشري.

~ والبحر المحيط لأبى حيان الأندلسي.

•هذا كتاب من جزءين فى مجلد واحد لأبى البقاء عبد الله بن الحسين الكعبرى (538-616هـ).

•ابن خالويه من أهل اللغة والأدب والنحو كان من حاشية سيف الدولة الحمدانى وبينه وبين المتنبى خصومه.

أسئلة تقويم ذاتي



1. اذكر بعض الأدلة الشرعية التي تدلل على أهمية ومكانة اللغة العربية في التفسير.
2. لماذا اشترط العلماء معرفة اللغة العربية شرطاً لازماً من شروط المفسر؟
3. كيف تفسر انكباب واجتهاد المسلمين في فهم وحفظ ودراسة اللغة العربية؟
4. كيف تستدل على أن علماء العربية إنما أرادوا بعلومهم خدمة القرآن في المقام الأول؟
5. عدّد العلوم العربية التي كُرست لخدمة القرآن فهماً وتفسيراً.
6. عرّف علم العروض، ووضح علاقته بالقرآن، ومن الذي اخترع هذا العلم.
7. ما دور البلاغة والنحو في خدمة القرآن؟
8. سمِّ بعض الكتب اللغوية التي تخصصت في لغة القرآن.
9. كيف ساهمت هذه العلوم العربية في إثراء تفسير القرآن؟
10. أيهما أسبق في الظهور الدراسات اللغوية العامة أم الخاصة بالقرآن؟
11. ما سر اكتظاظ كتب التفسير بالمناقشات النحوية والبلاغية وغير ذلك من المسائل اللغوية؟
12. حدِّد بعض كتب التفسير التي فاضت بالنقاش اللغوي



إن الصلة بين **أهل العربية والقرآن** صلة ثابتة قائمة **غير مقطوعة ولا مفصومة فمن القرآن استمدوا أصولهم وقواعدهم**، ومنه أخذوا الشواهد والحجج، وعليه قاسوا الأشباه والنظائر هذا مع الاطمئنان الكامل لصحته ووثوقه وفصاحته الأمر الذي قَلّ أن يتوافر في غيره من النصوص كالأشعار والخطب فإذا أرادوا مثلاً أن **يستشهدوا على لغة بني الحارث بن كعب**

وهى لغة صحيحة فصيحة وإن تندر عليها بعض النحويين وأطلقوا عليها (لغة أكلوني البراغيث) وجدوا ضالتهم في نحو قول الله عز وجل:

- ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ (الأنبياء: 3)
- ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ • (المائدة: 71)

- ولقد كان هؤلاء اللغويون من العلم بالقرآن الكريم بموضع معروف غير منكور وما منهم من أحد إلاّ وهو ضارب في القرآن وعلومه – وعلى رأسها التفسير – بسهم رابح، وحظ غير منحوس وقد تلقت الأمّة علمهم بقبول حسن:

~ كأبي عمرو بن العلاء البصري.

~ وأبى الحسن علي الكسائي.

وهما رأس في العربية والنحو والقراءة إذ هما من القرّاء السبعة ذوى القراءات الموصولة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد حبا الله عز جل أولئك اللغويين العمالقة بذاكرة فوتغرافية حافظة ولقد روى عنهم الرواة ما يعجب ويدهش.

فأبو بكر بن الأنباري محمد بن القاسم كان يحفظ عشرين ومائة تفسير بأسانيدها وسأله أحدهم عن معنى آية فقال فيها عشرة أوجه •.

وعبد الله بن عطية المفسر الدمشقي المتوفى سنة 383هـ كان يحفظ خمسين ألف بين شعر في الاستشهاد على معاني القرآن. •

• وكفى بالقرآن شاهداً على الصحة إلاّ أن شواهد صحتها كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وكقول الآخر:

* يلومونني فى حب ليلى عواذلي ولكنني من حبها لعميد

• ابن الجزرى – النهاية فى طبقات القراء /2/231.

• السيوطى / طبقات المفسرين /15.

وأبو بكر محمد بن الخليل الأخفش الصغير الدمشقي المتوفى سنة 360هـ كان يحفظ ثلاثين ألف بيت شاهداً على القرآن. •

أما أبو الفرج الشنبوذي الذي تنسب إليه كثير من القراءات الشاذة والذي كان ينكر بعض شروط صحة القراءة والمتوفى سنة 388هـ فقد كان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن. •

تدريب (9)



(إن الصلة بين أهل العربية والقرآن صلة ثابتة غير مقطوعة ولا مفصومة، فمن القرآن استمدوا أصولهم وقواعدهم، ومنه أخذوا الشواهد والحجج، وعليه قاسوا الأشباه والنظائر)

* حلل هذه العبارة في ضوء أن اللغة العربية مصدر رئيس من مصادر التفسير.

2.3 بداية الاهتمام بالعربية مصدراً للتفسير

والاهتمام باللغة العربية بوصفها مصدراً من مصادر التفسير ، ووسيلة من وسائله بدأ في وقت مبكر جداً . فالرواة يحدثوننا أن عمر بن الخطاب تلا على المنبر قول الله عز وجل:

▲ ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ (النحل: 47)

* وسأل ما التخوف؟ فقام **شيخ من هذيل** فقال: (هذه لغتنا يا أمير المؤمنين التخوف التنقُّص)، قال شاعرنا :

تخوّف الرحل منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن

التامك القرد السنام المشرف المتبلد ومنه قول **المثقب العبدي:**

كساها تامكاً قرداً عليها سوادي الرضيخ مع اللجين

• ابن الجزرى النهاية 138/2

• طبقات المفسرين /37

~ وكان **ابن عباس من أوائل روّاد هذه المدرسة التي** اخترعها **عمر بن الخطاب** الذي كان يسأل عن بعض غريب القرآن وقد يستشهد له عليه بالشعر العربي القديم وأما ابن عباس فقد اتخذه سبيلاً مهيعاً، وطريقاً لا حباً، وكان يقول:

(إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب).

✓ وقصة **نافع بن الأزرق** • ونجدة بن عويمر الحنفي معه معروفة مشهورة مذكورة في كتب الأدب كنهاية الأرب لابن الأنبارى ، والمزهر للسيوطي، ومذكورة في بعض كتب علوم القرآن كالإتقان للسيوطي.

✓ قالوا قال: **نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: (**هلم بنا! إلى هذا الذي يجترئ على القرآن نسأله عن غريبه فألفيناه بفناء الكعبة وعمر بن أبى ربيعة المخزومى ينشده قصيدته الرائية :

أمن آل نُعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

فجعلا يسألانه وهو عنهما متشاغل فقالا : **الله الله يا ابن عباس نضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن القرآن ويأتيك فتى مترف من فتيان قريش** ينشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فليضي وأما بالعشي فيخصر

فتتشاغل عنا وتسمع لهذا السفه ؟!

- قال ابن عباس: (ما سمعت سفهاً وإنما هو "يضحى " "ويخصر "يعنى حر النهار وبرد بالليل، قال تعالى:

➢ ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾

(سورة طه:118 – 119)

- قالا نراك قد حفظتها.

قال نعم وإن شئتما أنشدتكما ثم أقبل عليهما يجيبهما عّما سألا عنه ويطلبان على كل تفسير لفظ شاهداً من كلام العرب،• ونكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة على ذلك:

•نافع بن الأزرق رأس طائفة الأزارقة من الخوارج ومنهم الشاعر قطرى بن الفجاءة ونجدة بن عويمر رأس طائفة النجدات وينظر كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم الظاهري

• الاتقان /ج1/120-133 ولعا أصل القصة صحيح ولربما زاد فيها الرواة فمن المستبعد أن يأتي بنحو مائتي شاهد في مجلس واحد.

1/ ينعه

قال: **نضجه**، وذلك في قول الله عز وجل:

➢ ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ ﴾ (الأنعام: 99)

واستشهد بقول الشاعر:

إذا ما مشت بين النساء تأودت كما اهتز غصنٌ ناعم النبت يانع

2/ لازب

قال: **الملتّزق** وذلك في قوله عز وجل:

➢ ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾ ﴾ (الصافات: 11)

واستشهد بقول النابغة:

فلا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب

3/ مقيتاً

قال: **قادراً** وذلك من قول الله عز وجل:

➢ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ (النساء: 85)

واستشهد بقول أصيحة الأنصاري:

وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا

3.3 العلماء والاستشهاد بالشعر

✓ هذا، وقد أنكر بعض الفقهاء المتشددين على المفسرين إلحاحهم في الاستشهاد بالقرآن الكريم، لأن في ذلك استهانة به وخفضاً لمقامه وكأنّنا بهذا الأسلوب في التعامل نجعل من

الشعراء أصلاً يحتكم إليه ومن القرآن فرعاً تابعاً لذلكم الأصل وزادوا أن الشعر مذموم في القرآن لقول الله عز وجل:

➢ ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ (الشعراء: 224 – 226)

~ كما أنه مذموم في الحديث أيضاً لقوله صلوات الله وسلامه عليه:

(لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يريه خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً)

القيح: المِدّة الخالصة لا يخالطها دم وقيل الصديد. •

✓ والردُّ على هذا الكلام ميسور، ودفع هذه الشبهة هين. فالآية الكريمة لم ترد على إطلاق مطبق لا استثناء فيه وإنّما جاء الاستثناء في قوله سبحانه:

➢ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (الشعراء: 227)

✓ وفقه الحديث – أي فهم الحديث والكشف عن حقيقته – كما أشار سيد المحدثين أبو عبد الله البخاري يدلّ على أن ذلك فيمن جعل الشعر **وُكْدَه** أي هدفه وغايته فإن اتخذت الشعر **غاية في نفسه، وهدفاً في ذاته انطبق عليك الوعيد المذكور في الحديث**، ولكن إن اتخذته **وسيلة من الوسائل التي تكشف** بها عن معاني الآية القرآنية، وذلك بما تلقيه من ضوء عليها فنعم الصنيع صنيعك وهذا ما فعله سلف هذه الأمة.

- وما من أحد منهم يتخذ القرآن فرعاً والشعر أصلاً فالاستشهاد بالشعر ليس ليدل على **صِحة** الألفاظ القرآنية فهذه لا تحتاج إلى دليل وليس يصح في الإفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل كما يقول أبو الطيب المتنبي وإنما الاستدلال **لإيضاح** المعاني ليس إلا ولعلّ مبالغة المسلمين في التوافر على دراسة اللغة العربية حتى كادوا يحيطون بها لا يتركون شاردة ولا واردة ولا صغيرة ولا كبيرة من مسائلها إلاّ أحصوها هو الذي دفع **حجة الإسلام أبا حامد الغزالي** ليقول:

• لسان العرب ج351/5.

(إن علم العربية وسيلة فلا تستقصي ولا تتعمق)

هذه العبارة – عزيزي الدارس – تفيد بأن العربية توظف للتعمق في معاني القرآن بما يجلي مراميه ومراد الله تعالى منه فهي وسيلتنا وأداتنا لبلوغ ذاك الهدف، ولا نكرس الجهود في استقصائها والتعمق فيها لذاتها فهي ليست هدفاً في حد ذاتها بل الهدف الأسمى والأول والأخير خدمة القرآن.

ولكن الاهتمام بها بوجه عام واجب لا خلاف عليه بين العلماء فمعرفة الدين في مصدريه الفارعين الفارهين – من كثرة الفروع وشدة الطول، والعبارة كناية عن أنها مصادر غنية ومتشعبة وممتدة بلا حدود، فهي مصادر الدين الرئيسية – من كتاب وسنة واجب **ولا سبيل إلى تحقيق هذه المعرفة الواجبة إلاّ بتعلم اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وتحدث بها الرسول الأمين وما لا ينمُّ الواجب إلا به فهو واجب كما تقول القاعدة الفقهية الذهبية المعروفة.**

تدريب (10)

1. ما سر إنكار بعض الفقهاء للاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن؟
2. ما المراد بقول **الغزالي:**

إن العربية وسيلة فلا تستقصى ولا تتعمق.

• الغزالى / إحياء / ج35/1 ويرى التدرج فى طلب العلوم الكتاب ، السنة التفسير وسائر علوم القرآن من ناسخ ومنسوخ ، ومفصول وموصول ، ومحكم ومتشابه كذلك فى السنة ثم الفروع فى الفقه دون الخلاف فأصول الفقه

ولذلك قال **ابن خلدون** في مقدمته المشهورة:

(النظر في القرآن والحديث لابد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنّه متوقف عليها))

وقد يدرك العربي بحسه اللغوي الفطري السليم ما لا يدركه غيره، قال **الطبري** في تفسيره: (اختلف عبيد بن عمير مع سعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح في قول الله عزّ وجلّ (أو لامستم النساء)

فقال **عبيد بن عمير**: (أو لامستم: جامعتم)

وقال **سعيد وعطاء**: (أو لامستم: هو اللمس) فحكَّما ابن عباس فقال: (غُلب فريق الموالى وأصابت العرب)، أي إن القول ما قال عبيد بن عمير "أو لامستم" جامعتم.

ونختم الحديث عن كون اللغة **مصدراً من مصادر التفسير**، ووسيلة من وسائل تفسيره بالإشارة إلى أن اللغويين اتخذوا طرائق قدداً، ومذاهب شتى في تعاملهم مع القرآن الكريم فمنهم من فسره آية آية، ومنهم من اختار منها سوراً بأعيانها، ومنهم من اهتم بنحوه وتصريفه وإعرابه، ومنهم من نظر إلى بلاغته وحسن بيانه، (وبديعه) • (وكناياته وتشبيهاته) •.

ومنهم من وقف عند مفرداته ⟵ **كالرّاغب الأصفهاني.**

ومنهم من نظم مفردات غريب القرآن⟵ **كما فعل الشيخ الديرينيّ**

(رحمه الله، ومنظومته مطبوعة في كُتيب صغير الحجم وهى على جودتها لم تنل حظاّ من شهرة وسيرورة حسب ما أعلم، وقد أشار إليها **أُستاذنا / عبد الله الطيب** في تفسيره (لجزء عمّ) عندما وقف عند قول الله عز وجل:

• ابن خلدون – المقدمة – ص: 364.

•ممن ألف فى بديع القرآن ابن أبي الاصبع المصري

• وممن ألف فى تشبيهاته ابن ناقيا البغدادي في كتابه (الجمان فى تشبيهات القرآن) الذى نشر بالكويت وابن ناقيا من علماء القرن الخامس الهجري.

▲ ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (النبأ: 33)

وذلك إذ يقول الشيخ **الديريني:**

كواعب نواهدٌ والكاعب إذا استدار ثديُها للاعب

أسئلة تقويم ذاتي



1. كيف تصف الصلة بين القرآن الكريم والعربية؟
2. عدّد بعض علماء اللغة الذين خدموا التفسير خدمة عظيمة؟
3. كيف ترد على من أنكر الاستشهاد بالشعر في التفسير؟
4. ما قول البخاري في حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم:
(لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يريه خيراً له من أن يمتلئ شعراً)
5. لماذا كان معرفة العربية والتعمق فيها شرطاً وواجباً لعلم التفسير وبقية العلوم الدينية.
6. عدِّد مذاهب اللغويين في التعامل مع كتاب الله الكريم، واضرب أمثلة على هذه المذاهب؟

4. أهل الكتاب

لفظة " **أهل الكتاب**" كثيرة الذكر في كتاب الله عز وجل ولا سيما في القرآن المدنيّ كالزهراوين – البقرة وآل عمران والنساء والمائدة –

وهذه اللفظة أهل الكتاب تشمل (اليهود) ولهم (التوراة) التي تعرف بالعهد القديم (The old Testament) وغيرها من الكتب التفسيرية والتاريخية والأدبية والأسطورية (كالمشنا– Mishnah) والتلمود. كما تشمل النصارى ولهم الإنجيل أو ما يعرف بالعهد الجديد (The New Testament) الكتاب المقدس (The Holy Bible) يشمل العهدين القديم والجديد معاً.

- وإذا ضربنا الذكر صفحاً – أي صرفنا النظر أو تركنا ذلك جانباً – عن التحريف والتبديل والإخفاء الذي أحدثه اليهود والنصارى في كتبهم وقد فضحهم الله تعالى في آيات كثيرة:

➢ ﴿ يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (آل عمران: 78)

➢ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(البقرة: 79)

➢ ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (المائدة: 15)

تدريب (11)



التحريف، التبديل، الإخفاء من صفات اليهود والنصارى الذميمة والتي تكشف عن كفرهم بأعظم نعم الله كتبه المنزلة على رسلهم – عليهم السلام – والتي احتوت على النور والهداية والشرائع السماوية التي جوهرها التوحيد.

حلل تلك الصفات الثلاث، وقارن بينها، وبيِّن مآل هذا السلوك والعقوبة الإلهية التي ترتبت على هذه الآثام العظيمة.

1.4 القرآن والإنجيل والتوراة

أقول – أي المعد – إذا أعرضنا عما تعرضت له كتب أهل الكتاب بأن التوراة والإنجيل والقرآن كلها ذات أصل واحد، ومنبع واحد، ومشكاة واحدة.

- فالذي أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى.
- والقرآن على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض تبارك اسمه وجلّ جلاله، وعز جاره وفى كلها نور وهدى وقد اكتمل هذا في صورته النهائية في كتاب الله المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولهذا فقد أُخذ العهد والميثاق على النبيين أن يؤمنوا برسولنا الذي جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ولهذا:

- فالفرض الواجب الملزم لأهل الكتاب أن يؤمنوا **بالنور** الذي أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ (المائدة: 15 – 16)

والمتصفح لهذه **الكتب الثلاثة** يجد **أنها لا تخلو من تشابه** ولا سيما **في القصص التاريخية** التي لا تعلق لها بالأحكام والقوانين والعقائد كما في قصة آدم وحواء ونوح وغيرها وهذه لا تخلو من فروق أيضاً إذ القرآن كثيراً ما يكتفي باللمحة الدالة والإشارة السريعة إلى مواطن العبرة، ومكامن العبرة، ومكامن العظة، وقل أن يقف عند الفروع والتفاصيل، وفي هذا ينهج نهجاً مخالفاً لما هو مثبت في كتب اليهود والنصارى التي بين أيدينا.

✓ ولقد حاول ابن خلدون في مقدمته أن يجد تفسيراً لأخذ العرب عن اليهود الذين أسلموا فقال:

(إن العرب أهل بداوة ولم يكونوا أهل كتاب، فإذا تاقوا – إلى معرفة بعض ما تتوق له النفس البشرية من شروح وتفاصيل مما أشار إليه القرآن إجمالاً فإنما يلجئون في ذلك إلى من حولهم من أهل الكتاب).

✓ وهناك بعض الأخبار التي تشير إلى **كراهة الأخذ عن أهل الكتاب** من ذلك ما ذكر عن عبد الله بن عباس انه تساءل مستنكراً قائلاً:

~ (يا معشر المسلمين تسألون اليهود وعندكم كتاب الله تقرأونه محضاً لم يُشب لا والله ما رأيناهم يسألونكم عما أُنزل إليكم).

- محضاً: خالصاً نقياً.
- لم يُشب: لم تخالطه شائبة، أي مبرءاً تماماً.

2.4 المنهج النبوي في التعامل مع روايات أهل الكتاب

وبالجملة فقد أرشدنا الرسول صلى الله علي وسلم إلى أسلوب علمي رصين نتبعه في تعاملنا مع أهل الكتاب وذلك إذ يقول:

- (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم إلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون).

ومعنى ذلك أننا في تعاملنا معهم إنما نتبع الدليل ، ولا ننساق إلا ببرهان فإن قالوا مثلاً الله ثالث ثلاثة أو المسيح ابن الله أو عزير ابن الله أونحن أبناء الله وأحباؤه إلى آخر تلك الدعاوى الفارغة ، والأقاويل الباطلة كذبناهم بما عندنا من حق ينفى

باطلهم ، وبما عندنا من علم يدفع جهلهم . وان قالوا إن هناك يوماً يقوم فيه الناس لرب العالمين فيما عرف عندهم بالبعث " Resurrection " أو الآخرة " Hereafter " أو الساعة " Hour" صدقناهم في ذلك كله إذ عندنا دليل التصديق فيما أوحى إلينا من كتاب وما جاءنا عن نبينا من سنة صحيحة قآئمة .

وأمّا إن ذكروا لنا أخباراً لا نملك عليها دليل تصديق ولا تكذيب كأن يقولوا مثلاً:

- إن نوحاً – عليه السلام – بعث بحمامة فجاءته تحمل غصن زيتون أخضر في منقارها فعلم أن اليابسة قريب فعندها نتوقف غير مكذبين ولا مصدقين.

▲ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء: 36)

{وهذا هو المنهج العلمي الموضوعي العاقل الذي ينبغي أن يتبعه كل ناقد حصيف}

تدريب (12)

1. قارن بين الكتب السماوية الثلاثة القرآن – الإنجيل – التوراة من حيث التشابه والاختلاف، واستنتج بعض أسباب الاختلاف؟
2. ماذا تستشف من المنهج العلمي الرصين الذي وضعه لنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – في التعامل مع الكتب السماوية الأخرى؟

أسئلة تقويم ذاتي

1. من هم أهل الكتاب؟ وما معنى هذه التسمية؟
2. عدّد ألوان التعدي على كتب الله التي ارتكبها أهل الكتاب.
3. اذكر بعض الآيات القرآنية التي تفضح هذه الآثام العظيمة في حق الكتب السماوية.
4. لا تخلو الكتب القرآنية الثلاثة (القرآن – الإنجيل – التوراة) من تشابه، حدد مواطن التشابه، وبين مدى فائدتها للتفسير.
5. كيف نأخذ من أهل الكتاب في تفسير القرآن، استدل على إجابتك بدليل شرعي؟

الخلاصة

عزيزي الدارس،

لقد تعرفت في الوحدة السابقة على مصادر التفسير الرئيسة الأولى ألا وهي:

* القرآن الكريم * السنة النبوية المطهرة * واللغة العربية

– أما القرآن الكريم فهو المصدر المقدم، إذ اتفق العلماء على أن أفضل التفاسير وأكثرها بياناً وتجلية لمراد الله تعالى هو القرآن ذاته، فمن فضل الله على هذه الأمة، ومن إعجازه الباهر أن جعل هذا الكتاب يشرح بعضه بعضاً، فالمجمل يتجلى بيانه مباشرةً أو في آيات أخر، وكذا المبهم والغامض والقصص التي تتشوق لمعرفة أحداثها تكتمل في عدة سور... وهكذا.

لذا قامت مدرسة تفسير القرآن بالقرآن، وصنفت تفاسير كثيرة تقريباً على هذا النهج، ومن أشهرها في هذا العصر (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن) للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

- ومن البدهي أن تكون السنة هي المصدر الثاني في تفسير القرآن بالقرآن، فالرسول –صلى الله عليه وسلم – هو الذي تحمل هذه الأمانة العظيمة التي تنوء بها السماوات والأرض والجبال الرواسخ، ألا وهي أمانة تبليغ الرسالة الخاتمة، ولقد أعانه الله تبارك وتعالى في ذلك، فتعهد له بحفظ القرآن في صدره وأعانه الله على استظهاره وتبليغه غضاً طرياً كما تنزل، ثم على تفسيره وتأويله، ولقد أعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الإعداد الكامل الوافي ليؤدي مهمته العظمى في تعليم الناس القرآن وبيان تلاوته وتأويل معانيه وما استشكل عليهم فهمه، ولقد رأينا من خلال الوحدة كيف كان الصحابة يهرعون إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسألونه عن كلَّ صغيرة وكبيرة في القرآن، فلا مرجع ولا إمام في هذا الكتاب المعجز إلا من اختص به وعليه تنزل، لذا انتظمت كتب الحديث بالسنة المفسرة للقرآن، بل إن بعض كتب الحديث أفردت باباً خاصاً بالتفسير، ونشأت مدرسة التفسير بالمأثور المعتمد في غالبه على أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ومن أشهرها (جامع البيان) للطبري.
- واللغة العربية هي قالب القرآن وأداته في البيان، اختارها الله ببالغ حكمته وعظيم علمه، وكشف طرفاً من أسباب الاختيار في قوله تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾،

فهي لغة توفرت لها كل أسباب الإبانة والفصاحة، ومن دلائل قدرته وإعجازه المبين أن جعل من لغة القرآن ضرباً من ضروب البلاغة والإعجاز المُفْحِم تماماً، وإذا كان القرآن نزل بالعربية فمن البدهي أن يتعرف الناس على هذه اللغة، وإن يستقصوا معانيها وفنونها المختلفة لكي يزدادوا فهماً للقرآن ويغوصوا في معانيه، ويسبروا أغواره، ويدركوا دلالته، ومن هنا كانت العربية مصدراً من أهم مصادر التفسير، والسبيل القوي في فهم كتاب الله تعالى وإدراك معانيه.

- وقد اعتبر البعض روايات أهل الكتاب مصدراً رابعاً – وهو ليس كذلك على الحقيقة – فقد يؤخذ به في بعض الجوانب الثانوية مثل قصص الأنبياء، وحال الأمم السابقة، ومواقف العظة والعبرة، وهذه الإضافة لا تضر ولا تشكل شيئاً في حالة الإهمال وعدم الأخذ بها، ولا ننكر أن هناك تشابها في الكتب السماوية الثلاثة، لكن كتب أهل الكتاب لم تسلم من التحريف والتبديل والإخفاء كما أكد القرآن الكريم، لذا ينبغي التحوط والدقة، وعدم التعويل عليها كثيراً سيما في العقائد والأحكام الشرعية فلنا شرعةٌ ومنهاج هي الأكمل والأتم، وهي التي نسخت الشرائع السابقة كلها وهيمنت تماماً عليها.

لمحة مسبقة عن الوحدة التالية

في الوحدة التالية سنتاول تاريخ التفسير منذ عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – أول مفسر للقرآن الكريم، ثم في عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصرنا الحاضر، ونستوفي طبيعة كل عصر وأثره في التفسير، وأبرز رجال التفسير في كل عصر، وإنجازهم العلمي وأبرز مؤلفاتهم، كل ذلك لأجل أن يلم الدارس بكل ما يتعلق بهذا العلم العظيم، ويدرك بثاقب بصره الأحداث والظروف المختلفة التي أثرت في ظهور المدارس المختلفة في التفسير.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. التفسير أول العلوم الإسلامية ظهوراً، ولازم كتاب الله منذ بدء تنزله، ثم إن علوم القرآن كافةً من المكي والمدني، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.... وغيرها إنما هي أدوات في خدمة علم التفسير، لأن مدار الأمر كله من وراء تلك العلوم هو معرفة المراد من كلام الله تعالى وبذا يكون علم التفسير هو الشامل والحاوي والممثل لكل العلوم القرآنية.
2. اتفق معظم العلماء على أن أفضل مناهج التفسير وأوفقها تفسير القرآن بالقرآن، فمن إعجاز هذا الكتاب أنه يفسر بعضه بعضاً، فما أجمل في موضع بُيِن وفُصِّل في آخر، وما أُبهم في مواطن منه انكشف في غيرها، وبذا يكون القرآن هو المصدر الأول في التفسير بلا مراء، فلا أعلم بمراد الله منه، ومن الواجب على المفسر أن يرجع إلى كتاب الله أولاً يتلمس فيه التفسير، ولا يغادره إلى غيره إلا بعد أن يفتقد ذلك القرآن، لذا اشترط العلماء على المفسر احاطته الشاملة الدقيقة بكتاب الله.
3. كلام العرب لا يمضي على وتيرة واحدة، ولا تحده وجهة واحدة، بل هو رحب واسع ينتقل حيث شاء بين المجمل والمفصل، والمبهم والجلي، وفيه من الإشارات واللمحات التي يلتقطها الفطن، وبه المعاني الظاهرة وتُفضي في حقيقتها إلى أبعاد عميقة، وفيه من السهل السلس والممتنع في آن واحد، وجاء القرآن يمثل لغة العرب بكل أبعادها هذه، فكان أبهى وأبلغ وكان فيه من الإعجاز ما يفوق كل تصور.

تدريب (2)

1. تفسير المجمل غالباً ما يأتي بيانه والكشف عنه مباشرة دون تأخير، فعلى سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾

(الطارق:1- 3)

فالطارق الذي أقسم به الله تعالى، والمذكور إجمالاً دون بيان، ثم استفهم عنه استفهاماً مثيراً جاذباً لكل اهتمام، أجاب عنه مباشرةً بقوله: (ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ)، فتأمل كيف أتى مباشرةً بتفسير وبيان المجمل.

2. سورة القدر.

سورة القارعة.

سورة الفيل.

3. نعم، في ذلك حكمة عظيمة وفائدة تعليمية ناجعة، ففي ذلك لفت للانتباه، وإثارة للاهتمام، وجذب السامع بقوة ليتفكر ويتدبر، ويبحث في خاطره عن الإجابة فإذا لم يجدها يلتمسها هنا وهناك، وكل ذلك يتم في زمن يسير، ويكون ذهنه بذلك مستعداً كل الاستعداد، وحاضراً كل الحضور فيجدها لديه قريبة ميسرة كل التيسير، فيتلقفها بلهف وتصيب الهدف تماماً، ويستوعبها بذلك كل الاستيعاب، ويدرك أبعاد المراد وما ينطوي عليه من أهمية.

تدريب (3)

1. الإعجاز يتمثل في بُعد الشقة بين علم الله تعالى المعجز الواسع المحيط، وبين علم البشر الضئيل الطفيف، فكلما قرأ الإنسان القرآن تبيَّن له جهله، ولا مناص له مهما أوتي من العلم إلا أن يرجع إلى القرآن مرات ومرات، ليلم بطرف من هذا العلم الواسع سيما فيما يتعلق بأمور الغيب.
2. هم الذين اشتهروا إبان السبعينات بالأخوان الجمهوريين، وخلاصة ما جاء به وأسموه (الرسالة الثانية) فهم ألغوا القرآن المدني جملةً وتفصيلاً وذلك كمدخل لإلغاء كل التشريعات الإسلامية، لأن كل ما يتعلق بالحياة المدنية إنما جاء في القرآن المدني، ووصفوا هذه التشريعات بأنها حالة خاصة كل الخصوصية بالمجتمع المدني وبذاك العصر فقط، ولا يصلح البتة في القرن العشرين والثابت عندهم فقط القرآن المكي المقتصر في معظمه على جوانب العقيدة والمتقدم غالباً في النزول، فأنّى للمتقدم أن ينسخ المتأخر؟! ومن الواضح أنها دعوة لاستئصال التشريع الإسلامي من الجذور، ثم التشريع كما يحلو لهم بحجة أن الإسلام لابد له أن يواكب النظام العالمي فنادوا بالمساواة

بين الرجل والمرأة في الميراث وفي حق الطلاق، ونادوا بأبعد من الشيوعية في النظام المالي فقالوا كل ما زاد عن حاجة الفرد ولو ضئيلاً جداً ليس بحقه احتجاجاً بقول الله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾، (البقرة: 219) والعفو هو اليسير جداً فانظر كيف قلبوا الآية، وكيف طوعوها لخدمة الأهواء... إلى غير ذلك من الإنكار والمبادئ الجاهلة والتخريجات البعيدة التي لم تخلص إلى نفع ينفع الناس أو علماً واجتهاداً يمكث في الأرض.

تدريب (4)

1. القراءات لها أثرها البالغ، وفائدتها غير محدودة في فهم مراد الله تعالى، وفي استنباط الأحكام الفقهية المتعددة المتباينة بما يعين أهل التأويل والاجتهاد، ويوسع على الناس المشارب والمناهل التي ينهلون منها، فالناس ليسوا على طبيعة واحدة، وتقبلهم وفهمهم ومزاجهم ليس صورة منسوخة مكرورة، فالمذاهب المختلفة والقراءات السبع إنما جاءت لتوافق وتقابل عدم الانسجام بين الناس، وتوفر البدائل ليأخذ كل أناس مشربهم بما يوافق فهمهم وطبعهم ومزاجهم وبيئتهم، وهذا من أعظم الأدلة على عظمة ومرونة هذا الدين وسعته ورفعه للحرج عن الناس، ومن الفوائد العظمى للقراءات أنه حتى الشاذ منها ينطوي على فائدة إذ تُعزز وتفسر المشهور من القراءات، بل تُفسر الآية لأنها في حقيقتها شرح مقحم في الآية، وليست قراءة وإن عدَّه البعض عن سوء فهم أنه قراءة.
2. إنها تمثل لغات العرب المشهورة قريش.•

تدريب (5)

إنها ليست قراءة، ولا تعد من القرآن في شيء، بل هي تفسير للصحابة أُقحم في النص إقحاماً يهدف إلى توضيح المعنى وتفسيره، وبطريق الخطأ تناقله الرواة على أنه قراءة من القراءات، وهو ليس بذلك البتة.

•من خلال التدريبات (4، 5) يمكنك الإجابة على 2،3 في تدريب (5)

تدريب (6)

1. في هذا الحديث دلالة عظيمة على أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يتجسد فيه القرآن، فمن أراد أن يتفهم القرآن ويدرك أبعاده فلينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وعليه فإن السنة قولاً وفعلاً وتقريراً... الخ ليست مصدراً فحسب بل هي الوجه الآخر للقرآن الكريم تفسره وتشرح ما غمض منه، وتوضح لهم التطبيقات العملية للأوامر الشرعية، فكان بذلك الرسول أو مفسر للقرآن، وأول مطبق له، فإذاً السنة إذن هي مصدر ثمين من مصادر التفسير.
2. أن مهمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – الأولى تعليم الناس تلاوة القرآن وبيان معانيه وحكمه وأحكامه والاستفادة منه كل الفائدة وهذا لا يتأتى إلا بالتفسير.

تدريب (7)

الواقع أن – الرسول صلى الله عليه وسلم – قد فسر كثيراً من القرآن. والأحاديث المفسرة للقرآن اكتظت بها كتب الحديث والفقه، ولقد أفرد لها البخاري كتاباً خاصاً في صحيحه سماه (كتاب التفسير)، أما حديث عائشة فقد أنكره الكثير من العلماء، وأوّله البعض على أن ذلك يتمثل في آيات على أصابع اليد أشكلت على الرسول – صلى الله عيه وسلم– فجاءه جبريل – عليه السلام – بتأويلها كما جاء بتنزيلها.

تدريب (8)

1. إن معرفة القرآن واجبة، وإن السبيل إلى ذلك هو معرفة اللغة العربية التي نزل بها وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، لذا جعلها العلماء شرطاً **أساسياً** من شروط المفسر.
2. إن النهضة الأدبية واللغوية التي قامت على إنجازات فطاحل اللغة يرجع الفضل فيها إلى القرآن الكريم، فقد كان الدافع الرئيس والجوهري للاهتمام بهذه اللغة لأنها لغة القرآن الكريم فكان مرامهم الذي لا مراء فيه أن خدمة العربية هي خدمة القرآن في المقام الأول، وفي المقصد الأسنى، وهذا يعكس أيضاً مدى تلازم العربية والقرآن، ومدى قداسة هذه اللغة بسبب القرآن.

تدريب (9)

من البدهي أن تكون اللغة العربية هي المصدر الذي عليه مدار الأمر في التفسير، فالقرآن تنزل بها، وكان هدف الرسالة هم العرب في المقام الأول، ونبي الرسالة عربي، بل إنه أحد تحديات وإعجاز القرآن المتعدد بلا حدود كان إعجازاً لغوياً أعجز العرب الأقصاح أرباب الفصاحة واللغة، ومن عجائب إعجاز هذا الكتاب الكريم أنه أصبح مصدراً وينبوعاً لا ينضب لأهل اللغة فهو المرجع الأكيد الذي لا يُضاهى في النحو والأدب والبلاغة ولغات العرب وفن التعبير الراقي، فهو يعلو ولا يُعلى عليه، لذا انكب العلماء فيه دراسةً وبحثاً واستقصاء فاستخرجوا الدرر واللآلئ وكل ثمين ولم يشبعوا ولا زالوا، ولن يبلغوا منه شيئاً، فأصبح القرآن هدفاً ووسيلة لأهل اللغة، فأفاد التفسير من أهل اللغة، وأفاد أهل اللغة كل الفائدة من القرآن الكريم. وأصبح لا مناص لأهل اللغة من القرآن الكريم تفسيراً وتحليلاً واستقصاء لمعاينه، فمن أراد أن يرتاد المنهل العذب الصافي، فلا سبيل له إلا رِفد القرآن الكريم.

تدريب (10)

1. اعقاداً منهم أن في ذلك استهانة بالقرآن الكريم، وعدم تقديره حق قدره إذ نجعل الشعراء الذين ذمهم الله تعالى في كتابه أصلاً نحتكم إليه، وندع القرآن فرعاً له، أضف إلى ذلك أن الشعر مذموم أيضاً في السنة، والرد على هؤلاء مفصل في الوحدة فارجع إليه.
2. المراد أن الهدف الحقيقي والغاية الأسمى هي معرفة الله تعالى، والوسيلة إلى ذلك والواسطة هي اللغة العربية، فالاستقصاء حقاً، والمبالغة في البحث، والغوص في أغوار اللغة ليس لأجل اللغة في حد ذاته بل طلباً للمعاني ومعرفة مراد الله بأقصى ما تستطيعه الإمكانية البشرية.

تدريب (11)

التحريف: الانحراف عن المعنّي القاطع الواقع الذي لا لبس فيه، والميل به عن مقصده فينصرفون به كل وجهةٍ بعيداً عن مراد الله وهم يعلمونه كل العلم، ويرتكبون كل ذلك لأجل المصالح الدنيوية الساقطة، ولقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾.

التبديل: بتبديل كلام الله بكلام الكهنة والرهبان وكبراءهم وكل ذلك من أجل ثمن بخس قليل، ويخدعون الناس بأنه من عند الله وهو ليس من الله في شيء.

الإخفاء: التكتم على آيات الله الحقة المنزلة، فكل ما لا يوافق أهواءهم، ولا يناسب مصالحهم أخفوه كل الإخفاء، ولو أنهم أظهروه لانكشف وانفضح أمرهم، فجعلوا الدين حكراً لهم وحدهم من دون الناس، وحالوا بين الناس وبين كتب الله المطهرة الهادية إلى سواء السبيل.

أما **العقاب** فهو اللعن والطرد من رحمة الله كما نوه القرآن في آخر سورة الفاتحة وفي غيرها، وتوعدهم بالخزي في الحياة الدنيا، والعذاب المقيم في الآخرة.

تدريب (12)

1. الكتب السماوية الثلاثة (القرآن – التوراة – الإنجيل) خرجت من مشكاة واحدة، ونزلت كلها من عند الله تعالى بالتوحيد الخالص، وبالعظات والعبر، والوعد بالجنة والثواب الجزيل لأهل الإيمان، وبالوعيد والعذاب الشديد للكفرة، ولكن أيدي التحريف والتخريب بدلت وغيرت الكثير من آيات الإنجيل والتوراة وفي أخص الخصائص لتلك الكتب ألا وهو جانب التوحيد، لكن يظل هناك تشابه بينها وبين القرآن في قصص الأنبياء وما وقع بينهم وبين الأمم التي بعثوا فيها، وغير ذلك من العظات والعبر والحكم مما أفاد أهل التفسير، أما أحكام التشريع الخاصة بهم والتي نسخها القرآن، ومواطن التحريف والتبديل جعل بينها وبين القرآن شقة عظيمة، بالإضافة إلى ما تفرد به القرآن من ألوان الإعجاز والتكريم مما يجعله نسيج وحده، ناسخاً لكل الكتب السماوية.
2. إن النهج العلمي الرصين الذي بدأه الإسلام، نهج محايد، يسعى الحقيقة دون ميل لعاطفة أو هوى، ومتى ما وجد الحق اعترف به، ويتوقف، غير مصدق ولا مكذب حتى يستبين له الحق.

مسرد المصطلحات

❁ **المصدر**: في اللغة ما يصدر عنه فكل ما يمد ويرفد غيره بمادة من المواد يسمى مصدراً، على سبيل المثال: البحر، النهر، النبع مصادر للحياة، والمناجم مصادر للمعادن، والكتب مصادر للعلم والمعرفة، والعلماء مصادر لما اجادوا من علوم.

والمصدر في البحوث العلمية بخلاف المرجع، فالمصدر الذي لم يسبق في مجاله ولم يأخذ من غيره، والسابق إلى فن من الفنون وعلم من العلوم، أو خبرة من الخبرات، أما المرجع من رجع إلى المصادر، وغيره من المراجع ليضيف الجديد إلى العلم والمعارف – والبعض يعد المصطلحين مترادفين.

❁ **مصادر التفسير**: يعني بها المعد ما أخذ عنها المفسرون ولا يزال يفعلون، فهي المعين الذي لا ينضب لكل من أراد التفسير فلا بد له أن يرجع إلى هذه المصادر الرئيسة وهي ثلاثة:

1/ القرآن الكريم. 2/ السنة المطهرة. 3/ اللغة العربية.

والرابع اعتبر – تجاوزاً – من المصادر، ولم يبلغ حقاً هذه المرتبة ويتمثل في (روايات أهل الكتاب).

❁ **أهل الكتاب**: اليهود والنصارى وكتبهم (التوراة والإنجيل).

❁ **القراءة المتواترة**: هي القراءة التي جاءت عن رواية متواترة

والحديث المتواتر هو ما رواه في كل طبقة من طبقاته جماعة يستحيل العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد روى هذا الجمع الحديث عمنّ قبلهم من الابتداء إلى الانتهاء، واستندوا إلى أمر محسوس – أي السماع عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو رؤية فعله. أو إقرار أحد على قوله أو فعله – فيروى الحديث جمع من الصحابة ثم جمع من التابعين، وجمع من تابع التابعين وهكذا إلى نهاية السنة – والشرط أن يكون عدد الرواة جمعاً كثيراً في كل طبقة من الطبقات الثلاث الأولى (المصدر – التابعين – تابع التابعين) أما العصور التالية فلا يطلب فيها هذا الجمع لأن الحديث قد بدأ تدوينه من عهد التابعين وفي رواية منذ عهد الرسول والصحابة، وصار من اليسير تواتره خاصة في عهد تابعي التابعين.

❁ **القراءة المشهورة:** هي القراءة التي خلصت إلينا عن رواية مشهورة.

والمشهور: هو الحديث الذي اشترك في روايته ثلاثة أو أكثر عن شيخ على أن يكون رواته قد بلغوا حد التواتر في القرنين الثاني، والثالث، أي في عصري التابعين وتابعي التابعين. أي اشتهروا رواية الأحاديث المتواترة والمشهورة.

والفرق بين المتواتر والمشهور: أن المتواتر يرويه عدد يحيل العقل عادة تواطئهم على الكذب في كل طبقة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى وصوله إلينا. أما السنة المشهورة فلا يشترط، في الطبقة الأولى من الرواة أن يكون مثل جموع المتواتر، بل يكفي أن يكون سمعها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – راوٍ واحد.

والمشهور قسمان:

مشهور مطلق: وهو ما اشتهر به المحدثون وغيرهم من الفقهاء الأصوليين.

مشهور مفيد: وهو ما اشتهر به المحدثون فقط.

فالقراءة المشهورة إذاً أقل درجة بكثير من القراءة المتواترة.

❁ **القراءة الشاذة:** سميت قراءة تجاوزاً فهي ليست قراءة، وإنما في حقيقتها تفسير مقحم وسط الآية ليوضح كلمة أو معنى من صحابي أو تابعي... إلخ، وقد فهم البعض عن طريق الخطأ أنها قراءة ولفظة (الشاذة) إشارة إلى شذوذها عن مواصفات القراءات عن توفر سند لها، وضعفها الأكيد.

المصادر والمراجع

1. ابن تيمية، **أبو العباس أحمد عبد الحليم بن عبد السلام الحرَّاني**، ت (728هـ)، **مقدمة التفسير**.
2. الزركشي، **بدر الدين محمّد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن**، الطبعة الثانية (1972م)، بيروت.
3. ابن جنى، **أبو الفتح عثمان** ت (392هـ)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، الطبعة الأولى (1998م) بيروت.
4. ابن النديم، **فهرست العلوم**، (1348هـ) القاهرة.
5. السيوطي، **جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر** ت (911هـ)، **طبقات المفسرين**، (1960م) طهران.
6. الغزالي، **أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد** ت (505هـ)، **إحياء علوم الدين**، الطبعة الأولى (1975م) دار الفكر بيروت.
7. البخاري، **أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل** ت (256هـ)، **الجامع الصحيح**، الطبعة الأولى (1997م) دار السلام – الرياض.
8. الشاطبي، **أبو القاسم الشاطبي، حرز الأماني**– بشرح **ابن القاصح العذري**.


الوحدة الثالثة
تاريخ التفسير

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**96**
تمهيد	96
أهداف الوحدة	97
1. التفسير في عهد الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم– **والصحابة**	**98**
1. 1 ترجيح قول السيوطي	101
2. التفسير في عهد الصحابة والتابعين	**104**
2. 1 حكم رواية الصحابة في التفسير	105
2. 1 مذاهب الصحابة في التفسير	108
2. 3 تفسير ابن عباس	110
3. التفسير في عهد التابعين وتابعيهم	**112**
3. 1 ظهور الفرق	113
3. 2 مدارس التفسير في عصر التابعين	115
3. 3 التأويل في عصر التابعين	116
3. 4 التفسير في عصر تابع التابعين	119
4. التفسير من القرن الرابع إلى السابع الهجري	**122**
4. 1 الصوفية والتفسير	124
5. التفسير من القرن السابع إلى مشارف العصر الحديث	**129**
5. 1 التصوف الفلسفي	132
5. 2 أبرز مذاهب التفسير في القرن السابع	134
6. التفسير في العصر الحديث	**142**
6. 1 لمحات من الإعجاز العلمي في القرآن	146
6. 2 من خصائص التفسير في هذا العصر	154

الموضوع	الصفحة
6. 3 التفسير وأهل السودان	160
الخلاصة	**165**
لمحة مسبقة عن الوحدة الثانية	**167**
إجابات التدريبات	**168**
مسرد المصطلحات	**177**
المصادر والمراجع	**178**

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس،

مرحباً بك إلى الوحدة الثالثة من المقرر

تاريخ كل علم أصيل، يكشف عن أغواره وأبعاده، ويوسِّع الآفاق في فهمه، ويعين الدارس على إدراك ملابساته وما غمض عنه، وهذه الوحدة تتيح لك معرفة تاريخ التفسير منذ أن بدأ في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم والصحابة – رضوان الله عنهم – ونتدرج بك عبر عصر التابعين وتابعيهم إلى عصرنا الحديث، فتتجلى لك خلال هذه السياحة المباركة سمات كل عصر ومدارسه ومذاهبه التي ذهبها في هذا العلم القيِّم وذلك تبعاً للمناهج التي نهجها العلماء والمشارب التي وردوها، وخلاصة أحداث وأحوال وتقلبات شتى اكتنفت تلك الأيام، إنه تاريخ يعكس في ثناياه الكثير، ويُعرِّف بمدى التطور الذي انتظم هذا العلم، وقد قسم المعد مراحل هذا التاريخ بطريقة ميسرة ومحكمة تُمكِّن الدارس من تتبع هذه المراحل، والربط بينها مع وضوح هذه التقسيمات في ذهن الدارس تماماً، ودراستك هذه الوحدة بعناية ستسهم كثيراً في بيان أهمية التفسير ودوره في كل عصر ومصر مع الإلمام بأبرز شيوخه وأشهر كتبه.

الوحدة تتخللها ألوانٌ من التقويم والنشاط، ومواضع للحوار وأدوات للتنبيه من أشكال وجداول وعلامات ورموز تلفت نظرك إلى النقاط المهمة، فنأمل أن تتحسس هذه المعالم حتى تعينك في بلوغ الأهداف المرجوة.

عزيزي الدارس، وفقك الله مع الوحدة الثالثة من مقرر التفسير

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس،

بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1. **تُعبِّر** عن أهمية دراسة تاريخ علم التفسير، وجدواه.
2. **تشرح** بالتفصيل تاريخ التفسير في العهود الآتية:
   - عهد الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – والصحابة رضوان الله عليهم.
   - عهد التابعين وتابعيهم.
   - من القرن الرابع إلى السابع الهجري.
   - من القرن السابع إلى مشارف العصر الحديث.
   - التفسير في العصر الحديث.
3. **تستطيع** المقارنة بين هذه المراحل بما يُجلي لك سمات كل مرحلة ومزاياها.

للتفسير تاريخ قديم يضرب بجذوره الممتدة إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتطاول فروعه عبر الزمان لتشق طريقها في مراحلها التاريخية المتباينة حتى تصل عصرنا الحاضر وستظل ماضية في سبيلها بإذن الله تعالى حتى يرث الله الأرض ومن عليها وذلك لحاجة الناس إلى فهم كتاب الله عز وجل وتدبر آياته والأيام شاهدة على أنه لم يخل عصر من العصور من طائفة من علماء الأمة وساداتها يتعهدون القرآن الكريم بالمدارسة، ويولون تفسيره ما يستحق من عناية ورعاية وسنحاول أن نعرض له بشيء من إيجاز نأمل أن يكون وافياً بالغرض، مصيباً للهدف، غير مُخلٍ بعناية وسنقسمه إلى مراحل حسب التسلسل التاريخي واقفين عند أوان تفتقه وازدهاره حتى يتبين لنا ما بذله الجهابذة من جهد، وما كابدوه من مشقة في سبيل معرفة كتاب ربهم والأنس به، والدعوة إليه إذ كان المنبع الذي منه يستمدون، والمحور الذي حوله يدورون.

1. التفسير في عهد الرسول الكريم والصحابة

۞ نبدأ حديثنا عن التفسير في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتساؤل مشروع كما يقول أهل هذا الزمان وهو:

هل كان الصحابة رضوان الله عليهم في حاجة إلى التفسير ؟!

وهذه مسالة من المسائل التي وقف عندها بعض علماء الأمة من أمثال:

~ ابن خلدون في مقدمته المعروفة.

~ والسيوطي في كتابه المشهور الإتقان في علوم القرآن •.

➢ أمّا ابن خلدون فقد **زعم** أن الصحابة الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم ما كانوا (في حاجة إلى تفسير ما نُزل) •.

۞ وهو قول غير مقبول على إطلاقه.

• السيوطى – الإتقان في علوم القرآن – ج2 /17.

• ابن خلدون – المقدمة – 366.

قال **ابن خلدون:** (اعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغته فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه)

تدريب (1)



1. ما الذي دفع ابن خلدون لأن يقول بأن الصحابة لا حاجة بهم للتفسير؟ وما مغزى الرد عليه بأن القول غير مقبول على إطلاقه؟

لاشك أن **الفرصة** التي أتيحت لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعرفة ما نزل **كانت فرصة عظيمة جداً** فهم أولى الناس بعلم ما في القرآن الكريم وذلك لسليقتهم **العربية الفطرية،** ولمشاهدتهم للظرف الزماني الذي نزل فيهم، ولإلمامهم بأعراف العرب وتقاليدهم ثم لورعهم وتقواهم ولكن هذا كله لا يدل على أنهم كانوا يحيطون بمعاني القرآن في ظاهرها وباطنها، ودقائقها وتفاصيلها، وأصولها وفروعها وذلك لأمور منها:

- ✓ طبيعة القرآن نفسه الذي يتناول الأمور كلها بتفاصيل لا يحيط بها بشر ففيه علم الأولين والآخرين عرفه من عرفه وجهله من جهله ولذلك قيل من أراد علم الأولين والآخرين فليثر القرآن. فإثارته وتحريكه والوقوف عنده، والتدبر فيه يعطيك بعض ما عنده حسب ما يتاح لك من توفيق للعلم والمعرفة والحكمة.
- أما أن يعطيك كله فلا سبيل إلى تلك الغاية التي تتقطع دونها الأعناق، بل ورد أن الرسول الكريم صلوات الله وسلام عليه قد تشكل عليه بعض الآيات فيتنزل عليه جبريل بالتأويل كما تنزل بالتنزيل (هذا ما فسر به بعضهم حديث عائشة رضي الله عنها إلا آي بعدد علمهن إياه جبريل وقد أنكره بعض العلماء).
- ✓ وهناك المتشابه الذي استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه

▲ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وهذا من مواضع الاختلاف:

1. إذ قال الجمهور من العلماء أن (الواو) في قوله (والراسخون في العلم) التي أعقبت اسم الجلالة في القرآن الكريم إنما هي للاستئناف لا لعطف. •
2. زعم المعتزلة وبعض أهل السنة كالإمام النووي إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، وهو قول مرجح.

✓ ثُم إن الناس تتفاوت حظوظهم وأنصبتهم من العلم تفاوتاً ذريعاً.

- وذلك وفق ما يؤتيهم الله – عز وجل – من نعمة في المواهب والملكات والمهارات من جهة، وحسب ما يواتيهم من الظروف المحيطة بهم زماناً ومكاناً فمن المعلوم مثلاً **أن للكشوفات العلمية حَظاً عظيماً في مجال تفسير القرآن وتأويله فقد يتاح لأهل بعض العصور ما لا يتاح للآخرين من معرفة بالكون وعلمٍ بسُنن الله عز وجل فيه ولهذا أثره البعيد الذي سنشير إلى بعضه إن شاء الله تعالى عندما نتناول التفسير في العصر الحديث.**

تدريب (2)



(كان الصحابة رضوان الله عليهم في حاجة واضحة للتفسير)
ناقش هذه العبارة ووضح مدلولاتها المختلفة؟

- وتفاوت الناس من الأمور الطبيعية البدهية التي أشار إليها التابعي الجليل مسروق بن الأجدع:

(جالستُ• أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإذا هم كالإخاذة – الإخاذ جمع مفردة إخاذة، والإخاذة مجتمع الماء – فالإخاذة تروى الواحد، والإخاذة تروى الاثنين، والإخاذة تروى العشرة والإخاذة لو نزل بأهل الأرض لأصدرتهم منهم عبد الله بن مسعود)

– الحديث يكشف عن تفاوت الناس في سعة العلم، فمنهم من أوتي القليل منه، ومنهم من يفيض علمه بلا حدود.

• وهو قول مرجوح. زعم المعتزلة وبعض أهل السنة كالإمام النووي أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه

• في بعض الروايات شامتُ.

ثم إن واقع الحال يكذب ما ذهب إليه ابن خلدون فقد احتاج الصحابة رضوان الله عليهم – وهم من الناس الذين كُلف رسول الله بموافاتهم ببيان ما في القرآن – إلى من يفسر لهم ما انغلق عليم من المعاني، وما انسد عليهم من أبواب الفهم عن مراد الله عز وجل فقد كانوا يلجئون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستفهمين متسائلين وقد يتبين لهم من غير ما سؤال منهم!

- وقد يبادرهم هو صلوات الله وسلامه عليه بالسؤال، وقد يأخذ بعضهم من بعض لمكان التفاوت الذي أشرنا إليه آنفاً.

1. 1 ترجيح قول السيوطي

- بل أن ابن خلدون نفسه لم يستطع أن يحافظ على ذلكم القول طويلاً ولذلك نجده يقول:

(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبيِّن **المجمل**، ويميِّز **الناسخ** من **المنسوخ**، **ويعرفه** أصحابه **فعرفوه**، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ولم يزل ذلك متناقلاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك إلى الطبري والواقدي والثعالبي وغيرهم)•

وهذا هو المعقول المقبول ولا يظن بابن خلدون غير هذا الفهم الواضح وقد يكون وهماً من ناسخ أو زلة من كاتب وعلى كل فالخطأ وارد على الإنسان مهما بلغ قدره، وسمت منزلته وجل من لا يخطئ، قال تعالى:

- ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾

(النساء: 82)

- ولعل توفيقاً قد صاحب جلال الدين السيوطي أكثر مما صاحب ابن خلدون في مدى معرفة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ومبلغ حاجتهم إليه صلوات الله وسلامه عليه وذلك إذ يقول:

• ابن خلدون –المقدمة – 366.

(كان الصحابة يعلمون **ظواهر القرآن وأحكامه** أما **دقائق باطنه** فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم) •

وهكذا يفرق السيوطي بين مستويين المستوى:

- المستوى الظاهر المكشوف.
- والمستوى الباطن المستتر.

ونضيف أن هنالك من المعاني القرآنية ما لا يحيط بها إلا منزل القرآن الذي وسع كرسيه السماوات والأرض ما أعظم شأنه، وما أوسع سلطانه، وما أجل علمه !!

~ كان ابن عباس يقول: كرسيه علمه

وأما أن الواقع التاريخي والعلمي يثبت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد فسر كثيراً من الآيات القرآنية وأن الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – قد غابت عنهم بعض المعاني، واخطأوا في فهم بعض النصوص القرآنية فهذا مما لا شك فيه، وقد اشرنا إليه في حديثنا عن السنة النبوية بوصفها مصدراً من مصادر التفسير.

- وقد فسر لهم – صلى الله عليه وسلم – من القرآن حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

(من آخر ما نزل آية الربا وأن رسول الله صلى الله علي وسلم قبض قبل أن يفسرها)•.

والإشارة هنا إلى آيات الربا المذكورة في الأواخر من السورة الزهراء سورة البقرة.

ومعنى ذلك أن التفسير منه – صلوات الله وسلامه عليه – كان أمراً معروفاً منه، معهوداً عنده ولم يكن بالأمر الشاذ ولا المستغرب. واكتفى هنا بالإحالة إلى الفصل الذي يعالج المصدر الثاني من مصادر التفسير مشيراً إلى القصة الطريفة التي تروى عن عدى بن حاتم الطائي رضي الله تعالى عنه فقد كان نصرانياً يعلق الصليب على صدره ثم أسلم وحسن إسلامه وروى عنه فيما روى هذه القصة التي تدل على أن الصحابي قد تغيب عنه بعض المعاني التي يتناولها القرآن الكريم قالوا عندما نزل القول الكريم:

• السيوطي – الاتقان – ج174/2.

• السيوطى / الاتقان / ج205/2 [5]

➢ ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ (البقرة: 187)

✓ قالوا أخذ عدى بن حاتم – إثر ذلك – حبلين أو قالوا **عقالين** احدهما أبيض والآخر أسود وجعلهما تحت وساده وجعل يتعاهدهما بالنظر المتكرر طوال الليل عسى أن ينال حظوة التفرقة بين البياض والسواد قالوا وأقبل على رسول الله صلى الله علي وسلم يخبره الخبر فقال له الرسول الكريم:

(إن وسادك إذن لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار) !!!

- **وسادك إذن لعريض:** كناية عن قلة الفطنة وضعف الفهم.

أسئلة تقويم ذاتي

ضع علامة (✓) أو (×) في المكان الخالي:

1. (....) الصحابة رضوان الله عليهم كانوا في حاجة واضحة للتفسير.
2. (....) كانوا عرباً أقحاحاً ويفهمون حتى المعاني العميقة في القرآن.
3. (....) رأي ابن خلدون يتفق تماماً مع الرأي الأول.
4. (....) السيوطي رجح الرأي الثاني.
5. (....) كان الصحابة يسألون حتى عن بعض المعاني، فالقرآن لم يتنزل بلغة واحدة.
6. (....) الصحابة لا يدركون المعاني العميقة، والمقاصد الشرعية للقرآن فيفسر لهم ذلك الرسول – صلى الله عليه وسلم.
7. (....) الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان المفسر الأول والأعلم بمراد الله تعالى من القرآن.

8. (....) الواقع العملي والتاريخي يؤكد أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد فسر كثيراً من الآيات القرآنية.
9. (....) طبيعة القرآن المعجز والحاوي لعلوم شتى تجعل إحاطة البشر به من المستحيل.
10. (....) التفاوت في فهم الناس وإدراكهم جعل الرسول – صلى الله عليه وسلم – مصدراً أولاً ومرجعاً رئيساً للتفسير.
11. (....) من المعاني القرآنية ما لا يحيط بها إلا منزل القرآن تبارك وتعالى.
12. (....) السيوطي فرق بين مستويين من معاني القرآن، وأكد أن علم المستوى الباطني المستتر بحاجة إلى علم وفهم لم يتأت حتى لكثير من صحابة الرسول – صلى الله عليه وسلم.

2. التفسير في عهد الصحابة والتابعين

تلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب استعدادهم الفطري، وما أتيح لهم من إمكانات التفسير عن رسول الله صلى الله عليهم وسلم وكانوا حريصين على مجالسته ومؤانسته والاستفادة منه وكان بعضهم **يلازمه ملازمة الظل حتى قيل لهم:**

- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ (المجادلة: 11)

وكانوا من الحرص على مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالمحل الأرفع حتى روي عن عمر بن الخطاب وصاحب له من الأنصار **أنهما كانا يتناوبان مجلس رسول الله** – صلى الله عليه وسلم – **فيحدث كل منهما الآخر بما رأى وبما سمع.** وهكذا كان دأبهم:

(يدخلون عليه رواداً، ويخرجون منه أدلاء، ولا يتفرقون إلا عن ذواق)

- **روادا**ً: يردون العلم ويطلبونه
- **أدلاء:** فقهاء يدلون الناس على الخير
- **ولا يتفرقون إلا عن ذواق:** أي يروق ما لهم وما يتخيرون منه الأحسن بحسب ذوق كل صحابي فالناس ليسوا على صعيد واحد، بل مذاهب شتى فيما يتذوقون ويعشقون من طيبات الحياة المادية والمعنوية، وكلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كله طيبات، وكل صحابي يتذوق منه ويتناول منه بما يطيق ويتحمله وتطيب له نفسه ويتسع له أفقه، ولكن في خاتمة المطاف إنما يصدرون عن مصدر واحد ومشكاة واحدة وهدى كله خير ولا يأتي إلا خير.

2. 1 حكم رواية الصحابة في التفسير

وما **يروى عن** الصحابة و**لاسيما** في مجال **أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وما لا دخل للرأي والاستنباط والاجتهاد فيه** له **حكم المرفوع المسند إلى رسول الله** – صلى الله عليه وسلم.

قال أبو عبد الله الحاكم النيسابورى – صاحب المستدرك:

تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع

- (وكان أهل الفُيتا من الصحابة يُسَمون القراء – أي الذين يقرأون الكتاب – لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ وبقي الأمر كذلك في صدر الأمة ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية عن العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكمال الفقه وأصبح صناعة وعلماً فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القرّاء)[•]

[•] السيوطى – الإتقان – ج176/2 .

[•] ابن خلدون المقدمة 372

حكم المرفوع: أي المرفوع من الرسول – صلى الله عليه وسلم – من صحابي أو تابعي أو غير ذلك، وبما أن الصحابة أقرب عهداً من غيرهم وأعمق اتصالاً فالمرفوع من الصحابي آكد وأوثق في أَنه حديثٌ من الرسول – صلى الله عليه وسلم.

تدريب (3)



1. ما الدلالة التي استفدتها من الإتفاق بين عمر بن الخطاب وصاحب له من الأنصار على التناوب على مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم؟
2. حلل قول الحاكم: (تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم مرفوع).

ولما بين الصحابة من تفاوت معرفي كان بعضهم يأخذ من بعض، فعلى سبيل المثال:

~ **فأبو هريرة وعبد الله بن السائب** يأخذان عن ← **أُبيّ بن كعب.**

~ **وابن عباس** ← يأخذ **عن أُبيّ وزيد بن ثابت.**

ومن ذلك ما ذكره الذهبي في طبقات القراء:

أنه قرأ على أُبيّ وجماعة منهم ← **أبو هريرة، وابن عباس.**

- والخلاف بين الصحابة قليل إذا ما قورن بالخلاف بين التابعين، ومن جاء بعدهم وقد شغلوا بالجهاد في سبيل الله وكانوا أبعد الناس عن **التكلف والمماراة** – أي الجدل – وتوقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً، مثال ذلك:

~ سئل أبو بكر عن ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ ؟

فقال: (أي سماء **تظلُّني** وأي أرض **تقلّني** إن أنا **قلت في كتاب الله ما لا أعلم)**

~ وقرأ عمر على المنبر ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه: (وقال إن هذا هو **التكلف** يا عمر).

~ وسئل التابعي سعيد بن جبير عن ←———— ﴿ وَحَنَانًا ﴾ ؟ (مريم: 13)

فقال: سألت عنها ابن عباس فلم يجب شيئاً!!!

- **وقال ابن عباس:**

كل القرآن أعلمه إلا أربعاً : **غسلين– وحناناً – وأواه – والرقيم**

وروى عنه أنه قال: (ما كنت أعلم ما (فاطر) حتى سمعت أعرابياً يخاصم أخاً له في بئر لهما فقال أنا **فطرتها** أي أنا الذي **ابتدأت حفرها**).

أسئلة تقويم ذاتي

1. صف لهفة الصحابة وتلقفهم للتفسير من الرسول – صلى الله عليه وسلم – بلغتك الخاصة؟
2. صل فيما يلي بين القائمة (أ) و (ب)

(أ)	(ب)
1/ كان أبو هريرة يأخذ التفسير عن	1/ زيد بن ثابت
2/ وعبد الله بن السائب يأخذ من	2/ أبي هريرة
3/ابن عباس يروي عن	3/ أبو هريرة
4/ أبو هريرة وابن عباس	4/ أبي بن كعب
5/ يروي عبد الله بن السائب وأبو هريرة	5/ من مفسري الصحابة الأوائل

3. كيف كان نهج الصحابة في تفسير القرآن، واستدل على إجابتك ببعض ما روى عن الخلفاء الراشدين في هذا المجال؟

تدريب (4)



1. ابحث في كتب التفسير ومعاني القرآن عن:
غسلين – وحناناً – وأوه – الرقيم
2. وما مغزى قول ابن عباس أنه يعلم كل القرآن إلا هذه الأربعة ؟

2. 2 مذاهب الصحابة في التفسير

ولم يكن الخلاف بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم خلاف **تضاد** وإنما كان خلاف **تنوع** فهم يشيرون إلى ذات واحدة بصفات متعددة، وصور متنوعة كأن يقولوا مثلاً في تفسير:

➢ (الصراط المستقيم)

~ طاعة الله والرسول.

~ أو قال البعض منهم: (القرآن وإتباعه).

~ أو قول البعض وهو: (الإسلام).

أو ما شئت من **صفات** التي **تؤول في خاتمة المطاف إلى أصل واحد لا خلاف فيه.**

- ومن أمثلة خلافاتهم ما يكون **اللفظ فيه محتملاً لأكثر من أمر ومعنى** فالقسورة مثلاً:

1. تعني الرامي. 2. والقسورة الأسد (وذلك إشارة إلى آيتي تفسير المدثر:

▲ ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝ ﴾ (المدثر: 50 –51)

- وقد يكون الخلاف لفظياً ليس إلا مثل:

▲ ﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾

قالوا: (تبسل) 1. تحبس 2. وقال آخرون: (ترتهن).

وعلى كل فالتفسير الذي يأتينا عن **الصحابة** الكرام ليس كالتفسير الذي **يأتينا عمن جاء بعدهم فعلو السند،** وارتفاع السن، **وعظمة المقام سبب في الترجيح** والتفضيل

- قال جابر بن عبد الله الأنصاري: (كان اللهو بالمزامير)
- وقال مجاهد بن جبر: (كان بالطبول)

۞ **فرجح** الطبري قول **جابر** على قول **مجاهد** لأنه أدرك **القوم ومشاهدهم**، فتفسير الصحابي مقدم على تفسير غيره كيف لا وهم الذين يتعاملون مع القرآن الكريم كما ينبغي أن يكون التعامل.

- حكى **محمد بن سيرين** أن رجلاً سأل عمر عن معنى آية **فخفقه عمر بالدرة** ثم سأل آخر عن ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا **نُشُوزًا** أَوۡ **إِعۡرَاضًا** ﴾ فقال:

- (عن مثل هذا فاسألوا)•

وهكذا كان نهج الصحابة منهجاً علمياً عملياً بعيداً عن السفسطة والتكلف.

ولعل الأول **سأل المتشابه** كقوله سبحانه: (الرحمن على العرش أستوى) كما كان يفعل **ابن صبيغ الأعرابي** يتلمس المتشابه من القرآن فيسأل عنه **بغية إثارة الجدل وإيقاظ الشبهات والفتن**.

فكان سيدنا عمر – رضي الله عنه – حاسماً شافياً، وهكذا كان نهج الصحابة منهجاً علمياً بعيداً عن السفسطة والتكلف.

هذا، وقد اتخذ العلماء معايير في التقديم والترجيح بين تفاسير الصحابة:

- فمنهم من يرجح قول ابن عباس لقول الرسول الكريم:
  - ۞ (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).
- وكان الشافعي يرجح قول زيد بن ثابت في (الفرائض خاصة)•

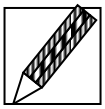
لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

- ۞ (أفرضكم **زيد**) ⟵ أي أعلم بعلم الفرائض (الميراث).

•. الطبرى /جامع البيان /181/5 ، ولعل الأول سأل عن المتشابه كقوله سبحانه (الرحمن على العرش استوى) كما كان يفعل ابن صبيغ الأعرابى .

•.الفرائض علم المواريث أخذ من قول الله عز وجل (نصيباً مفروضاً) النساء (7) .

تدريب (5)



ما حكم تفسير الصحابة، وما معنى أنه في مرتبة المرفوع، وما هي مواصفاته التي تميزه عمّا دونه من التفاسير؟

أسئلة تقويم ذاتي



1. كيف تفسر اختلاف الصحابة في التفسير؟
2. لماذا رجح البعض تفسير بن عباس؟
3. ما الحكمة في أن سيدنا عمر بن الخطاب زجر أحدهم وحزبه بالردة عندما سئل عن المتشابه في القرآن؟
4. ما السر في أنه أقر أحدهم عندما سأله عن النشوز والإعراض؟
5. ما المعايير التي اتخذها العلماء في الترجيح بين تفاسير الصحابة؟
6. الشافعي كان يرجح تفسير زيد بن ثابت وفي مجال معين، ما هو ولماذا؟

2. 3 تفسير ابن عباس

ونود أن نختم هذا الفصل بالإشارة إلى **تفسير ابن عباس** المتوفى (سنة 68هـ) الذي قال فيه **محمد بن الحنفية بعد أن صلى عليه:**

(اليوم **مات رباني** هذه الأمة)

- والذي قيل فيه: (نِعمَ ترجمان القرآن **ابن عباس)** صحيح ولشهرته – رضي الله عنه – في التفسير، فقد روى عنه الكثير مما لا يصح حتى قال الشافعي:

(لا يصح عن ابن عباس إلا نحو من مائة حديث)



وهناك تفسير منسوب إلى ابن عباس بعنوان: (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس) للفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط، وقد وصف ابن عباس بأنه: (كان مثجاً يسيلُ غَرِباً)

المثج : الكثير الدافق وفي الحديث الحج الثج والعج

والغَرِب: الدلو العظيمة وفي الحديث الصحيح أن الدلو الذي رآه الرسول – صلى الله عليه وسلم – في منامه استحال في يد عمر غرباً. والمراد أنه يتدفق بل يفيض علماً.

- ومعرفة ابن عباس بالتفسير مما يرتفع عن كل شبهة حتى كان يقول:

(لو ضاع منى عقال بعير لو **جدته في كتاب الله تعالى)**

ـ ولهذا أهتم له العلماء، ودرسوا الأسانيد التي تتصل به فقالوا مثلاً:

{أبو صالح كاتب الليث بن سعد عن معاوية بن صالح (قاضي الأندلس) عن علي بن أبى طلحة عن ابن عباس أن ابن أبي طلحة (لم يسمعه) عن ابن عباس وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير.

بمعنى أن علي بن أبي طلحة لم يسمع عن ابن عباس مباشرةً وإنما عن مجاهد أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهذا حرص دقيق في تتبع الأسانيد عن ابن عباس}.

– وقالوا هذه التفاسير الطوال التي أسندوها إلى ابن عباس **غير مرضية** ورواتها مجاهيل كتفسير جويبر عن الضحاك عن ابن عباس.

– وذكروا **أوهي طرقه** طريق **الكلبي عن أبي صالح** عن **ابن عباس** فإن انضم إلى ذلك رواية **محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب.**

– وأشاروا – أي أهل الحديث – إلى أن طريق **عطية العوفي** عن ابن عباس أخرج منها **ابن جرير الطبري** و**ابن أبى حاتم السجستاني** كثيراً **والعوفي ضعيف** ليس **بواه** – وربما روى له الترمذي بعض الأحاديث.

تدريب (6)

ما فحوى عناية العلماء الفائقة بالأسانيد التي تتصل برواية ابن عباس رضي الله عنه.

هكذا غربل علماؤنا الأفاضل تلك المرويات، واجتهدوا في بيان الصحيح من الزائف، وبذلوا في سبيل ذلك جهداً تنوء به الجبال فجزاهم الله عنا خيراً كثيراً.

وعن علماء الصحابة من أمثال أبى بن كعب، وعبد الله ابن مسعود، وعبد الله بن عباس أخذ التابعون من أمثال أبى العالية، وعلقمة، ومجاهد ونشأت عن ذلك مدارس في التفسير، ومذاهب في التفكير.

أسئلة تقويم ذاتي



1. ما مكانة ابن عباس في التفسير؟ استدل على إجابتك؟
2. ما عنوان التفسير المنسوب إليه.
3. عدد سلاسل الأسانيد التي تروى عن ابن عباس.
4. فرق بين أقوى هذه الأسانيد وأضعفها وأكثرها ضعفاً؟
5. من هم أبرز علماء الصحابة في التفسير؟

3. التفسير في عهد التابعين وتابعيهم

تفرق أصحاب رسول الله – صلى الله علي وسلم – في الأمصار يجاهدون في سبيل الله، وينشرون العلم ويذيعون به. وعنهم أخذ **تلاميذهم** الذين عرفوا **بالتابعين**.

- ويُقسم التابعون إلى فئات خمس وذلك حسب الأمصار الإسلامية الخمسة:

{1. المدينة.

2. ومكة

3. والبصرة.

4. والكوفة.

5. ودمشق.}

وقد مكث بعض الصحابة **بالمدينة كأبي بن كعب الخزرجى،** وانتقل بعضهم إلى **مكة كعبد الله بن عباس،** وذهب بعضهم إلى **البصرة كأبي موسى الأشعري،** وبعضهم إلى **الكوفة كعبد الله بن مسعود الهذلي،** وآخرون إلى **دمشق كأبي الدرداء عويمر بن مالك** – رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد بلغ بعض التابعين مبلغاً من العلم عظيما فقد جاء في ترجمة **عبد الرحمن بن أبى ليلى** المتوفى سنة 83هـ:

✓ (أنه من كبار التابعين، واتفقوا على توثيقه وجلالته وكان يجلس إليه في حلقته نفرٌ من الصحابة منهم البراء بن عازب)•

فانظر! عزيزي الدارس – رحمك الله – إلى تواضع الصحابة وسماحتهم إذ ما كانوا يستنكفون عن الأخذ عمن هو دونهم!!!

✓ كان عصر التابعين – **عصر تخصص** إذ **التفتت كل طائفة منهم إلى باب من أبواب العلم يجودونه**، جامعين لأطرافه، محكمين لمسائله، فظهر القراء السبعة وكلهم من التابعين ليس من بينهم صحابى واحد.

۞ **ونبغ من هذا العصر – المفسرون** أمثال:

~ مجاهد بن جبر.

~ وعطاء بن أبى رباح.

~ وعلقمة بن قيس وأضرابهم.

۞ **وبّرز أهل اللغة من أمثال:**

~ أبى الأسود الدؤلي.

~ ونصر بن عاصم الليثى.

~ ويحيى بن يعمر العدوانى.

وهكذا ولج كثير من التابعين أبواباً من العلم متفرقة.

1 .3 ظهور الفرق

ثم إنه بمقتل **الخليفة الراشد عثمان بن عفان** رضي الله **عنه تفرق المسلمون وتصدعت وحدتهم** وأصبحوا **شيعاً وأحزاباً حتى** قال الراعي النميري:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً فدعا فلم أر مثله مخذولا

• النووي/ تهذيب الأسماء واللغات /304

فتصدعت من يوم ذاك عصاهمو شققاً وأصبح شلوهم مأكولا

وذلك من لاميته المعروفة:

ما بال دفك بالفراش مذيلاً أقذى بعينك أم أردت رحيلا

✓ وهكذا ظهرت الفرق المتعددة، والطوائف المتبانية من سنة وشيعة وخوارج ومرجئة، وجهمية وقدرية (هناك كتب كثيرة تتناول هذه الظاهرة كمقالات الإسلاميين **لأبى الحسن الأشعري**، والفضل لابن حزم والملل والنحل للشهر ستانى، **والفَرْق** بين الفِرَق **للبغدادي**).

✓ ولقد أثارت هذه الفرق كثيراً من **القضايا الكلامية كقضية الإمامة، والجبر والاختيار، ومرتكب الكبيرة وكانوا يلجئون إلى القرآن الكريم يستمدون منه الحجة**، وينتزعون منه الدليل بل إن أسماءهم نفسها لربما نسبوها إلى القرآن الكريم، فعلى سبيل المثال:

- **فالمرجئة** مثلاً زعموا أنهم اخذوها من قول الله عز وجل:

➢ ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾

والشراة أخذ رهان قوله تعالى:

➢ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾

الشراة اسم من أسماء الخوارج وقد يقال **الحروريون** أحياناً.

✓ ولما رأى بعض الناس الافتتان **بزهرة** الحياة الدنيا، **وتكالب الناس** عليها، وتنافسهم فيها **اتخذوا سبيل الزهد والتقشف** والانقطاع إلى العبادة وقام فيهم الوعاظ والخطباء والمفسرون من أمثال **الحسن البصري** الذي **اتخذه المتصوفة من بعد سلفاً لهم.**

✓ وهكذا بدأت تتبلور مذاهب في:

- التفسير والتفكير لتتسع دائرتها وتتداح فيمن جاء بعدهم من تابعي التابعين ومن خلفوهم لتبلغ ذروتها في (القرن **الثالث الهجري القرن الذهبي** للتفسير والفقه واللغة وسائر العلوم).

3. 2 مدارس التفسير في عهد التابعين

مدرسة المدينة المنورة:

لقد **ملأ التابعون الدنيا علماً وفضلاً وعملاً**، ونبغ في كل مصر رجال غرفوا من كتاب الله – عز وجل – ونهلوا من علومه، وضربوا في ذلك المثل الحي، والقدوة الصالحة، والأسوة الحسنة لمن جاء بعدهم.

- فكان بالمدينة **أبان بن عثمان بن عفان** المعدود من **فقهاء المدينة العشرة** والمتوفى سنة 105 هـ والمتفق على جلالته وتوثيقه.
- **وزيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب** رضي الله تعالى عنه، ومحمد بن كعب القرظي الذي روي عن فضالة بن عبيد وعائشة وأبى هريرة وغيرهم وقال فيه عون بن عبد الله:

(ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي)

مدرسة البصرة:

وكان بالبصرة أبو العالية رفيع بن مهران من كبار التابعين أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة **رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) قال عنه أبو بكر بن أبى داود في كتابه شريعة القارئ ليس أحد بعد الصحابة (**أعلم بالقرآن من أبى العالية**).•

ومع هذا الكوكب النير كان في سماء البصرة كواكب أخرى زواهر من أمثال **الحسن البصري، ومحمد بن سيرين ونصر بن عاصم ويحيى بن معمر وقتادة بن دعامة الضرير**.

مدرسة الكوفة:

وكانت البصرة والكوفة تتنازعان الزعامة العلمية في مجال اللغة والقراءة والتفسير، وفيها وضعت دعائم مدرسة عبد الله بن مسعود في التفسير وعنه أخذ جماعة كانوا ينشرون الصحف

• النووى / تهذيب الأسماء ج251/2

ويرفدهم ابن مسعود بالتفسير. ومن أشهر هؤلاء علقمة بن قيس المتوفى سنة (62هـ) وقيل (72هـ) • وإبراهيم النخعي وأضرابهما.

مدرسة الشام:

وأما الشام فقد نبع فيها من التابعين رجال كبار من أمثال المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان وخليفة بن سعد صاحب أبى الدرداء وعبد الله بن عامر اليحصبي واحد من القراء السبعة المعروفين.

مدرسة ابن عباس:

هذا، ولا نستطيع أن نتحدث عن التفسير **في عصر التابعين ونغفل مدرسة ابن عباس ترجمان القرآن وبحره،** وأعلم الناس بالتفسير أهل مكة كما يقول أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني لأنه فيها أصحاب بن عباس من أمثال سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر واضرابهما.

ولابد لنا في هذا المقام من أن نفرد مجاهداً بالذكر لعلو كعبه في مجال التفسير. فنقول هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي المتوفى سنة 103 هـ أو 104هـ قرأ على عبد الله بن السائب وعبد الله بن عباس وروى عنه طاوس اليماني وعكرمة وعمرو بن دينار والأعمش وخلف. قال مجاهد عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ولو كنت قرأت قراءة ابن مسعود ما احتجت إلى أن أسأله عما سألته عنه وكان يقول:

استفرغ علمي التفسير – أي كل علمي انصب على التفسير – فقد جعله وُكداً وغاية وأصبح فيه متخصصاً.

3. 3 التأويل في عصر التابعين

ولعل الدارس لتاريخ التفسير يلاحظ أن نواة ما عرف من بعد **بالتفسير العقلي** للقرآن الكريم بدأت **تتشكل وتنمو وتخرج** شطأها في هذا العصر المبكر عصر أبي الحجاج مجاهد بن

• النووى / تهذيب الأسماء / ج73/1

جبر مولى بنى مخزوم. ومن ذلك أنه تحدث عن المسخ الذي أصاب بني إسرائيل في نحو قول الله عز وجل:

- ﴿ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾
- وقوله تعالى:﴿ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ ﴾

* كان مجاهداً لا يأخذ هذا القول الكريم على ظاهره بل كان يؤوله ويصرفه عن وجهه الظاهر ويقول لم تمسخ أجسامهم ولكن مسخت قلوبهم فأجسادهم أجساد البشر وقلوبهم قلوب القردة والخنازير.

وكذلك كان يؤول الآيات التي تتحدث عن رؤية الله عز وجل يوم القيامة ففي نحو قوله سبحانه من سورة القيامة:

- ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾

كان يقول أي تنتظر رحمته وكرامته يوم القيامة.

وهذا هو التفسير الذي اعتمد عليه مفسرو المعتزلة من بعد من أمثال:

~ **أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري** المتوفى سنة (538 هـ).

~ **وأبى مسلم الأصفهاني** (من أشهر مواقفه الفكرية إنكاره للنسخ فى القرآن الكريم وله تفسير مطبوع في هامش إحدى طبعات جامع البيان **للطبري**).

~ **وأبى القاسم الكعبي**.

~ **وعبد الجبار الهمداني** المتوفى (سنة 415هـ) والمعروف بقاضي القضاة (كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن وكتاب الأصول الخمسة).

* فالمعتزلة من أمثال– **أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ** كانوا يميلون إلى ما يعرف (بالتفسير العقلي) كما تلاحظ ذلك في الآيات التي فسرها الجاحظ في كتابه (الحيوان) والأحاديث التي روى تفسيرها عن أستاذه إبراهيم بن سيار النظام.

ولقد يعد **أبو الحجاج مجاهد بن جبر سلفاً في بعض الاتجاهات التفسيرية للمعتزلة،** ولقد رأيتهم يتكئون عليه في تفسير آيات الرؤية، اللهم إلا ما كان من أمر **أبي على الجبائي** فقد

كان يفسر (إلى) في قوله الله عز وجل ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ فيقول (إلى) مفرد بمعنى (نعمة) وجمعها (آلاء) بمعنى (نعم) وهو تفسير **فيه ما فيه من التعسف والتكلف وذلك** أن (إلى) **حرف من حروف الجر كما هو معلوم.**

والمعنى الظاهر لا **يجوز** أن **يُصرف** إلى **معنى باطن إلا بحجة** يجب **التسليم لها** كما يقرر **أهل الأصول** من أمثال **الإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبري.**

عزيزي الدارس،

الآية صريحة واضحة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ والفعل إذا عُدى بحرف الجر **[إلى]** فإن المعنى يكون أكثر جلاء، فما الداعي إلى التكلف وهذا التأويل البعيد كل البعد بما يحيد به عن مراد الله، وهذا ما يعنيه أهل الأصول.

تدريب (7)



1. من أبرز من لفت نظرك من المفسرين في عصر التابعين، ولماذا؟
2. اعتمدت بعض الفِرق على العقل كليةً في التفسير، فهل نجد لهم متكئاً في هذا من بين السلف؟

   وضح ذلك واكشف عن وجهة الانحراف الذي انجرف بهم بعيداً عن النهج السليم.
3. من خلال دراسة هذا الجزء، هل يمكنك الاستدلال على أهمية التأويل من ناحية، والإشارة إلى المعيار السليم الذي يحكمه، وما عاقبة الشطط في التأويل في تقديرك؟

أسئلة تقويم ذاتي



1. ما هي أبرز المدارس التي ظهرت في عصر التابعين؟
2. ما أبرز علماء الصحابة الذين كانوا نواة لهذه المدارس؟
3. عدّد علماء التفسير واللغة الذين برزوا في هذا العصر؟
4. ما أبرز الفرق التي ظهرت في هذا العصر؟
5. بماذا وصف المعد هذا العصر، وما مدى اتفاقك مع هذا الوصف؟ علل.

3. 4 التفسير في عصر تابع التابعين

هذا، وقد أخذ علم **التابعين تابعو التابعين** من أمثال:

~ **مالك بن أنس الأصبحي.**

~ **والسفيانين** (يعني **سفيان بن عينية، وسفيان الثوري).**

~ وأبي **بسطام شعبة بن الحجاج** (كان يقال شعبة أمير المؤمنين في الحديث ولولاه ما عرف الحديث بالعراق)

~ **وحماد بن سلمة.**

~ **والليث بن سعد المصري** (قال الشافعي الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه ضيعوه وهو القائل إذا ذكر العلماء فمالك النجم، فانظر على الرغم من علو مقام مالك عند الشافعي إلا أنه يرى أن الليث أفقه).... وغيرهم من تابعي التابعين.

- وهذا القرن، **أعني القرن الثاني والقرن الثالث** الذي يليه هو **عصر النضوج العلمي** فقد **ازدهرت فيه العلوم وبلغت أوجاً بعيداً.**
- فهو **عصر الأئمة الفقهاء الأربعة** الكبار الذين **دانت لهم الأمة.** وهذا العصر، هو أيضاً عصر المحدثين الكبار من أمثال:

~ **حماد بن سلمة.**

~ **وحماد ابن زيد.**

~ **والشيخين البخاري ومسلم.**

~ **وإسحق بن راهويه.**

- وهو عصر **اللغويين** من أمثال:

~**الخليل بن احمد الفراهيدى.**

~ **وسيبويه.**

~ **وأبى الخطاب الأخفش.**

~ **وعبد الملك بن قريب الأصمعي.**

~ **والمفضل الضبي.**

* وهو عصر المؤرخين، وأهل الجغرافيا والعلوم الكونية من طب وفلك وحكمة وفلسفة.

وأود هنا أن أشير إلى مذهبين من مذاهب التفسير اللذين قوي **عودهما، واستقام** طريقهما وهما:

1. التفسير **بالمأثور.** 2. التفسير **باللغة.**

1. التفسير بالمأثور:

فقد اجتهد العلماء ونَصبوا – من النَصْب أي التعب – في جمع الروايات من أطرافها. وبعضهم اكتفى بالرواية المجردة فليس له من فضل إلا الرواية كما فعل سفيان الثوري في تفسيره الذي نشر بالهند فلا تكاد تجد فيه رأياً ولا اجتهاداً ولا استنباطاً ولا ترجيحاً وإنما هي الرواية الجرداء عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عهده.

ومنهم من زاد على الرواية الاجتهاد فرجح بين الأقوال، ووازن بين الحجج، واجتهد رأيه كما فعل أبو جعفر الطبري في تفسيره:

- (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) – المشار إليه – فيما مضى من حديث.

2. التفسير باللغة:

أما هذا فمثاله الواضح:

- **(مجاز القرآن)** – لأبى عبيدة معمر بن المثنى.
- **(ومعاني القرآن)** – لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء.
- **(وإعراب القرآن)** – للزجاج.

واللجوء إلى **اللغة في التفسير قديم** وفى عهد **الصحابة والتابعين** ولكنه كان **مختصراً وجيزاً** لا يكاد يتجاوز **إبدال كلمة بكلمة** فهو بالترادف أشبه ولكنه ظل يتسع ويتشعب حتى انشغل كثير من المفسرين:

- بمسائل **اللغة** – ومشكلات **النحو**

انشغلوا بهذه الجوانب اللغوية عن التفسير ذاته، ذلك كما تلاحظ في تفسير

* **(البحر المحيط)** – أبى حيان **الأندلسي**.

- أما فى الماضى فكان كما يروى صاحب النهاية• عن ابى عبد الله مسلم بن جندب الهذلى مؤدب عمر بن عبد العزيز قال سأل نافع مسلم بن جندب عن (نُصُب)
  - فقال: **غاية** إشارة إلى قوله تعالى:
  - ﴿ كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴾

وسئل عن **(الردء)** فقال: الزيادة، إشارة إلى قوله تعالى:

- ﴿ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ (القصص: ككل)

وهذا من دعاء موسى عليه السلام راجياً ربه أن يرسل معه هارون معاوناً ومساعداً له.

* وهكذا بدأ التفسير اللغوي موجزاً مختصراً وما زالت به الأيام حتى كثر وتشعب واتسع.

تدريب (8)

1. كيف كان **مجاهد بن جبر** سلفاً في بعض الإتجاهات التفسيرية للمعتزلة؟
2. قارن بين مذهبي التفسير (بالمأثور) والتفسير (باللغة) مع التمثيل لكل مذهب؟
3. ما معنى التفسير العقلي وما الحاجة إليه؟

• بن الجزري /297/2

أسئلة تقويم ذاتي



1. ملأ التابعون الدنيا علماً وفضلاً وعملاً، مثّل لهؤلاء الرجال وانجازاتهم في العلوم المختلفة؟
2. ما العلاقة التي كانت تميز الكوفة والبصرة في التفسير والمجالات العلمية الأخرى؟
3. من هم أعلم الناس بالتفسير في رأي ابن تيمية؟
4. من هو أبرز تلامذة ابن عباس، وما مكانته العلمية في التفسير؟
5. متى بدأت نواة التفسير العقلي، ومن أبرز أصحابها في عهد التابعين؟
6. هات أمثلة في التفسير العقلي في عصر التابعين؟
7. من هم المعتزلة ومن أبرز شيوخهم؟
8. مثّل لمشاهير العلماء من تابعي التابعين؟
9. حدد عصر النضوج العلمي للأمة الإسلامية، ولماذا سمي بهذا الاسم؟
10. ما أبرز مدارس التفسير التي ظهرت في هذا العصر؟
11. كيف بدأ التفسير اللغوي وإلى أين انتهى؟
12. التفسير بالمأثور يظهر في اتجاهين، حددهما وبينهما بإيجاز؟

4. التفسير من القرن الرابع إلى السابع الهجري

قُبض شيخ المفسرين **وإمام المؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى** فى العقد **الأول من القرن الرابع** (310هـ)، وظل التفسير بعده في توسع واضطراد، واتخذ المفسرون طرائق قدداً، ولجأ كثير منهم إلى تفصيلات دقيقة، وتفريعات متشعبة.

- **قدداً**: مذاهب متفرقة مختلفة.
- وهكذا سمعنا أن **أبا بكر محمد بن على الأدفوي** المصري المتوفى سنة 388 هـ له كتاب في التفسير في عشرين ومائة مجلد سماه:

~ (الاستغناء في علوم القرآن) •.

➢ ومن أمثلة المبالغات التي أتى بها المفسرون في هذه الفترة التي نؤرخ لها ما روى السيوطي عن فخر الدين الرازي المتوفى سنة (609هـ):

(إن الله جمع علم الأولين والآخرين في (الكتب الأربعة) •وعلومها في القرآن وعلومه) – أي علوم القرآن – في الفاتحة فزادوا وعلوم الفاتحة في البسملة في بائها لأن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الرب وهذه الباء باء الإلصاق فهي تلصق العبد بجناب الرب•!).

وخلاصة هذا القول – عزيزي الدارس:

- أن الله جمع العلوم كلها في الكتب الأربعة.
- ثم جمع الكتب الأربعة في القرآن الكريم.
- أن خلاصة كل تلك العلوم في الفاتحة، وإن سر الفاتحة كله في باء البسلمة ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحِيمِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ .

- وذلك لأن هذه الباء هي التي تصل العبد بالله، عندما يذكره مستعيناً به تبارك وتعالى في الأمور الدنيوية والآخروية (كما يرى هؤلاء).
  - كما ذاعت في هذه الفترة التاريخية الثرة – مؤلفات المعتزلة – من أمثال :

~ قاضي القضاة عبد الجبار الهمدانى (415هـ).

وهو الذي ألف في (**الأصول الخمسة**) التي اجتمع عليها **المعتزلة**

- العدل – التوحيد – المنزلة بين المنزلتين – الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كما ألف كتاباً سماه: (**تنزيه القرآن عن المطاعن**).
  - وجاء بعده – أي بعد **القاضي عبد الجبار** – النحوي الضليع، والمفسر البارع، فخر خوارزم:

• ابن الجزرى النهاية / ج2 /199

• إشارة إلى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن .

• الاتقان ج160/2

~ **أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري** (توفى 538 هـ).

ولقد وجد فيه مذهب **(المعتزلة)** مدافعاً قوياً أثر فيمن جاء بعده من المفسرين أثراً بعيداً **خالفوه أو وافقوه.**

- ومعلوم أن علماء المعتزلة خدموا القرآن والعربية خدمة جليلة وحسبك في هذا:

~ **بأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.**

~ **وأبي الحسن على بن عيسى الرماني** (توفى 384 هـ).

~ **وأبي القاسم الزمخشري صاحب الكشاف في التفسير، والمفصل.**

والمُفصّل في النحو، وأساس البلاغة الذي جمع فيه من اللغة أمثلة شوارد، وروائع مدهشات.

4. 1 الصوفية والتفسير

أما **المتصوفة** فقد أصبح لهم **شأن كبير** في هذه الفترة التاريخية وما تلاها من فترات.

ولعل **سهل بن عبد الله التستري** المتوفى (سنة 233 هـ) هو أول صوفي جمع تلاميذه تفسيره في كتاب.

وأما **أبو عبد الرحمن السلمي** (ت 412هـ) فله كتاب **(حقائق التفسير)** الذي اختلفت فيه آراء النقدة:

- فمنهم من أثنى عليه ورآه جديراً بأن يُحتفي به ويحتفل.
- ومنهم من رأى أنه حقيق به أن يسمى أباطيل التفسير وذلك لأنه لجأ فيه إلى تأويلات باطنية كما يفعل المتصوفة ممن عرفت تفاسيرهم بالتفاسير الرمزية أو الإشارية إذ أنهم يزعمون إن لكل كلمة ظاهراً وباطناً، فإن لكل حرف حداً ومطلعا ومعظم تلك التأويلات لا دليل عليها ولا برهان.

- وممن أثنى على تفسير **أبى عبد الرحمن السلمى – الإمام الغزالي** (توفى 505هـ) وذلك إذ يقول:

(التفاسير المعروفة المنسوبة إلى **القشيرى والثعلبي والماوردي** وغيرهم تفاسير عوام لم يذكروا من كلمات المحققين كما فعل **عبد الرحمن السلمي)**[•]

- وممن عاب تفسير أبى عبد الرحمن السلمي – شيخ الصوفية، وعالم خراسان الذي صنف في السنن والتفسير والتاريخ وروى عنه الحاكم وأبو القاسم القشيري وخلق كثير – **الإمام شمس الدين الذهبي** في تاريخه وذلك إذ يقول:

(ليته لم يصنفه فإنه تحريف وقرمطة)[•].

قرمطة: منسوبة إلى القرامطة، وهي مذهب شيعي منحرف.

تدريب (9)



ما النهج المعتمد لدى الصوفية في التفسير، وماذا يؤخذ عليهم في هذا الباب؟
قارن بين منهج المعتزلة والصوفية في التفسير، وذلك من خلال الاطلاع على (الكشاف) للزمخشري، و(تاج التفاسير) للسيد محمد عثمان الختم الميرغني، أو (روح المعاني) للألوسي؟

- هذا، وقد فتح **التفسير الباطني** أو **الاشاري** أو **الرمزي** باب **شر مستطير**. وولجت **ميدان التفسير** هرطقات وتحريفات لا يسندها عقل ولا منطق، ولنا أن نستدل هنا بما ذكره القمي – نسبة إلى (قُمْ) مدينة الشيعة المقدسة في إيران– في مقالاته ص 30 في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾

يقول: (الكلام هنا مثل ورمز وكناية ووحي والمقصود **بالتين عليّ**، و**الزيتون الحسن، وطور سنين الحسين وهذا البلد الأمين محمد بن الحنفية)**[•]

[•] الرسالة اللدنيه ص 1-2 مصر بلا تاريخ .

[•] السيوطى – طبقات المفسرين ص 31

[•] القمي المقالات – ص 30.

* وكتب الشيعة والغلاة مليئة بمثل هذه الترهات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومن أمثلة ذلك أيضاً:

~ إن المراد بقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ عائشة – أم المؤمنين.

~ ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾- **أبو بكر وعمر** – رضي الله عنهما.

نجد ذلك وغيره من **الخزعبلات** في **تفسير ابن الفرات** وهو من الشيعة الذين عاشوا في القرن الرابع.

ولا تحسبن أن الفترة التي نؤرخ لها كانت فترة **تاريخية مظلمة** بسبب ما قدمنا من أمثلة ونماذج اقتضاها **البحث الموضوعي** إذ عاش في هذه الفترة **جهابذة من المفسرين المحققين الذين بذلوا الوسع، واستفرغوا الجهد خدمة لكتاب الله – عز وجل– كيف وفيها أمثال:**

~ **احمد بن على الجصاص** ⟵ صاحب كتاب (أحكام القرآن) المتوفى سنة 370هـ، وهو على مذهب الإمام **أبى حنيفة**، وهو وإن لم يفسر القرآن آية آية كما فعل كثير من المفسرين غيره إلا إنه فسر الآيات التي لها تعلق بالموضوع الذي يدرسه وقد نال تفسيره حظاً من شهرة، ونصيباً من صيت.

- ولا يجوز أن نتجاوز ذلكم المدى الزمني الذي نحن فيه من غير ما إشارة إلى أبى **حامد الغزالي** الذي جمع بين **الفلسفة والفقه وأعاد لعلوم الدين رونقها وبهاءها** بعد أن كاد يُوَدى بها، ونظر في كثير من المسائل التي شغلت المسلمين نظرة علمية فاحصة وبحسبنا أن نشير إلى ما قاله عن **الجبر والاختيار** وهى من المسائل التي ألقت بظلالها على التفسير والمفسرين، قال:

(تحيرت عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل عنه – أي الجبر والاختيار – جبر محضٌ، ومن قائل إنه اختراع صرف، ومن متوسط مائل إلى انه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد **صادق** من وجه وأن **القصور** شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم **كنه** هذا الأمر، ولم يحظ علمه بجوانبه، وتمام

علمه – أي علم الجبر والاختيار – ينال بإشراق النور من كوة نافذة – أي فتحه – إلى عالم الغيب) •.

وخلاصة هذا القول – عزيزي الدارس – أن الحقيقة واليقين في هذا الأمر بحاجة إلى فتح رباني، وإشراق وإلهام من عند الله، ولا يتأتى هكذا بإعمال العقل والنظر فهذه الوسيطة مهما كانت ماضية وناجعة فلها حدود لا تتخطاها إلى أسرار الله التي يتاح الضئيل منها لبعض عباد الله المكرمين.

- كما لا يجوز أن نتجاوزها من غير ما إشارة إلى قدوة **المفسرين عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب المشهور بجده ابن عطية** المتوفى سنة (541هـ) فله في التفسير الباع الطويل والقدم الراسخ ويقع تفسيره الذي سماه، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في عدة مجلدات وقد نال شهرة واسعة لا في بلاد المغرب وحدها بل في سائر أنحاء العالم الإسلامي ولقد احتفل به العلماء ونوهوا به ومن هؤلاء الناقد الحصيف، والسلفي النابه الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيميه الحرانى وذلك إذ يقول:

(تفسير **ابن عطية** خير من تفسير **الزمخشري** وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع. . بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير).

وأنا أقول – أي المعد – أما من حيث **صحة النقل** فنعم، وأما من حيث **الكشف عن البلاغة القرآنية** فلا!!! فإن الزمخشري **لا يُجارى ولا يُبارى** في ذلك الباب من أبواب العلم بالقرآن وأساليبه، ولقد ذكر ابن خلدون بحق أن ابن عطية: (لخص تفاسير من سبقه وتحرى ما هو أقرب للصحة منها).

وهذا، ونختم هذا المبحث بالإشارة إلى علمين من أعلام التفسير هما:

~ أبو حيان الأندلسي صاحب ←——— **البحر المحيط.**

~ وفخر الدين محمد بن عمر الرازي صاحب **المعروف (بمفاتيح الغيب)** – وكلاهما ممن لا تخطئهم عين في **(فن التفسير)**، إلا إن **ابن حيان** انشغل **بالقضايا النحوية انشغالاً كاد يصرفه عن التفسير.**

• الغزالى / إحياء علوم الدين /6/4 وإنه لكلام نفيس . هذا وقد كانت أطروحة المستشرق W.M.watt بعنوان . Free will and predestination in Early Islam

– وانشغل الرازي بمسائل **اللغة والفقه والكلام والتصوف** وغيرها من العلوم انشغالاً جعل بعضهم يقول: (فيه كل شيء إلا التفسير).

تدريب (10)



1. (أسدى الغزالي للعلوم الإسلامية خدمة عظيمة، وأحرز فضلاً مميزاً في عصره)، ناقش.
2. قارن بين رأي ابن تيمية ورأي المعد في الزمخشري، ولخص ما استنبطته من المقارنة؟

أسئلة تقويم ذاتي



1. من هم أبرز مفسري القرن الرابع؟
2. ما هي أبرز كتب التفسير التي عرفتها في هذا القرن؟
3. ما هي الخدمات العظمية التي قدمها علماء المعتزلة للتفسير؟
4. من هم الصوفية؟ وبأي مصطلح اشتهر مذهبهم في التفسير؟
5. ما هي الانحرافات العظيمة التي ميزت التفسير الباطني عن غيره؟
6. مثِّل للتفاسير الباطنية الباطلة، ووضح رأيك فيها.
7. من هو الإمام أبو حامد الغزالي، وما أبرز كتبه؟
8. من هو الإمام بن عطية، وما عنوان تفسيره المشهور وما أبرز ما قيل عنه؟
9. من هو صاحب (البحر المحيط) وماذا أُخذ عليه في هذا التفسير؟
10. صف الإمام فخر الدين الرازي، وتفسيره، وأشهر ما قيل عنه في كلمات؟ من خلال دراستك له في هذه الوحدة.

5. التفسير من القرن السابع إلى مشارف العصر الحديث

أقبل القرن **السابع الهجري** بما فيه من **أهوال في الأحوال**، وبما فيه من توتر **سياسي** أثر في **الحياة العامة من غزوات للتتار**، **وحملات للصليبين** حتى أصبحت **مضرباً للأمثال** وحتى قال الإمام **الصرصري** وهو من مداح الرسول صلى الله علي وسلم المشهورين والمتوفى (سنة 656 هـ):

وسئل ربك النصر العزيز لأمة تكتفها قرنٌ من الدهر سابعُ

وبالرغم من تلك الأوضاع الخارجية المحزنة، إلا أن التراكم العلمي في مجال التفسير وعلوم القرآن ظل مضطرداً متوتراً والتفاسير التي قال عنها الزمخشري في الفترة السابقة التي أدرنا فيها الحديث:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي

0 ما زالت – أي مسيرة التفسير – في اضطراد مستمر، وتزايد مضطرد وكان للسابقين ولا سيما **أبو جعفر الطبري وأبو القاسم الزمخشري** أثرهم الذي لا ينكر وسطوتهم التي لا تخطئها عين.

- **فالطبري الذي ألف:**
  - جامع البيان في التفسير.
  - وتاريخ الأمم والملوك في التاريخ، وكان له في الحديث النبوي قدم، كان قدوة تحتذى لمن جاء بعده من علماء هذه الفترة التي نؤرخ لها.

وعلى سبيل المثال:

- **ابن كثير يؤلف في التفسير:**
  - تفسير القرآن العظيم.
  - وفي التاريخ البداية والنهاية وله بالحديث النبوي اشتغال، فلو توقفت قليلاً – عزيزي الدارس – لو وجدته يسير على نفس منوال الطبري.

- وابن الجوزي يؤلف في التفسير:
  - زاد المسير.
  - وفي التاريخ المنتظم في أخبار الملوك والأمم وله بالحديث النبوي عناية.
- والسيوطي يؤلف في التفسير:
  - الدر المنثور في القول بالمأثور.
  - وفي التاريخ تاريخ الخلفاء وله بالحديث اهتمام.
- وأما الزمخشري فقد عُنى المفسرون والعلماء بتفسيره، وامتد تأثيره حتى العصر الحديث كما نلاحظ ذلك في تفسير:
  - التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي.

~ ومن العلماء من أوسعه تجريحاً – أي تجريح الزمخشري – كأبي حيان الأندلسي الذي قال فيه:

ويثبت موضوع الحديث تعصباً لمذهب سوء فيه أصبح مارقا

جدول (1) آراء علماء التفسير في الكشاف

م	العلماء المفسيرين	الموقف من الكشاف
1	أبـــو حيـــان الاندلسي	التجريح بشدة، واعتبار الزمخشري مارقاً
2	ابن المنير	تتبع مواضع الاعتزال في الكشاف يرد عليها، ويدفعها بالحجة مناصراً لمذهب أهل السنة، وذلك في كتابه **(الانتصاف من صاحب الكشاف)**
3	القاضـــي أبـــو الخير عبدالله بن عمر البيضاوي	عدل في تفسير الكشاف فحذف أغراض الاعتزال، ويدفعها بالحجة. مناصراً لمذهب أهل السنة، وذلك في كتابه **(أنوار التنزيل، وأسرار التأويل)**• هذا من التفاسير المعتبرة وقد ترك صاحبه القضاء وتفرغ للعلم وتخلص له وتوفي نحو...
4	الإمام ابن حجر العسقلاني	خـرّج أحاديـث الكشـاف – أي تتبـع هـذه الأحاديـث وأثبـت الصـحيح مـن الضـعيف مـن الموضـوع... الـخ – وذلـك فـي كتابـه ←**(الكـافي الكشـاف فـي تخـريج أحاديـث الكشاف)**
5	شرف الدين (ابن خلـدون 367 – 368)	شرح الكشاف شرحاً ناقداً في كتابه ← **(المقدمة).**

ولقد وجد علماء **القرن السابع الهجري** والقرون **التي تلت من** بعد ثروة **هائلة** في كل مجال من **مجالات المعرفة،** فقد ابتدأت الترجمة ونقل العلوم الفلسفية منذ أواخر **العصر الأموي،**

• (685هـ) ونال تفسيره شهرة وطبعه فلاشر سنة 1844م – 1848م فى مجلدين .

واستمر مريرها وقوى عودها في **العصر العباسي** ولا سيما في عهد المأمون **بن هارون الرشيد،** وكانت هناك طائفة الفلاسفة والمتكلمين من أمثال:

~ **أبى يوسف يعقوب الكندي.**

~ **وأبى النصر الفارابي المعلم الثاني.**

~ **والرئيس الشيخ ابن سينا.**

~ **وأبى حامد الغزالي** (حجة الإسلام ومجدد الدين أقبل على الفلسفة بعد أن هضمها يهدمها بمعوله ويرمي الفلاسفة بالكفر والزندقة حتى قال بعضهم شيخنا أبو حامد ابتلع الفلسفة ثم أراد أن يتقيأهم فلم يستطع وله كتاب **(تهافت الفلاسفة)** الذي رد عليه ابن رشد بتهافت التهافت")

~ **وابن رشد** (الفيلسوف والفقيه المغربي المشهور).

1 .5 التصوف الفلسفي

ونشأ ما يمكن أن يسمى **بالتصوف الفلسفي** من تفسير نظري إشاري رمزي نظري، ووضعت نظريات في التصوف كان لها أثرها البعيد في "**التفسير**" وذلك كنظرية ⟵ الاتحاد (أي اتحاد اللاهوت والناسوت أو اتحاد الذات الإلهية بالذات البشرية كاتحاد الخمر بالماء الزلال وكانت بداياتها عند أمثال:

~ أبي منصور الحلاج ⟵ المقتول (سنة 309 هـ)، والذي نسبت إليه أقوال مثل:"سبحاني ما أعظم شأني". – "وما في الجبة إلا الله".

ولست بالتوحيد ألهو غير أنى عنه أسهو

كيف ألهو كيف أسهو وصحيح أنني هو

- ثم كانت هناك نظرية **وحدة الوجود** فما في الكون من كثرة إن هو إلا خداع، والحقيقة إنما هي:

التوحيد المطلق، والفناء المطلق، فما في الكون إلا الله. وهذه خلاصة نظرية (وحدة الوجود).

عزيزي الدارس،

ولذلك عدّلوا في قول الآخر : وفى كل شيء له آية تدل على **أنه واحد**"

ليصبح :←——————— وفى كل شيء له آية تدل على أنه **عينه**"

تدريب (11)



1. ماذا يريد الشاعر بقوله:

ويثبت موضوع الحديث تعصباً لمذهب سوء فيه أصبح مارقاً

2. ما دلالة اختلاف العلماء في تفسير الكشاف اختلافاً عظيماً؟
3. حلل نظرية "وحدة الوجود" باختصار، موضحاً رأيك فيها؟
4. قارن بين منهج الطبري، ومنهج الزمخشري في التفسير بإيجاز؟

ووجدت هذه النظرية (نظرية وحدة الوجود←— العشق والعاشق والمعشوق واحد) تمثيلها فى رجال القرن السابع من أمثال:

~ **محي الدين بن عربي الحاتمي** (لابن عربي تفسير كبير في مجلدات على طريقة التصوف وتفسيره لسورة الكهف وله تفسير صغير في ثمانية أسفار على طريقة المفسرين)•.

وله أيضاً الكتاب المشهور "الفتوحات المكية" وكتاب "فصوص الحكم".

~ **وابن الفارض** ←——— الذي كان يقول في تائيته الكبرى:

وما زلت إياها وإياها لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

فإن دعيت كنت المجيب وإن أدع أجابت من دعاني ولبت

۞ هذا وقد اختلفت أنظار النقاد فيمن نحوا ذلك المنحى في التفسير (الصوفي الرمزي المجازي الفلسفي) فمنهم:-

- من كفرهم ورماهم **بالزندقة والإلحاد.**
- ومنهم من تبرع بأن يخلع عليهم كسوة **الأولياء الكمل.**

• السيوطي، طبقات المفسرين – ص 138.

أسئلة تقويم ذاتي



1. ما أهم سمات القرن السابع الهجري السياسية والاجتماعية؟
2. ما أثر ذلك القرن على الحركة العلمية؟
3. ما آثار تلك الفترة على علم التفسير والعلوم القرآنية خاصة؟
4. عدِّد أبرز التفاسير والمفسرين في تلك الفترة.
5. برزت مدرستان واضحتان في تلك الفترة، حددهما وبيِّن بوضوح منهجهما بالتفسير؟
6. ما معنى نظرية وحدة الوجود ومن هم أبرز دعاة هذه النظرية؟ ما موقف العلماء منها.
7. ما المنهج الذي سلكه دعاة وحدة الوجود في التفسير؟

5. 2 أبرز مذاهب التفسير في القرن السابع

وهكذا تعددت الأساليب وتفرقت السبل، واتخذ العلماء والمفسرون طرائق قدداً في تعاملهم مع القرآن الكريم تفسيراً وتاويلاً فمنهم:

۞ من اهتم **باللغة**، وانشغل بمسائل النحو، ومنهم من أعربه سورة سورة، وآية آية وكلمة كلمة كما فعل:

~ **أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري** (538-616هـ) ←فيه كتابه (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن)

– ومنهم من **اهتم بعدِّ كلمات القرآن وحروفه:**

~ كابن الجوزي في كتابه← (فنون الأفنان)، حتى عد الباقلانى هذا (من البطالات) أي عدِّ حروف القرآن.

وحتى قال السخاوي محمد بن عبد الرحمن المؤرخ المشهور: (لا اعلم لعدد الكلمات والحروف فائدة)• (المتوفى سنة 902هـ).

• السيوطى الإتقان ج1 /70.

- ومن العلماء من اهتم بشرح **غريب القرآن** كما فعل:

~ الراغب الأصفهاني في كتابه ⟵ (المفردات)

- ومنهم من ألف فيها الأراجيز كما فعل:

~ **الشيخ الديرينى** ⟵ الذي يأتي **باللفظة القرآنية** ثم يشرحها **ببيت من الشعر** كأن يقول في قول الله عز وجل :

➢ ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (النبأ:33)

كواعبٌ نواهدٌ والكاعب إذا استدار ثديها للاعب

ويمكننا أن نسمي هذه الفترة التي نؤرخ لها الفترة التي شاعت فيها **المنظومات التي تقرب العلوم إلى الدارسين زلفى،** ففيها ألف:

~ **الإمام أبو القاسم الشاطبي** لاميته التي تسمى بحرز **المعاني** في القراءات والقراء ومنها:

جزى الله بالخيرات عنا أئمة * لنا نقلوا القرآن عذباً وسلسلا

✓ وفيها – أي في هذه الفترة أيضاً – ألف **الإمام ابن مالك ألفيته في النحو العربي** وهي منظومة شعرية باسم ⟵ **(ألفية بن مالك)**، وقبله ابن مُعطي.

✓ وفيها ألف **الزين العراقي** ⟵ **ألفيته في علوم الحديث.**

✓ وكذلكم فعل **جلال الدين السيوطي** ⟵ في **علم الحديث.**

وغيرهم من العلماء في أبواب العلم المختلفة.

▪ مدرسة الإمام ابن تيمية في التفسير

هذا وقد بزغ نجم **الإمام أبى العباس أحمد بن تيمية الحراني** في هذا – القرن السابع للهجرة – فبدد الله به **ظلمات بعضها فوق بعض،** ولقد كان **بارعاً مِغناً** في كثير من الفنون نبغ في **علوم العربية،** و**بلغ** فيها شأناً مكنه من الرد على سيبويه.

- ونبغ في علوم القرآن والتفسير وصنف فيها المقدمات والمجلدات.

- وكأن حديث الرسول – صلى الله علي وسلم – بين عينيه (كناية عن تجويد حفظه والإحاطة بدرجاته ورجاله ومعرفة مداخله ومخارجه ووعيه والتفقه فيه بعمق متناهٍ).
- ودرس **الفلسفة والمنطق** ولكنه بدأ **البداية الصحيحة**، ولم يفعل كما فعل **أبو حامد الغزالي** الذي بدأ بالدراسات الفلسفية، وإن ختم بالحديث ومات والبخاري على صدره.

- أما ابن تيمية فقد تشبع في **علوم القرآن والحديث والعربية** وتضلّع فيها حتى إذا نال منها **النصيب الأوفى، والسهم الربيح، والقدح المعلى** وأصبح له فيها ملكة لا تجارى، أقبل على علوم الفلسفة والمنطق فأعمل فيها قريحته المشتعلة، وبصيرته النافذة، وملكته المصقولة فرد على المناطقة **والفلاسفة وأهل التصوف بحجج عقلية باهرة** ما استطاعوا لها رداً.
- لم يفسر ابن تيمية القرآن سورة سورة ولا كلمة كلمة ولكنه انتخب آيات كأنها النموذج لما ينبغي أن يكون عليه التفسير وقد جمع تفسيره في كتاب حمل عنوان:

~ **دقائق التفسير** ⟵ الإمام ابن تيمية.

- ولتلميذه النابه شمس الدين ابن قيم الجوزية (691–751هـ)، تفسير جمعه محمد أويس الندوي، وحققه محمد حامد الفقي في مجلد واحد بعنوان:

~ **التفسير القيم لابن القيم** ⟵ **ابن قيم الجوزية.**

وقد نهج فيه نهج أستاذه حيث انتخب آيات بعينها مثل قوله تعالي:

▲ ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾

(البقرة: 179)

▲ وقوله سبحانه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗا ﴾ (العنكبوت: 41)

وهكذا يمضى ينتخب آيات من الذكر الحكيم يوليها عنايته، ويعمل فيها فكره، ويجتهد في تفسيرها والكشف عنها.

- **ابن كثير**

ويعد عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي المولود سنة (700هـ) تلميذاً من تلامذه مدرسة ابن تيمية، وعموداً من أعمدتها الراسخة. وقد مدح ابن تيمية تفسير ابن كثير ورجحه على سائر المفسرين، وكان ابن كثير ساعتئذ في سن الشباب وقد سلك ابن كثير سبيل من سبقه من بعض المفسرين، ففسر القرآن كله في أربعة مجلدات يعتمد فيها على تفسير القرآن بالقرآن، والحديث النبوي وتقل فيه الإسرائيليات، ويندر فيه الاستشهاد بالشعر، والوقوف عند مسائل اللغة والبلاغة والبيان وهو في هذا دون الزمخشري بكثير ولقد نال تفسيره شهرة واسعة وأثر تأثيراً بعيداً في كثير من المفسرين المعاصرين:

~ كسيد قطب ⟵ في (ظلال القرآن).

~ وسعيد حوى ⟵ في (أساس التفسير).

➢ ولقد أحسن – أي ابن كثير – إذ نزه تفسيره عن القصص الإسرائيلي الغريب المنكر الذي نجده في تفسير الخازن المتوفى سنة 741هـ وفى (العرائس في قصص الأنبياء) للثعلب النيسابورى.

تدريب (12)



1. اهتمت بعض مدارس التفسير بجانب اللغة والبلاغة، والبعض بعدد كلمات القرآن وحروفه، ولم يهتم بعضهم بتنقية الآثار، فما رأيك بالمنهج الأسلم في التفسير، ولماذا؟

التفسير في المغرب

ولابد من التفات إلى المغرب الحبيب وقد سبقت الإشارة إلى **ابن عطية** صاحب "**التفسير الوجيز**" الذي ملأه علماً وفضلاً.

وفي القرن السابع أشرقت شمس **أبى عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي** زينة العلماء ودرة التاج، الذي ألف في التفسير كتاباً سماه:

- **(الجامع لأحكام القرآن)**، وتوفى سنة (671هـ) بعد أن خلف وراءه المصنفات الحسان، ولا يغرنك أنه سمي تفسيره **(أحكام القرآن)** فهو لا يقتصر على **آيات الأحكام** وحدها بل يتناول **القرآن في آياته جملة،** ويقف عند الآيات الكريمة وقفات طويلات ربما ذكر فيها بعض وجوه القراءات، وشيئاً من مسائل اللغة، وربما استشهد ببعض الشعر القديم وربما ذكر في **الآية الواحدة نحواً من عشرين مسألة.** وقد رزق تفسيره سيرورة فسيحة وما زال الناظرون في كتاب الله – عز وجل – يستفيدون منه، وما زال يمدهم بالفوائد العلمية المتدافعة وقد وضعت فيه وفى المنهج الذي اتبعه بعض الأطروحات العلمية المعاصرة.

أسئلة تقويم ذاتي

1. ما هي أبرز الأساليب التي اتبعت في التفسير خلال القرن السابع.
2. ما معنى المنظومات، ومتى ظهرت، وما فائدتها للعلوم المختلفة؟
3. اذكر بعض المنظومات المشهورة في العلوم المختلفة؟
4. ما هي الخصائص والمزايا التي تفرد بها شيخ الإسلام – ابن تيمية قدس الله سره؟
5. ما منهج ابن تيمية المتفرد في التفسير؟ وما عنوان تفسيره؟
6. من هو أبرز تلاميذ – ابن تيمية – وكيف ترسم نهجه في التفسير؟
7. ما عنوان تفسير ابن القيم، ومن الذي جمعه في سفر واحد؟

8. (تفسير القرآن العظيم) لمن؟ ومن أبرز شيوخه، وكيف اختلف نهجه قليلاً عن نهج شيوخه؟ وما أبرز آثار وخصائص تفسير القرآن العظيم؟
9. من أبرز علماء التفسير في المغرب العربي؟
10. ما أشهر تفاسير المغرب العربي؟ وبماذا تميزت مدرسة التفسير في المغرب؟

- ثم جاء **أبو السعود** المتوفى سنة 982هـ فعُنىَ بتقرير الأدلة على عقائد أهل السنة، محاولاً أن يبين وجوه إعجاز القرآن، والبلاغة القرآنية.

▪ التفسير في مصر

وفى مصر ملأ الإمام اللغوي المؤرخ المفسر المحدث **جلال الدين السيوطي** الأرض علماً وفضلاً وجمع آثار من سبق في التفسير في كتاب نبيل سماه:

* (الدر المنثور في القول بالمأثور)، وألف هو **وجلال الدين المحلي:**

* (تفسير الجلالين) وهو على اختصاره ووجازته جامع لكثير من الفوائد العلمية، والزبد الفنية المستخلصة من التصانيف الطوال مع عدم التكلف وإرجاع العلم إلى الله في كثير من الأحيان.

– وقد نالت كتب **السيوطى** شهرة عظيمة عندما بلغت بلاد تكرور – أي بلاد التكارين كما نسميهم نحن في السودان ويقصد بلاد الغرب الإفريقي نيجيريا وما جاورها – كما ذكر هو في بعض مواطن فخره على بعض معاصريه الذين لم تبلغ تآليفهم قنطرة مصر بينما سارت كتبه هو فى الآفاق، وانتفع بها الناس.

▪ التفسير في اليمن

أما في اليمن السعيد فقد قيض الله رجالاً من أمثال **محمد بن على الشوكانى** صاحب:

- "**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**" وصاحب، (فتح القدير) عاش نحواً من سبع وسبعين سنة مباركة عامرة بالتصنيف والتأليف في التفسير

وأصول الفقه، والفقه والحديث ومع تخرجه على مذهب الزيدية إلا أنه لم يكن من المتعصبين بل كان مجتهداً ينظر نظراً مستقلاً واسعاً مما أثار عليه حفيظة بعض معاصريه من المقلدين غير المحصلين.

لقد وجد **الإمام الشوكاني** ثروة عظيمة في مجال التفسير فاستغلها أحسن استغلال وجاء تفسير مشتملاً على فوائد اكتسبها من السابقين من أمثال **الطبري والزمخشري وابن عطية والقرطبي والسيوطي**.

ولكنه لم يكتف بالنقل الأجرد بل تجرد للغوص في المعاني التي ربما لم يسبق إليها فجاء كتابه كما قال في مقدمته:

(لب اللباب، وعجب العجاب، وذخيرة الطلاب، ونهاية مآرب الألباب)

وحق لصاحب **(نيل الأوطار)** أن يفاخر بتفسيره ويباهى فهو في غاية الحسن والبهاء والإتقان.

▪ التصوف مرة أخرى

هذا وقد ظل أهل التصوف يبثون أفكارهم وينشرون رموزهم الباطنية، ومعانيهم الإشارية وتهويماتهم المجازية على مدار تاريخ التفسير ومما نشر في القاهرة سنة 1969م تفسير:

- (جزء عم) **لنعمة الله محمود** المتوفى سنة (920هـ) الذي حققه **محمود شلبي**، وهاك مثالاً من تأويلاته الغريبة لنص قريب المنال، داني المأخذ هو قوله سبحانه:

➢ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾

(الطارق: الآية 1– 3)

وهذا ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن إذ أن الله سبحانه وتعالى قد سأل من باب التعظيم والتهويل والإبهام ثم أجاب عما سأل وفسر ما أبهم فالطارق المتسائل عنه هو النجم الثاقب المجاب عنه.

ولكن نعمة الله محمود يأبى إلا أن يغرب – من الشطط والبعد الشديد – فيقول:

(والسماء أي: بحق سماء الأسماء اللاهوتية المصونة عن مطلق التغيير والزوال، المتعالية عن مدارك الوهم ومشاعر الخيال وبحق (الطارق) الذي يتخطف منها على آحاد الرجال، بعد ما هاجروا عن بقعة الناسوت مسخرين بالعزيمة الخالصة نحو فضاء اللاهوت بمقتضى الجذب الجبلي، والميل الفطري المعنوي. . . الخ) •

- وكذا تضيع **المعاني الظاهرة المكشوفة** في خضم **تأويلات باطنية سحيقة** ما أنزل الله بها من سلطان.

- ومن التفاسير التي حظيت عندنا بالبقاء والنشر لأهل التصوف كتاب (تاج التفاسير) للسيد محمد عثمان الميرغني (الختم الكبير) وهذا أوان دخولنا للتفسير في العصر الحديث.

أسئلة تقويم ذاتي

1. من أبرز علماء مصر في هذا القرن؟
2. اكتب عن مكانته العلمية، واذكر أبرز منجزاته في التفسير؟
3. تفسير (فتح القدير) تفوق تفوقاً عظيماً على الكثير من كتب التفسير، حلل هذه العبارة؟
4. هل أثر المذهب الزيدي الشيعي على الشوكاني، وما دليلك على ما تقول؟
5. من هو نعمة الله محمود؟
6. مثّل للتفسير الصوفي، ووضح كيف ابتعد هذا التفسير عن المعاني الظاهرة المكشوفة، وما رأيك في هذا النهج؟

• نعمة الله محمود / تفسير جز عم /138.

6. التفسير في العصر الحديث•

كانت أوربا تعيش عصور الظلام (The Dark Ages) عندما كانت شمس الإسلام والمسلمين مشرقة تضئ آفاق الكون وشعابه وتشبعه نوراً وعلماً ومعرفة.

وكان لاتصال أوربا بالمسلمين عن طريق الأندلس وصقلية والحروب الصليبية أثره البعيد فى إخراج أوربا من ظلمات الجهل إلى نور العلم. وبعد النظر الميتافيزيقى – ما وراء الظاهر المهوم – من الهيام – في عهد طاليس وسقراط وأفلاطون وأرسطو أصبح الأوربيون ينظرون إلى الكون نظرة علمية واقعية بعيدة عن شطط الخيال الجامح، والوهم المستحكم وذلك بتأثير من المسلمين وأصبح للفلاسفة التجريبيين (The Empiricists) من أمثال **جون لوك وديفيد هيوم** تأثيرهم البعيد في الفكر الأوربي الحديث وأصبحوا يتكلمون عن نظرية السببية (The Doctrine of Causality) بعد أن سبقهم إليها رجال من أمثال **أبى حامد الغزالي.**

دار الزمان دورته واتخذ الأوربيون مناهج المسلمين العلمية وأساليبهم في التفكير وتقدموا بها تقدماً ملحوظاً، وقطعوا بها أشواطاً في العلم التجريبي بعاداً، واتوا بنتائج باهرات واكتشفوا ما اكتشفوا من قوانين الكون ونواميسه وتقهقر المسلمون، وتخلفوا عن ركب الحضارة والتمدن والتقدم وأقبل عليهم الأوربيون بجيوشهم وأساطيلهم وحضارتهم التي أخذت جانباً متالقاً من الحضارة الإسلامية، وإن ربطته بالإلحاد والتنكر للدين جملة فأصبحت تنظر بعين عوراء وتمشي بساق واحدة.

لكأنها عين هشام بن عبد الملك التي قال فيها الفرزدق:

يقلب عيناً لم تكن لخليفة مشوهةً حولاء باد عيوبها

واستطاعوا بسطوة العلم التجريبي وكشوفاته أن يخضعوا بلاد المسلمين شرقاً وغرباً لسلطانهم.

كان لانقلاب الأوضاع بتلك الصورة الدرامية الحزينة أثرها البعيد في حياه المسلمين الذين تنازعتهم تيارات فكرية متصارعة:

• من أحسن ما كتب في هذا الباب (اتجاه التفسير في العصر الحديث) لمصطفى محمد الحديدي الطير .

✓ فمنهم من **تنكر لتلك الحضارة،** ولسان حالهم في ذلك الشاعر السوداني **الفحل محمد سعيد العباسي:**

جزى الله تيك الحضارة شر ما جزى من تصاريف الزمان المعاند

فلم تك يوماً والحوادث جمة حمى لضعيف أو صلاحاً لفاسد

وما دام هذا الحكم عليها، فليكن إذن التعلق بتاريخ المسلمين الباذخ الوضئ :

رعى الله عهد الراشدين وتربة سمت بالعاصمين عمروٍ وخالد

✓ ومنهم **من بهرته تلك الحضارة فخطف بريقها بصره وشل تفكيره فدعا إلى تقليد الأوربيين تقليداً محضاً** والأخذ بأسباب الحضارة الغربية ما يمدح منها وما يذم فإذا أردنا اللحاق بركبهم فلابد أن نأخذ حضارتهم بحلوها ومرها وأن نأكل كما يأكلون، ونفكر كما يفكرون.

✓ ومنهم من **نظر** إلى تلك **الحضارة نظرة موضوعية فاحصة** فدعا **إلى الأخذ بأسباب العلوم** (وإنما هي بضاعتنا ردت إلينا)، في حقيقة الأمر.

وبالتالي يجب الاستفادة من معطيات العصر، وثمرات المعارف العصرية وهى من أسباب القوة التى أمرنا بإعدادها، قال تعالى:

➢ ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾.

وكان **للتفسير مكانه** الذي لا **ينكر من ذلك كله،** أي من **المعطيات والتحديات** التي **دهمت الأمة بسبب غلبة الحضارة الغربية وسطوتها على العالم ككل،** ومنه الأمة الإسلامية.

- ولا شك أن للزمان تأثيره فالقضايا التي كانت تشغل أذهان المسلمين في فترة زمنية معينة ليست هي بالضرورة القضايا التي ينبغي أن تكون ملازمة لهم في كل عصر ومصر.

ولنضرب على ذلك مثلين:

المثل الأول:

قضية **(خلق القرآن)** هذه القضية شغلت المسلمين في العصر العباسي لفترة طويلة من الزمان وسفك فيها الدم الحرام، وانتهكت فيها الحرمات وفتن بها الناس وأصبحت الآن قصة تحكى وما عاد أحد بها مشغولاً.

المثل الثاني:

قضية **(تحكيم الشريعة)** وهذه من القضايا الفكرية المعاصرة التي يتنازع فيها المسلمون اليوم وما كانت قضية تشغل بال أحد من الماضين وذلك لأنها من المسلمات البدهيات ومن المعلوم من الدين بالضرورة، انظر إلى قوله تعالى:

▲ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء: 65)

* شجر: من الاشتجار والنزاع والاختلاف والخصام.

– ولكن عندما احتل الكفار أرض المسلمين، ولما كان المغلوب كلفاً بتقليد الغالب – وابتعد الناس عن شرع الله – (أي يرهق نفسه بالتكلف في التشبه بالغالب رغباً ورهباً).

ملحوظة مهمة: ظاهرة تقليد الغالب من المغلوب أشار إليها عالم الاجتماع البارع **ابن خلدون** واعتبرها من الوقائع الاجتماعية التي لا تتخلف غالباً.

وبما أن هذا الغالب – أي الاستعمار الغربي – قد استبعد الدين، واتخذ من العلمانية (Secularism) مذهباً عنه ينافح ويدافع، فقد فتن كثير من المسلمين المقهورين المغلوبين في دينهم فتحللوا من كثير مما يلزمهم به دينهم بما في ذلك قضية الاحتكام إليه في أمورهم كلها.

وعليه كان لتلكما القضيتين:

- قضية **التقدم العلمي** الهائل الذي حدث في هذا العصر.
- وقضية الاستعمار أو الاحتلال الذي بلى به المسلمون أثرهما البعيد في تفسير القرآن الكريم.

- أما **الاستعمار فقد اتخذ المصلحون من القرآن وتفسيره سلاحاً ماضياً يواجهون به عدوهم ويجمعون به الناس من حولهم،** وهكذا كان القرآن وقود الثورات التى اندلعت لتحض الناس على الخروج من قبضة المستعمرين البغاة ونشير هنا إلى ما حدث من مقاومة للاستعمار الفرنسي من قبل رجال من أمثال:

- **عبد الحميد بن باديس.**
- **والشيخ الإبراهيمي.**

وكلاهما من الجزائر الذين رفعوا شعار:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

واتخذوا من آيات الجهاد وتفسيرها مادة لدروسهم التي كانوا يلقونها في مساجدهم ومراكزهم المختلفة.

– وأما العلوم التجريبية من طبيعة وكيمياء وهندسة وطب وفلك فكان لها شأنها البعيد وتأثيرها الكبير في التفسير، وهذا مما سنقف عنده إن شاء الله تعالى وقفة تقضي بعض حقه ومستوجباته.

لقد حشا بعض المفسرين المعاصرين تفاسيرهم بالمعارف والمعلومات التي أتاحها العصر، فالناظر مثلاً إلى ← "**تفسير الجواهر**" **لطنطاوي جوهري** يذّكره بلا ريب النهج الذي سار عليه ← **فخر الدين الرازي** الذي حشد في تفسيره من المسائل والقضايا والأفكار والمعاني التي قد لا يحتاج إليها التفسير حتى تهكم عليه من تهكم فقال القولة التي ذكرناها من قبل: "**فيه كل شيء إلا التفسير**" !

تدريب (13)

التفسير مرآة تعكس معطيات العصر بصدق، بل يتفاعل مباشرةً مع الأحداث، ويؤثر فيها أثراً بالغاً، حلل ذلك مستشهداً ببعض أحداث العصر العلمية والاجتماعية والسياسية؟

لقد كان للكشوفات العلمية المعاصرة أثرها الذي لا ينكر على المفسرين المعاصرين وهذا أمر متوقع منتظر فلا يمكن أن يقابل المفسرون المعاصرون عصر الانفجار العلمي بسكون وجمود بل تفاعلوا معه وتأثروا به وأشاروا إلى أن هذا من الواجبات العصرية التي ينبغي أن يقام بها على وجهها فالنفس العلمي التجريبي يكاد يكون عنصراً مشتركاً في التفاسير المعاصرة كافة

على تفاوت فيما بينها إذ أبدى بعض المعاصرين تحفظاً على ذلك المنهج في التعامل مع القرآن الكريم كالشيخ شلتوت، وأمين الخولي، وسيد قطب (المفكر الإسلامي المشهور).

– وذهب بعضهم إلى أن في القرآن حقائق خالدة ثابتة والعلم الإنساني عرضه للتغير والتبدل وما يثبت اليوم قد ينقص غداً، وحقائق اليوم قد تكون أباطيل الغد. وهذا المذهب أكثر تطرفاً في رفض ربط التفسير بالعلم التجريبي من سابقه الذي يتحفظ ولا يرفضه جملةً وتفصيلاً.

أسئلة تقويم ذاتي



1. ما معنى "العصور المظلمة" ولماذا ارتبط هذا المصطلح بأوربا في فترة من الفترات؟
2. ما فضل الإسلام على أوربا وكيف أنقذها من هذه الظلمات؟
3. كيف ردت أوربا الجميل على الشرق الإسلامي؟
4. عدِّد الاتجاهات الفكرية والنفسية التي اختلفت في التعامل مع الحضارات العصرية؟
5. اذكر بعض الأمثلة التي توضح تفاعل التفسير مع كل عصر وبأحداثه وتقلباته؟
6. ما أبرز القضايا والحوادث الكبرى التي أثرت في التفسير في عصرنا الحاضر؟
7. كيف تصدى التفسير وأهله للاستعمار الغربي؟
8. ما موقف العلماء من النظريات والاكتشافات العلمية الحديثة؟ مثِّل لكل موقف بمثال واحد؟

6. 1 لمحات من الإعجاز العلمي في القرآن

وبعيداً عن **التكلف** المقيت، **والتعسف** البغيض لابد من الإشارة إلى أن في القرآن الكريم **إعجازاً علمياً باهراً يقوم على دعامتين كبيرتين:**

الدعامة الأولى:

تتعلق **بالمنهج العلمي الصريح** الذي أشار إليه القرآن الكريم في كثير من المواضع وذلك كالدعوة إلى **النظر وملاحظة** (Observation) ما في الكون من آيات نيرات تشير إلى خالقها بلسان فتيق.

عزيزي الدارس،

تأمل هذه الآيات، وانظر فيها ملياً، وستعلم يقيناً أن القرآن الكريم هو **الكتاب** الذي بلغ **الآفاق في دعوته للمنهج العلمي**، ولم يبلغ الناس بعد إلا اليسير من **كنه دعوته**، وسر منهجه **القويم القيّم**.

- ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ ﴾ (ق: 6 -7)
- ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ ﴾ (الغاشية: 17- 20)
- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ ﴾ (عبس: 24- 28)
- (﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ (الطارق: 5- 7)

* النظـر – عزيـزي الـدارس – لا يعنـي مجـرد الرؤيـا الظـاهرة، وإنمـا يعنـي التفكـر بعمـق، والبحث والاستقصاء فيما وراء الظاهر، واستقراء الظواهر والموجودات، وربط السبب بالأسباب، وقياس اللاحق على السابق حتى يفهم الناظر ما حوله، ويستثمر نعمة الله عليك بأن كرّمه بأجل وأعظم النعم نعمة القدرة على التعلّم والعلم، وجعله خليفته في الأرض ليعمرها بالعمل الصالح والذي لا يتأتى إلا بالعلم والاستعانة بالله أولاً وأخيراً "وما توفيقي إلا بالله".

– ومن المنهج العلمي القرآني:

الاستقلال الفكري والتفكير الحر، يستشف ذلك من قوله تعالى:

➢ ﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾

(سبأ: 46)

– قف عند ((فرادي)) قليلاً، وتأمل في سعة التكريم الإلهي للإنسان وحريته الفكرية.

*** والكون كله مادة صالحة للتفكير:**

➢ ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (يونس: 101)

- **ومنه – أي المنهج العلمي القرآني – الدعوة إلى التحصيل وعدم التقليد:**

➢ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤ ﴾

(المائدة: 104)

- ومنه **الدعوة** إلى **إعادة النظر، وتقليب الفكر، ومراجعة التجربة:**

➢ ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ ﴾ (الملك: 3– 4)

~ فطور: شقوق وصدوع.

~ كرتين: كرة بعد كرة أي مرة تلو الأخرى.

~ خاسئاً: ذليلاً، والمراد التسليم التام لقدرة الله.

~ حسير: كليل تعب.

- ومنه الدعوة إلى **الصدق والتجرد والإخلاص وسداد القول:**

➢ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأحزاب: 70)

➢ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة: 119)

➢ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ (المائدة: 8)

– وهذا المنهج الأخلاقي القويم من صدق وعدل وأمانة وصبر واستقامة أخلاق لا بد منها للعلماء ولولا أن علماء النهضة كان عندهم من هذه الأخلاق نصيب ما استطاعوا أن يبلغوا ما بلغوا.

والأمانة العلمية حتى في المذهب العلماني الطاغي اليوم في جامعات العالم يعد رأس الأمر والأساس في البحوث العلمية مما يدل على أهمية الأخلاق العظمى في مجال العلم.

وأما الدعامة الثانية:

فتتعلق **بالحقائق العلمية** التي **ينثرها القرآن الكريم** وتجدها **مبثوثة في تضاعيفه وثناياه:**

عزيزي الدارس، لكي تتضح لك هذه الدعامة.... نستعرض معاً هذه الآيات

➢ ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَـٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الذاريات: 47)

قال بعضهم: في ذلك إشارة إلى ما ذكره العلماء من أن الكون في تمدد مستمر، واتساع دائب (Expansion of Universe).

➢ وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَـٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنبياء: 30)

ومن أقوى النظريات الكونية العلمية الآن أن **المجموعة الشمسية** كانت في الماضي السحيق كتلة واحدة صماء ثم انفلقت وتفرقت ومعلوم ألا حياة بلا ماء وأن الماء هو العنصر الأساسي في الحياة والأحياء.

~ **رتقاً:** ملتحمتين ملتصقتين.

~ **ففتقناهما:** ففصلنا بينهما، ففرقناهما إلى أجزاء بعد أن كانا لحمة واحدة

~ **يزجي:** يسوق برفق.

~ **ركاماً:** مجتمعاً بعضه فوق بعض.

~ **الودق:** المطر.

~ **سنا برقه:** ضوء برقه.

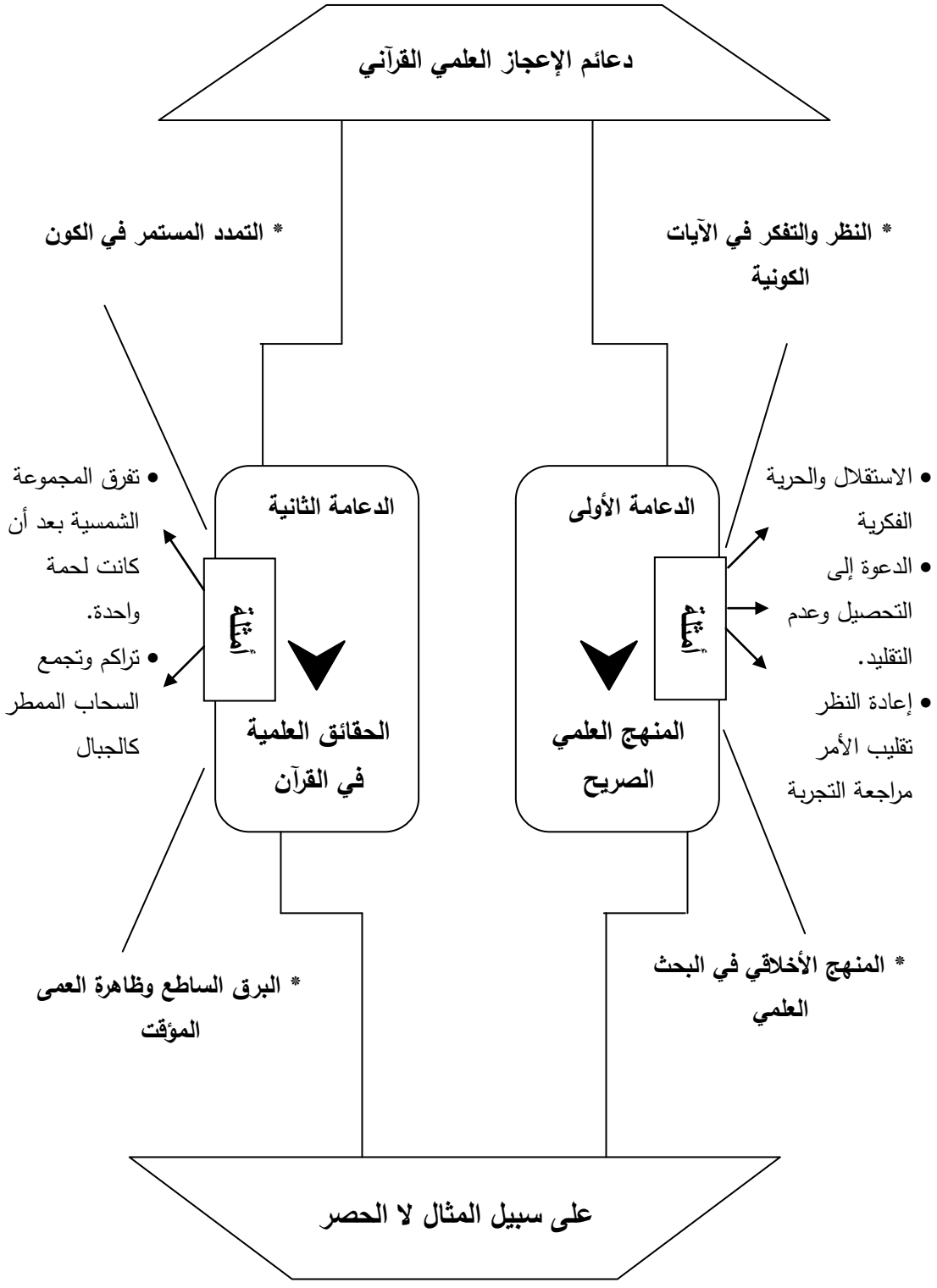
وقد أدرك العلماء الآن أن السحاب ما لم يتجمع ويتكاثف ويتراكم ويركب بعضه بعضاً فإنه لا يمطر ولذلك كان الحديث عن السحاب الثقال في سورة الرعد، ولهذا كان حديث العلماء عن السحب التراكمية، ولهذا كان حديث العلماء عن تكوين السحاب الذي يشبه تكوين الجبال من قاعدة للهرم ورأس للهرم، ولذا كان حديث العلماء عن سنا البرق الذي يذهب بالأبصار وما يعبر عنه بالعمى المؤقت (Temporary Blindness) الذي يصيب الطيارين عند تعرضهم لخطفات البرق اللوامع.

ولقد لفتت هذه الإشارات الدقيقة لتلك الحقائق العلمية التي اكتشفها الإنسان بأخرة أنظار الناظرين في كتاب الله عز وجل من الباحثين فألف بعضهم تفسيراً في الآيات الكونية خاصة كما فعل أحمد حنفي في كتابه تفسير الآيات القرآنية وكتب بعضهم عن التفسير العلمي جملة كما فعل عبد الرازق نوفل.

تدريب (14)



1. ماذا يعني معد المادة بقوله: (بعيداً عن التكلف المقيت والتعسف البغيض لا بد من الإشارة إلى أن في القرآن إعجازاً علمياً باهراً)؟


دعائم الإعجاز العلمي القرآني
* التمدد المستمر في الكون
* النظر والتفكر في الآيات الكونية
الدعامة الثانية
الدعامة الأولى
• تفرق المجموعة الشمسية بعد أن كانت لحمة واحدة.
• تراكم وتجمع السحاب الممطر كالجبال
• الاستقلال والحرية الفكرية
• الدعوة إلى التحصيل وعدم التقليد.
• إعادة النظر تقليب الأمر مراجعة التجربة
مثال
مثال
الحقائق العلمية في القرآن
المنهج العلمي الصريح
* البرق الساطع وظاهرة العمى المؤقت
* المنهج الأخلاقي في البحث العلمي
على سبيل المثال لا الحصر

▪ومن العلماء من ألف في طبقات الأرض كما فعل الأستاذ المصري: **محمد محمود إبراهيم.**
ومنهم من ألف في **الطب في القرآن الكريم** عندما وجد **إشارات إلى علم الأجنة** كما في قوله تعالى:

➢ ﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ ﴾

(الزمر: الآية: 6)

– ومنهم من ألف في **النمل والنحل**... إلى آخر تلك المؤلفات التي ربطوها **بالقرآن وعلومه وتفسيره.**

- ولابد هنا من أن ننبه على الفروق الدقيقة بين:

1. الحقائق العلمية الثابتة: (Concrete Scientific Facts)

مثل تكوين الماء من ذرتي هايدروجين وذرة أكسجين.

2. النظريات العلمية (Scientific Theories)

وذلك كالحديث عن نشأة الكون الذي أشرنا إليه في: (رتق السموات والأرض وفتقتهما).

3. الفروض العلمية (Scientific hypothies)

وذلك كالذي يسميه أهل الهندسة ب (Axioms)

- وعلى كلٍ فالقرآن كله حق، وافق أو خالف ما يضعه البشر.

أسئلة تقويم ذاتي

1. ما هي دعامات الإعجاز العلمي في القرآن التي خلص إليها المعد؟
2. مثِّل لمظاهر المنهج العلمي القرآني وأصوله؟
3. "القرآن وضع أصول المنهج العلمي وأسس له قبل أربعة عشر قرناً" حلل هذه العبارة؟
4. ما معنى الاستقلال الفكري والحرية في البحث العلمي، وما ثمراتهما العلمية والحياتية؟
5. المنهج العلمي القرآني أُسس على قاعدة أخلاقية راسخة، فصِّل ذلك ووضح ضرورته الملحة للمنهج العلمي.

6. دلائل التقدم العلمي الباهرة وردت في القرآن قبل أربعة عشر قرناً، مثل لها بأمثلة كافية.
7. القرآن أوحى بإعجازه العلمي العظيم للعلماء بوضع مؤلفات ذات طابع خاص، عددها وبيِّن المجالات لتي تناولتها؟
8. ما الفرق بين الحقائق والنظريات والفروض العلمية، وما علاقة القرآن الكريم بألوان النتاج العلمي البشري؟

➢ **ولن تجد حقيقة علمية واحدة تخالف وتناقض ولا تصطلح مع حقيقة قرآنية** واحدة، فإن خالق الكون وعلومه وقوانينه هو منزل القرآن وعلومه وفنونه فإن كانت هناك من شبهة اختلاف أو تناقص أو تضاد فإنما هي في عقول البشر لا في القرآن الخالد ولا في العلم الصحيح.

تدريب (15)



تأمل العبارة السابقة مباشرةً لهذا التدريب وحاول أن تشرحها بلغتك.

6. 2 من خصائص التفسير في هذا العصر

۞ بالإضافة إلى التأثر **بالعلوم العصرية** فإن من خصائص التفسير في – **هذا العصر الحديث:**

~ **البعد عن الإسرائيليات.**

~ **ورواية الأخبار الواهية.**

~ **والآثار الضعيفة.**

بل إن بعضهم – في هذا الإطار المتشدد في قبول الروايات – قد يتجرأ **فينكر** بعض الأحاديث التي صحت نسبتها لرسول الله – صلى الله علي وسلم – ومن تلك الخصائص أيضاً أن تلك التفاسير (أي المعاصرة):

~ نأى بها أصحابها عن التعقد اللغوي، والدرس النحوي، واستعاضوا عن ذلك ← بأسلوب سهل قريب لا تنفر منه أسماع المعاصرين الذين طال عهدهم باللغة العربية القديمة فما عادوا يطيقونها أو تألفها آذانهم.

كما تخلصوا ← من الأسلوب المسجوع، والمحسنات اللفظية.

- واتخذ كثير منهم التفسير **وسيلة من وسائل الإصلاح** في كل **جانب من جوانب الحياة عقيدة وشريعة، وسياسة واجتماعاً، وسلوكاً وأخلاقاً.**
  - أمثلة من التفاسير المعاصرة:

والناظر في تفسير **الشيخ محمد عبده، وتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا** بصفة عامة، وتفاسير تلاميذه – أي تلاميذ الشيخ محمد عبده – الذين تأثروا به وساروا على خطاه، والتزموا منهجه في النظر والتفكير يلاحظون:

~ هذا المنهج الإصلاحي التربوي الذي لا تخطئه عين ولقد عاب بعض النقاد مدرسة الشيخ محمد عبده لانهزامها أمام معطيات العلم الحديث، وما يعرف بروح العصر فمحاولة تفسيره للطير الأبابيل التي أهلك الله بها جيش أبرهة الحبشي بأنها ((الجراثيم تلك الأحياء الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة لم يكن تفسيراً مرضياً للكثيرين)).

– ولقد حاول تلميذه محمد رشيد رضا أن يتلافى بعض ما في تفسير شيخه من ضعف ولا سيما في جانب الأحاديث النبوية إذ كان أرسخ قدماً، وأقطع ضرساً وأطول باعاً من شيخه في ذلك المجال فأعطى التفسير مسحة سلفية مستطابة وكان له أثره البليغ في علم الحديث الذي ذاع من بعد على يد رجال من أمثال **الشيخ أحمد شاكر** رحمه الله.

– فسر الشيخ محمد عبد جزء عم وفيه بالطبع سورة (العصر) التي فسرها تفسيراً مطولاً مستقلاً عندما ذهب إلى الجزائر **ومهما قيل فيه فإنه قد استطاع أن يدفع بالتفسير أشواطاً طويلة في الاتجاه الصحيح**، وإن شابته بعض شوائب النقص والعجز والتقصير فهذا من شأن البشر فالكمال لله وحده قال تعالى:

➢ ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾

(النساء: 82)

ولعل تفسير **شيخ الإسلام المراغي** أكثر استقامة، وأصح منهجاً، وأقوم سبيلاً، وأنصح عبارة وكانت دروسه في التفسير مذاعة وقد **أثرت في طبقات مجتمعية مختلفة.**

ولئن أشرنا فيما سبق إلى أن الصفة الغالبة لدى المفسرين المعاصرين البعد عن الدرس اللغوي الجاد واعتماد أسلوب السهولة واليسر الذي لا يجد فيه الناظر عسراً ولا مشقة فإن العالم التونسي **ابن عاشور** قد حاول أن يخرج عن تلك السبيل فجاء تفسيره **(التنوير)** غاية في **الدقة والإحكام والنظر البلاغي الرشيد** ونظره إلى كشاف الزمخشري والاستفادة من درره وغرره وفرائده نظرٌ جليٌ يلمسه الدارس بكلتا يديه.

ومن المفسرين المعاصرين من اهتم بتقرير **العقيدة السلفية،** وسار على منهج السلف في آيات الصفات الشيخ عبد الرحمن السعدي الذي توفي في النصف الثاني من القرن الماضي والذي سمي تفسيره:

~ **بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.**

ومع محاولته – أي الشيخ عبد الرحمن السعدي – البعد عن الحشو والتطويل إلا إنه يذكرك في بعض الأحيان بأوائل المفسرين من أمثال **(الإمام القرطبي)،** ومن ذلك أنه استنبط من آية الوضوء من سورة المائدة:

➢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾

۞ استنبط منها خمسين حكماً •.

تدريب (16)



1. تخلص التفسير المعاصر من صوارف شتى أبعدت التفسير فيما مضى عن الهدف الحقيقي، فما هي المزايا التي تميز بها التفسير حديثاً؟
2. حاول أن تطلع على بعض التفاسير الحديثة، وتخيّر لنا تفسيراً يخدم القضايا الحياتية الملحة من اجتماعية واقتصادية وسياسية، وآخر يهتم بالناحية السلوكية والتربوية من الوجهة الإسلامية؟

هذا، ولابد من الإشارة إلى **الحركة الإسلامية الحديثة** المتمثلة في حركة الإخوان المسلمين فقد كان لها أثرها الذي لا ينكر في **مجال التفسير**. ولقد حاول مؤسسها الإمام حسن البنا أن يجعل من بعض **دروسه في القرآن وسيلة تربوية يزكى بها نفسه وأتباعه**، وقد انتشرت هذه الحركة في كثير من الأقطار الإسلامية، ولعل ابرز مفسري هذه المدرسة "**سيد قطب**" رحمه الله في تفسيره في **(ظلال القرآن)** الذي حاول فيه أن يواجه كثيراً من:

➢ القضايا الفكرية المعاصرة ←——— كقضية الحاكمية (علاقة الدين بالحكم والسياسية والعلاقة بين الحاكم والمحكوم والتشريع والعلاقات الدولية، في سبيل التخلص التام من الاتجاهات العلمانية في هذه المجالات، والإلحاح بلا هوادة على العودة إلى القرآن، والجهاد بقوة في رد الحاكمية إلى الله وحده والتزام تشريعاته في كل مجالات الحياة بدءاً بالحكم وإقامة العدل وإرساء التوحيد في كل مناشط الحياة جوهر الإسلام ومحوره الرئيس الذي تتبعه بقية المحاور وهذا ما كان ينادي به **سيد قطب)**.

وقد استفرغ فيها – أي قضية الحاكمية – وسعه وجهده ووكده، وقد كتب هذا التفسير بأسلوب أدبي شفيف بعد به صاحبه عن الإسرائيليات والأخبار الواهنات، واعتمد فيه على ما صح من حديث، وتأثر فيه **بابن كثير الدمشقي**، واستفاد فيه من العلوم العصرية التجريبية ولا سيما في **مجال علم النفس** وكان لكتاب **الإنسان ذلك المجهول**، وكتاب ماذا خسر العالم

• طبع هذا التفسير طبعة أولى سنة 2000هـ وقدم له العالم السعودي الشيخ العثيمين وآخر.

بانحطاط المسلمين **لأبى الحسن الندوي،** وكتب **أبى الأعلى المودودي** أثرها في **تفسير الظلال** الذي انتفع به خلق لا يحصى. ➢

وممن استفاد فائدة قصوي من (الظلال) العالم السوري سعيد حوى وهو أيضاً من المنتمين لحركة الإخوان المسلمين رحمه الله وقد سمى كتابه (الأساس في التفسير) وقد تأثر فيه بروح المعاني للألوسي ولا سيما في تقديم بعض السور كما تأثر بابن كثير والنسفي في مجال الفقه الحنفي ولقد حاول أن يجعل من تفسيره مدرسة تربوية بها يتحرك وإليها يدعو وفى تفسيره كثير من النصوص التي ينقلها نقلاً ولا سيما عمن ذكرناهم آنفاً.

- وفي العراق تأثر الشيخ محمود الصواف بمدرسة الإخوان المسلمين وأخرج للناس تفسير "**فاتحة الكتاب**" و "**جزء عم**" وهو تفسير يدل على ما لصاحبه من سعة إطلاع، وجودة نظر، وحسن بيان رحمه الله.
- ولا يحسن بنا ألا نشير إلى تفسير المصحف المفسر للشيخ محمد فريد وجدي فهو تفسير مختصر وجيز مفيد تأثر فيه بعلوم العصر كما تأثر سائر معاصريه. وهو أمر لا مفر منه ولا وزر وهذا من المسائل المقررة التي حاول علماء المسلمين إثباتها منذ مطلع القرن الماضي فالمشرقي في كتاب **(حديث القرآن)** الذي نشر سنة 1921م يحاول جاهداً أن يبين القيمة العالية التي يلحقها القرآن بالعلم وما له من تأثير في حياة الإنسان وتطوره.
- وهكذا أصبح (العلم) ظاهرة من الظواهر، وخاصية من الخصائص التي لا يكاد يخلو منها تفسير من التفاسير العصرية وها هنا إشارة إلى **د. مصطفى محمود** وكتابه **(القرآن – محاولة لفهم عصري)** وصاحب هذا الكتاب عانى معاناة فكرية باهظة مرهقة فيها مكابدة شديدة وتعب مر فقد وصف رحلته من الشك إلى اليقين، وبالرغم من تكلفه وتعسفه أحياناً، وإخراج للنص القرآنى عن ظاهره إلا إنه استطاع أن يأتي بحجج قوية تدل على عظمة الخالق وجلاله وما زلت أذكر – أي المعد– تفسيره:

▲ لقول تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ ﴾

وذلك إذ يقول إن الجبال بحكم ما يعتريها من عوامل التعرية كان ينبغي أن تسوى بالأرض ولكن هناك قوة (تزقها) من تحت هكذا قالها في التلفزيون بلهجة مصرية محببة تجعل من (القاف) ← (ألفاً) مهموزاً.

أسئلة تقويم ذاتي



1. عدِّد خصائص التفسير في العصر الحديث؟
2. اذكر فوائد هذه الخصائص؟
3. كيف خدمت مناهج التفسير الحديث أهداف التفسير؟
4. هات أمثلة من التفاسير الحديثة؟
5. كيف خدمت التفاسير المعاصر القضايا المعاشة المختلفة؟
6. هات أمثلة لتفاسير اهتمت بالنواحي الاجتماعية والسياسية والتشريعية، وأخرى أولت عنايتها للناحية التربوية؟
7. كيف أثرت الحركة الإسلامية المعاصرة مجال التفسير؟
8. اكتب نبذة مختصرة عن الأستاذ **(سيد قطب)** توضح فيها مزايا تفسيره، وأهم القضايا التي شغلت باله فبذل فكره وكلمته وحياته من أجلها؟
9. وضح أثر **(العلم)** الحديث في التفسير، ومثِّل للمؤلفات والتفاسير التي اهتمت به؟

ومن التفاسير المشهورة في عصرنا هذا تفسير الشيخ **محمد متولي الشعراوي** الذي يضفى عليه من قدرته على التمثيل في التلفزيون قدراً كبيراً من الحيوية الدافقة، وكل من له إلمام بالتفسير ورجاله يدرك الأثر الكبير الذي يمارسه صاحب الكشاف أبو القاسم الزمخشري على الشيخ الشعراوي الذي أجتهد أن يكون تفسيره مواكباً للعصر وهمومه وقضاياه.

- هذا، ولئن أثرت النظرة العلمية الحديثة على معظم مفسري هذا العصر فإن منهم رجالاً ساروا على الطريق القديم المعهود قراءة، ولغة، وفقهاً ومن هؤلاء الشيخ

- **محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره القيِّم:**

~ (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن)، الذي حاول فيه أن يفسر القرآن بالقرآن وسار به على منهج علمي تقليدي عجيب. ولو وقفت على حديثه عن الهمزة وكيف أنها تحذف أحياناً وتثبت أخرى، ولو نظرت في الشواهد الشعرية المتتالية التي تتواتر تواتر القطر المنسكب علمت أنك أمام عالم غرير لن تعدم منه شاهداً من الأخطل مثل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

ولا من عمر بن أبى ربيعة المخزومى:

فو الله ما أدرى وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان

نشاط



1. تناول التفسير العلمي بالشرح والنقد والتحليل.
2. كيف أثرت الحركة الإسلامية الحديثة في مجال التفسير؟

۞ ارجع إلى بعض المراجع ذات العلاقة، وتناول الموضوعات آنفة الذكر بإيجاز في أوراق بحثية مختصرة، وحاول إبراز رأيك وما أطمأنت إليه نفسك بشجاعة، ثم اعرض أعمالك على المشرف الميداني والزملاء لأجل المزيد من المناقشة وتلاقح الأفكار والفائدة.

6. 3 التفسير وأهل السودان

ورحم الله علماءنا الأبرار وأحسن إليهم كما أحسنوا إلينا ولا يحسن بنا أن نضع القلم وقد طوفنا في أقطار الأرض وآفاقها مشيرين إلى التفسير وأهله من غير ما إشارة إلى **أهل السودان بها نختم هذا التجوال.**

أهل السودان أهل قرآن من قديم. انتشرت فيها ثلاث قراءات من القراءات السبع المعروفة:

1. قراءة **أبى رويم نافع بن أبى نعيم المدني** برواية **ورش المصري**، وقد انتشرت في الشمال ولا سيما عند أهلنا الدناقلة كما انتشرت في غرب السودان.
2. ورواية **أبى عمر الدوري** عن **أبى عمرو بن العلاء البصري المازني** الصريح وقد انتشرت في خلاوي الإقليم الأوسط والشمال.
3. وقراءة **عاصم بن أبى النجود الكوفي** وقد انتشرت برواية حفص عند المتعلمين من **أهل المدارس النظامية**.

- وقد عرف رجال كثير من أهل السودان بمعرفتهم بالقرآن الكريم وتعلقهم به وبعلومه.

✓ فعلى سبيل المثال الغبش من أمثال عبد الرحمن الأغبش معرفتهم بالقرآن لا يطالها ريب، ولا يغشاها شك.

✓ ومجاذيب الدامر الذين أشار إليهم أستاذنا المرحوم عبد الله الطيب في قوله:

يتلون حرف أبى عمرو إمالتهم محض وما لرؤوس الآي تقليل

ملحوظة: الإمالة المحض إمالة كبرى يمال فيها الألف نحو الياء كقولك(أصحاب النير) و (النار الكبرى).

وإمالة التقليل إمالة بين بين كقولك (العروة الوثقى) و(قالت إحداهما).

✓ وقد نال **الشريف محمد الأمين الكبير** معرفة بالقرآن وعلومه قل أن يدانيه فيها أحد وقد ألف في القرآن وعلومه التآليف الحسان، وصنف فيها التصانيف الجياد.

✓ هذا وقد نظم السودانيون بعض المنظومات المعينة على الحفظ والمعرفة كما فعل رجال القرن السابع الذين أشرنا إليهم فيما مضى من حديث قال بعضهم :

خيراً لكم مفتوحة حرفان وجدتها فى سورة النسوان

حلفت بالمهيمن الديان لا غيرها في جملة القرآن

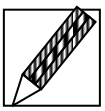
۞ ولا تحسبن أن (النسوان) التى ذكرها الناظم كلمة عامية فإنها عربية قديمة قال الشنفرى الأزدى من شعراء الجاهلية:

أميمة لا يخزى نثاها حليلها * إذا ذكر النسوان عفت وجلت

وقال أبو الطيب المتنبي: (لا في الرجال ولا النسوان معدود)

هذا، وقد أشار آخر إلى الإمالة المقللة أو إمالة التقليل التي أشار إليها أستاذنا بروفسور عبد الله فيما مضى فقال :

تدريب (17)



1. أنشأ أهل السودان المؤسسات واستخدموا كثيراً من الوسائل والأدوات – التي ما زالت موجودة ومفعمة بالحيوية – لتعليم القرآن وتحفيظه، اذكر طرفاً منها، ووضح دلالة ذلك؟
2. هناك عائلات اشتهرت بخدمة القرآن، حتى أضحت علماً في كل أنحاء السودان بل يقبل عليها الناس من خارج السودان، اذكر بعضها؟

هذا وقد أشار آخر إلى الإمالة المقللة أو إمالة التقليل التي أشار إليها أستاذنا بروفسور عبد الله الطيب في مضى فقال:

وأصبحت الإمالة المقللة خفية تحت الثرى في المنزلة

أي أنك لا تكاد تجدها إلا في بطون الكتب فقد تجاوزتها الممارسة. ومهما يكن من شيء فقد أوقدت نار القرآن في أجزاء متفرقة في البلاد ونسال الله ألا تموت للقرآن نار في بلدنا الحبيب.

قال محمد المهدي مجذوب يذكر خِلَّهُ بروفسور عبد الله الطيب بأيام الصبا:

أتذكر ناراً أوقدت حول خلوة عشاء تغنى بالكتاب المنزل

ولم يكن الأمر قاصراً على مجرد التلاوة بل كانت هناك حلقات العلم والتفسير وقد أشرنا فيما سبق إلى (تاج التفاسير) للختم الكبير.

وهكذا أصبح التفسير بضاعة رائجة نافقة في سوق ربيح من أسواق أهل السودان حتى قال قائلهم:

إذا سامر الناس الحسان سفاهة فسميرى القرآن والتفسير

ولأستاذنا بروفسور عبد الله تفسير رائج مشهور مذاع به فاخر وكاثر وحق له أن يفعل وذلك إذ يقول:

وتفسر القرآن حتى أصبحت آياته أنس التى خلف الخبا

أذيع تفسير القرآن كله للأستاذ – عبد الله الطيب – رحمه الله الرحمة الواسعة وأجزل مثوبته، وطبعت منه الأجزاء الثلاثة الأخيرة (عم وتبارك وقد سمع).

ولقد امتاز تفسيره بأنه على وجهين وجه فصيح فيه يستشهد بالشعر القديم كقول علقمة الفحل:

تشفى الصداع ولا يؤذيك صالبها ولا يخالطها في الرأس تدويم

هذا من مفضليته الميمية:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم * أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

والوجه الثاني: وجه عامي فيه من فصيح اللغة العامية ما فيه والى هذا فإن لكثير من علماء السودان المعاصرين مشاركة في التفسير ونسأله سبحان أن ينفعنا بكتابه وان يجعله نوراً لقلوبنا، وربيعاً لصدرونا، وذهاباً لهمومنا إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أسئلة تقويم ذاتي

1. قارن بين تفسيري الشيخ متولي الشعراوي والشيخ محمد الأمين الشنقيطي كما علمته من الوحدة.
2. كيف اهتم أهل السودان بالقرآن؟
3. ما أشهر القراءات التي انتشرت في أنحاء السودان؟
4. ما الدور الذي أدته الخلاوي في أنحاء السودان؟
5. من هم أبرز العلماء الذين اهتموا بتفسير القرآن في السودان؟
6. ما هو الطابع الذي تميِّز به تفسير الأستاذ العالم عبد الله الطيب رحمه الله؟

نشاط



اكتب بإيجاز عن الآتي:

1. مزايا التفسير في العصر الحديث.
2. المنهج العلمي في القرآن الكريم.
3. توج أهل السودان الجهود في حفظ ورعاية القرآن بإقامة المؤسسات الكبرى مثل (جامعة القرآن الكريم) و (مطبعة مصحف أفريقيا)، فما هي الآمال والطموحات التي نرجوها من هذه المؤسسات في نشر القرآن والارتقاء بعلومه في السودان وإفريقيا، والتصدي للخطر الداهم على الإسلام وأهله في هذه الأيام.

الخلاصة

إن التفسير قديم ضارب بجذوره في تاريخ العلوم الإسلامية، وبحسبنا أنه بدأ في عهده صلوات الله وسلامه، ولا شك أن للزمن شأناً لا ينكر، وتأثيراً لا يكفر في مجال العلوم والفنون والمعارف، فلكل عصر أثره على التفسير، فنجد أبرز هذه العصور ما يلي:

~ عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم.

~ عصر الصحابة والتابعين.

~ عصر تابع التابعين.

~ القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري.

~ من القرن السابع إلى مشارف العصر الحديث.

~ وأخيراً التفسير في هذا العصر.

في هذه الوحدة استعراض للمؤثرات المختلفة التي أثرت في التفسير، والملامح الأدبية في مناهج المفسرين، فالتفسير في عهد الصحابة والتابعين غلب عليه المأثور لقرب الناس بعهد النبوة وتحرجهم من البعد عن هذا لمنهج المأمون.

وتلا ذلك التوسع قليلاً ورويداً رويداً في الجوانب اللغوية ولذلك غلب على بعض التفاسير جانب اللغة وبعضهم مال كل الميل لهذا الجانب، فأول ما ظهر على هذا النهج كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة بن معمر المثنى، وظهرت ردة فعل قوية، لذلك عادت بالتفسير للمأثور وأبرز ما ظهر في هذا المجال (تفسير الطبري).

وظهرت في القرن السابع مدرسة السلف على يد (ابن تيمية) وتلامذته النجباء مثل ابن كثير وابن القيم واجتهدوا كثيراً في تأليف يجمع بين فني الرواية والدراية واللغة العربية في توازن مثمر غير مخل، وبرع (ابن تيمية) في نقد المذاهب التي رأى فيها اعوجاجاً وانحرافاً عن نهج السلف والالتزام بسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم.

ولم تغفل الوحدة التعرض للفرق المختلفة التي بدأت تظهر من القرن الثالث الهجري، فتعرضت للتفسير الصوفي ونبهت إلى بعضه وما فيه من رمزية موغلة قد تصرفه عن المراد، كما عرضت لتفاسير الشيعة الذين اشتطوا بعيداً، وحرفوا التفسير لتلبية أهوائهم لا تخلو من جرأة على الصحابة وأمهات المؤمنين، وفي ذلك يقول المعد: ومن المفسرين من اتخذ ما سمي بعلم

الباطن باباً يلج منه فملأ تفسيره بكثير من الخزبعلات والترهات والأباطيل التي تخرج من دائرة الجد إلى دائرة الهزل، ومن مقام الحق إلى مقام العبث، وإن سمي ذلك الإشاري الرمزي المجازي الذي لا يقف عليه إلا أصحاب الذوق والود والعشق والكشف والإلهام وما شئت من ألفاظ لا طائل تحتها ولا مضمون.

" مصطلح "الباطنية" يُطلق من قبل الكثيرين على "غلاة الشيعة والصوفية".

وأيضاً تعرضت الوحدة لأصحاب الجدل الكلامي، والنظر الفلسفي، والتمذهب الفقهي وكلهم اتخذ من التفسير مطية ذلولاً لم تبلغه ما رسم لنفسه من غايات وأهداف. ورفدت الوحدة الدارس بأمثلة حية من كتب في التفسير ذات مكانه علمية سنية وإن غلب عليها أو طابع أو مذهب معين: فمنها (الكشاف) للزمخشري، "الجامع في أحكام القرآن" للقرطبي الذي جمع بين دفتيه علوم شتى في مقدمتها الفقه، وفتح القدير **الشوكاني**.

واستعرضت الوحدة تفاسير من أقطار عربية شتى، واتخذت من تفسير ابن عطية "الوجيز في التفسير" أنموذجاً" في التفسير المملوء علماً وفضلاً.

أما اليمن فقد أبدع الشوكاني في تفسير فتح القدير الجامع بحق بين فني الرواية والدراية على الرغم من أن صاحبه شيعي زيدي، إلا أن مذهبه لم ينحرف به عن جادة العلم والحق، ولم تلعب به الأهواء فكان تفسيره من أجل التفاسير وأكثرها نفعاً وفائدة".

وفي العصر الحديث أيضاً نجد تفاسير محدودة للشيخ محمد عبده الذي حاول أن يعود بالتفسير إلى منهج السلف، ويدعمه بالرواية وإن كان قد جانبه الصواب عندما انبهر بالعلم الحديث وحاول أن يزج بالنظريات العلمية بطريقة خرقاء في تفسير بعض الآيات، وقد جاء تفسير تلميذه محمد رشيد رضا (المنار) رصيناً وأقرب إلى روح السلف والاستدلال بالحديث حيث تفادى التلميذ كثيراً من ثغرات شيخه.

أما في عصرنا هذا فقد جدت قضايا، ونشأت مشكلات، منها قضايا التحرر من ربقة الاستعمار، ومنها الاستلاب الفكري والثقافي والأخلاقي شرقاً وغرباً من شيوعية واشتراكية، وعلمانية وإباحية... الخ، ومنها الكشوفات العلمية المعاصرة، وما أحدثته التكنولوجيا والعلوم التقنية من ثورة في مجالات البث الفضائي والاتصال وانتقال المعلومات وكان لهذا كله أثره المباشر الذي لا تخطئه العين في مجال التفسير فمن المفسرين من سد أذنيه وأبى أن يستجيب

لما يسمى بروح العصر فسار على ذات المنهج السلفي القديم المألوف، ومنهم من استجاب فسار في الركب مبهوراً مسحوراً معصوب العينين.

أما الفريق المتوازن فقد نظر نظراً متوازناً لا يرى تعارضاً في ما صح من حقائق العلم ومستحدثات العصر مع كتاب الله.

ومن أهم مزايا التفسير في العصر الحديث أنه جعل من التفسير مدرسة للحياة عالج فيها قضايا العصر وما يهم الناس وما يشغل بالهم، ووسيلة لإنقاذ الشعوب من التبعية للمستعمر خاصة في المجالات التشريعية والاجتماعية والتربوية والسياسية... الخ، لأن التبعية الفكرية تعني مباشرة العبودية المطبقة، ومن أبرز ما اضطلع ونهض بهذا الدور أصحاب الحركة الإسلامية الحديثة ومن أبرز التفاسير الحديثة في هذه المحاور (في ظلال القرآن) لسيد قطب – و (الأساس في التفسير) لسيد حوى.

وكانت خاتمة المطاف في الوحدة الإشارة إلى الرعاية التي أولاها أهل السودان للقرآن وعلومه وفي مقدمتها، تعليم القرآن وتفسيره فقد كان لهم به اشتغال وأي اشتغال وتوج هذا الإتجاه بإنشاء جامعة القرآن الكريم ومؤسسة مصحف أفريقيا وانتشار دور الحفظ ورعايتها مادياً ومعنوياً.

لمحة مسبقة عن الوحدة التالية

في الوحدة القادمة نقدم لك – عزيزي الدارس – نماذج ثلاثة من رجالات التفسير البارزين الذين يمثل كلاً منهم منهجاً ومدرسةً قائمة بذاتها في التفسير، بدأ المعد بأقدمهم أبي عبيدة معمر بن المثنى الذي عاش في العقد الأول من القرن الأول وكان يمثل المنهج اللغوي المغرق في اللغوية في التفسير، ثم تناولت الوحدة أبا جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير بالمأثور والذي بلغت شهرة تفسيره الآفاق، أما الثالث فأبو القاسم عمر بن محمّد الزمخشري الذي أجاد وأفاد وأضاف إلى التفسير إضافة جديدة طوع فيها علوم اللغة والبلاغة في تفسيره واستعان بالرواية وأثبت تفوقاً ونضجاً علمياً أشاد به فطاحل العلماء وفي مقدمتهم **السيوطي** وإن كان قد خدم مذهبه العقدي (الاعتزال) من خلال تفسيره فجّل من له الكمال والجلال الكبير المتعالي.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب والصحابة من العرب الأقحاح الذين فطروا على البلاغة والفصاحة فلا يتصور أن يصعب عليهم فهم القرآن.
2. • القرآن نزل بكل لغات العرب وإن غُلب عليه لسان قريش فتجد من العرب من تفوته بعض الألفاظ أو التعابير الشائعة في لغة تميم أو هذيل أو اليمن... إلخ.

• طبيعة القرآن الذي حوى علوماً تاريخية منذ بدء الخليقة وأنباء الغيب والأحكام الفقهية ونتائج العلوم البحتة التي لم يُكتشف بعضها إلا بعد تقدم الإنسانية والكثير منها وكذلك أبناء المستقبل، والمحكم والمتشابه... إلخ.

لكل ذلك وغيره جعل – من رأي ابن خلدون – غير مقبول على إطلاقه ومن الثابت أيضاً أن بعضاً من كبار الصحابة قد توقف عند بعض الكلمات واستعصى عليه فهم الآيات.

تدريب (2)

من خلال الإجابة على تدريب (1) يمكنك – عزيزي الدارس – أن تجيب على هذا التدريب بتفصيل أكثر.

تدريب (3)

1. حرص الصحابة الذي يجلُّ عن كل وصف على حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لا تغيب عنهم شاردة ولا واردة مما فيه من العلم والفائدة.
2. بما أن الصحابي رافق الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحضر مجالسه فإن تفسيره في الغالب الأعم إما رواية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو فهم وترجمة لتفسيره صلى الله عليه وسلم – هو في حكم الحديث المرفوع، وقول الحاكم فيه حثٌّ وحرصٌ ودفعٌ على الأخذ بالمأثور في التفسير سيما في مجال أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وكل ما لا دخل للرأي والاستنباط فيه، فكل ذلك مما عايشه الصحابة وشاهدوه وحرصوا على حفظه ونقله ولقد علمت حرص الصحابة وتقديسهم لمجالس الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث عمر رضي الله عنه المذكور آنفاً.

تدريب (4)

1. **غسلين:** صديد أهل النار.

حناناً: رحمةً.

وأواه: كثير التأوه أي الحزن والخشية من الله.

الرقيم: اللوح المكتوب فيه أسماء أهل الكهف.

2. هذا دليل واضح أن الصحابة كانوا في حاجة للتفسير، فإذا كان ابن عباس ترجمان القرآن وهو من هو الذي دعا له الرسول – صلى الله عليه وسلم – الله أن يفقهه في الدين ويُعلّمه التأويل يتوقف عن إجابة ذلك فما بالك ببقية الصحابة.

وفيه مغزى آخر أن الصاحبة يتورعون عن تفسير القرآن إلا عن يقين قاطع وهو الرجوع إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – والأخذ عنه، وفي ذلك أيضاً دليل على حاجة الصحابة للتفسير.

تدريب (5)

- تفسير الصحابة في حكم الحديث المرفوع – أي من السنة.
- مرتبة الحديث المرفوع: وهو ما أضيف إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –

من قول أو فعل أو تقرير أو صفه سواء كان الناسب صحابياً أم تابعياً أم غيرهما، فيُنظر في رفعه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا ينظر إلى إسناده.

والرفع قد يكون صريحاً، أو حكماً.

حكم الحديث المرفوع: قد يكون صحيحاً أو حسناً، بل قد يكون ضعيفاً إذا كان مرسلاً أو منفصلاً أو فيه راوياً مبهم.

- تفسير الصحابة يتقديم التفاسير الأخرى ويجب الأخذ به لأنه من المأثور.

تدريب (6):

ابن عباس رضي الله عنه يلقب "بترجمان القرآن" ولقد دعا له الرسول – صلى الله عليه وسلم – قائلاً " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " ولديه تفسير باسمه "تفسير ابن عباس"، في

ضوء ذلك فإن علماء التفسير يهتمون كثيراً بتفسير ابن عباس ورواياته ويستعينون به فقد كان قريباً من رسول الله – صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه الكثير.

تدريب (7)

1. أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي، لأنه أخذ عن كبار الصحابة وفي مقدمتهم (ابن عباس) رضي الله عنه.
   - يكفي أنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة.
   - لا تجد كتب من كتب التفاسير إلا واكتظت بأقوال مجاهد والاستشهاد بتفاسيره.
   - كان أيضاً يجيد التأويل ويستخلص المعاني البعيدة وقد استعمل عقله في كثير من الآيات.
2. نعم، اعتمد العتزلة التفسير العقلي منهجاً وديدناً لا حياد عنه، وقد كان من السلف من سبقهم إلى هذا ومنهم التابعي (مجاهد) المشهور ببراعته في تأويل بعض الآيات (معتمداً على العقل) ولم يكن ذلك مبدأً ثابتاً وديدناً له، ولم يتجرأ على إخضاع النص كيف كان لمبادئ العقل أو لمبادئ بعينها قد تستبعد المأثور كما كان يفعل المعتزلة حيث كان تأويلهم تأويلاً بعيداً لكي لا يتعارض مع المبادئ العقلية التي وضعوها مسبقاً؟!
3. • التأويل مهم للغاية لأنه إعمال للعقل، يعين أهل الاجتهاد على استنباط أحكام استجد من المشاكل والحوادث والتي قد لا نجد لها حكماً مما يستدعي القياس والاجتهاد فيه، وقد حث الإسلام على إعمال العقل بل جعل حتى للمخطئ في اجتهاده أجراً، وهذا سر خلود التشريع الإسلامي وعدم تقاعسه عن تلبية مطالب كل عصر.

إلا أنه اجتهاد يجب أن يراعي مقاصد وروح الشريعة فالمجتهد الورع لا بد أن يحس بها ويعيها جيداً إبان اجتهاده، فلا يركن للعقل فتأتي النتائج كأنها صادرة عن علماني لا خلاق له، فعقل المسلم إنما يدور في أبعاد إسلامية ويستعين في كل خطواته بالله لأنه يعلم جيداً أن التوفيق والسداد بيد الله (وما توفيقي إلا بالله) وأن العلم نور يفتح به الله على أهل التقوى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾، وفي المقابل يصدر الآخر عن عقل بلا روح وقد يغريه الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء.

- الشطط في التأويل قد يُبعد المرء كل البعد من حيث يدري عن الحق ومراد الله ويَضحى التفسير تكلفاً لا خير فيه ولا بركة.

تدريب (8)

1. صرف بعض الآيات عن ظاهرها وأولها بما يتفق مع العقل وتفادي التشبيه، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ فصرفها إلى رحمة الله وثوابه، لأن التصور العقلي لديه أن النظر إليه جل وعلا يؤدي إلى التشبيه، وهذا من المستحيل على الله تبارك وتعالى.
2. التفسير بالمأثور يعتمد على الرواية فكل ما أُثر عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين، ومثاله تفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبري – حيث اجتهد كل الاجتهاد في تدعيم تفسير الآيات بالأحاديث والآثار ما وجد إلى ذلك سبيلاً.
3. التفسير وفق المنهج العقلي (ويمكن أن نطلق عليه التأويل أو الدراية) اعتمد به العقل بالدرجة الأولى سيما في الآيات المتشابهة. ومعظمها يتمثل في آيات الصفات، وذلك لكي يمنعوا الخلط والوقوع في التجسيم والتشبيه والتمثيل الذي ينافي قدسية الله وتفرده ووحدانيته.

- نحتاج كثيراً للتأويل وإعمال العقل والنظر في المعاني البعيدة للآيه واستنباط الحلول المناسبة لمعالجة القضايا المتولدة والمستحدثة في الاقتصاد والاجتماع والسياسية والتشريع... إلخ، والتفسير القائم على المنهج العقلي. والتأويل لابد له من الاستعانة والالتزام بروح الشرع ومقاصد الشريعة فالمنهج العقلي المحض قد يرمي الإنسان بعيداً في مهاوي الضلال والزيع، وقد يتوهم المرء بأن العقل كفيل بخلاص الإنسانية من الشرور والمفاسد كما يرى علماء الغرب ومن لف لفهم من المسلمين.

تدريب (9)

- التفسير الرمزي والاشاري والصوفي كلها مصطلحات لمنهج واحد هو منهج الصوفية في النظر للآيات القرآنية فالمصطلح (الرمزي) يعني أن ظاهر الآيات يرمز إلى معنى بعيد، (والإشاري) يعني أن في القرآن إشارات إلى معانٍ أخرى هي الأهم، فالقرآن عندهم له (ظاهر وباطن) والدين كله إنما هو (شريعة وحقيقة)، فالشريعة كل ما تعلق

بالظاهر والحقيقة هي الباطن، والأهم هو الباطن فهو مقدم على الظاهر، ولذا يبذلون كل ما في وسعهم لمعرفة ما وراء الآيات القرآنية من المعاني البعيدة واستغرقوا في ذلك الأمر استغراقاً، وقد اتخذوا من سورة الكهف دليلاً واضحاً لهم، وقصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام حجةً ظاهرة على طريقتهم، ويعتبرون موسى عليه السلام (صاحب الشريعة)، والخضر عليه السلام (صاحب الحقيقة) الذي أوتي (العلم اللدني).

- **الصوفية:** يعتمدون على الإلهام والكشف في معرفة حقيقة الآيات، ويسمونه العلم اللدني أو علم الحقيقة ويتأتى بالرياضة الروحية والمراقبة الدقيقة لله – عز وجل – لبلوغ المراتب العليا التي ينكشف فيها الحجاب عنهم يرون كل شيء على حقيقته.
- **المعتزلة:** يعتمدون على العقل ويمجدونه أيما تمجيد وعلى علوم اللغة خاصة البلاغية منها لبلوغ أهدافهم وتطبيق مبادئهم في التأويل، والانصراف على كل ما يعارض العقل لديهم سيما في الآيات المتشابهة (آيات الصفات).
- تفسير **الزمخشري** يمثل مذهب المعتزلة الذي أسهبنا في الحديث عنه، وأسس أيضاً تفسيره (الكشاف) من ناحيةٍ أخرى على علمي البيان والمعاني.
- أما (**روح المعاني**) للألوسي فهو قريب من روح ومنهج التصوف وإن كان صاحبه عالماً بعلوم الشريعة واللغة فهو كتاب جامع ومفيد للغاية، وليس فيه إشارات بعيدة مخلة أو غلو منفّر.
- **تاج التفاسير**: مختصر وفيه إشارات صوفيه واضحة ومن ناحية أخرى فهو خالٍ من الشطحات التي تؤخذ على المتصوفة.

تدريب (10)

1. الأمام الغزالي: درس كل العلوم الإسلامية دراسة وافية، وتبحر وبحث وطبق وجرب كثيراً من الأمور، وألف في علوم المنطق وأصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة والأخلاق والتصوف، وأنجز المؤلفات الكثيرة ورد على الفلاسفة والزنادقة (الذين أسقط بعضهم التكاليف الشرعية) وقدم أهم الكتب للأمة وهو كتاب (إحياء علوم الدين) وهو سفر عظيم في السلوك والآداب والأخلاق، وتناول فيه الأخلاق القرآنية والفقه بعمق كبير مما جعل الكتاب مميزاً وفيه متعة عظيمة لكل من

يطلع عليه، ولِما قام به الغزالي من أعمال عظيمة ومنافحته للأفكار والفلسفات الهدامة آنذاك أُطلق عليه لقب (حجة الإسلام).

2. ابن تيمية يقلل كثيراً من الكشاف للزمخشري، ولعل ذلك سبب الاختلاف العظيم بينهما في العقيدة خاصةً.

أما المعد – وهذا رأي الكثير من العلماء – فيرى في الكشاف إنجازاً علمياً راقياً على ما فيه من هنات وزلات، وأن الزمخشري عالم ضليع لا يشق له غبار وتفسيره ثروةٌ استفاد منها العلماء كثيراً ولا يزالون.

تدريب (11)

1. يعني الشاعر بذلك أن الزمخشري يحاول أن يثبت صحة الأحاديث الموضوعة، كل ذلك لكي يدلل ويبرهن على أن مذهب الاعتزال هو الحق والصواب بينما يراه الشاعر مروقاً عن الدين، كما أن وضع الأحاديث عمداً من الكبائر التي تؤدي بصاحبها إلى النار إذا لم يتب قبل الموت، قال – صلى الله عليه وسلم: "من كذَّب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".

2. يدل ذلك على أنه تفسير عظيم يفيض بالمادة العلمية الغزيرة، لم تكن مادته دسمة لما وجد فيه العلماء مواطن للاختلاف، فالاختلاف وكثرة الآراء دليل على قيمة الكتاب.

3. وحدة الوجود يراد بها إن الموجود حقاً ويقيناً واحد وإن تعددت مظاهر وجوده، فكل هذا الخلق والكائنات الحية والجامدة وما نرى وما لا نرى هي تجليات لله المصدر الواحد الحق للوجود، فهو تبارك موجود في كل شيء بل هو عين كل شيء ولكن الناس غافلون كل الغفلة عن ذلك إلا من انكشف له الحجاب وانغمس في بحر الوحدة.

4. عزيزي الدارس، **ارجع إلى الوحدة ورتب المقارنة المطلوبة.**

تدريب (12)

المنهج الأسلم – في تقديري– هو الجامع بين فني الرواية والدراية، الجامع بين مصادر التفسير الرئيسة المتمثلة في القرآن أولاً ثم السنة واللغة العربية والمُوظِّف لكل تلك المصادر توظيفاً محكماً في بيان مراد الله.

تدريب (13)

إذا تتبع الدارس التفسير في مختلف عصوره يجد اهتمامه بالآتي في كل عصر:

~ ثم جاء العصر الذي اهتم فيه التفسير بعلوم اللغة والبلاغة والنحو بسبب ازدهار هذه العلوم ومدارسها في الكوفة والبصرة ومصر والشام.

~ كما اهتم التفسير في عهد الخلافة العباسية بعلوم الكلام والمنطق والجدل وخلق القرآن والقدر خيره وشره لدخول أمم وشعوب أثارت هذه القضايا وحاولت استغلال فلسفتها للكيد للإسلام.

~ وفي العصر الحديث اهتم بمنافحة الاستعمار الغربي ورد الهجمة عن العالم الإسلامي.

وتصدى أيضاً لقضايا العلم الحديث وما أثاره من ردود فعل إيجابية وسلبية انعكست على الإسلام وأهله.

تدريب (14)

1. المعد يريد بقوله ذلك أن الناس تفرقوا على ثلاث فرق:

أ- الفرقة الأولى من المغالاة بمكان في رفض أي اتجاه علمي أو علاقة بالعلوم والمكتشفات العصرية بالقرآن، والاستغراق في الاتجاه السلفي في تفسير القرآن.

ب-الفرقة الثانية هي النقيض المقابل والتي تريد أن تجعل من القرآن كتاباً علمياً خالصاً تجارى به كل ما جاء من نظريات علمية.

ج- الفرقة الثالثة هي فرقة متوازنة معتدلة وسيطة ترى أن ما ثبت من حقائق علمية لا يتنافى مع القرآن، ومع الثقة الكاملة في منهج القرآن العلمي المتفرد والسابق، والإيمان بأن القرآن ليس كتاب علوم بحتة وأنه ليس له حدود، ويتضمن ألواناً من الإعجاز العلمي والتشريعي والأخلاقي والاجتماعي، فإذا أدركنا بعضه مع التقدم الإنساني فلنعلم أنه التنزيل الحق من الله المحيط بكل شيء، وأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً.

تدريب (15)

إن الحقائق العلمية الثابتة لن تتناقض البتة مع القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكتاب المعجز الذي فاق إعجاز كل إعجاز، والأخطار والثغرات إنما تتأتى من قبل العجز البشري والعلم الناقص الضئيل المحاط بالخطأ والخطل من جميع ألوانه وفي كل خطواته.

تدريب (16)

1. أتى التفسير الحديث متعافياً من الشتات والانصراف إلى النواحي اللغوية من نحو وبلاغة واستطراد في المعاني، والانشغال بعلوم جانبية عن الهدف المطلوب والمرمى المقصود ألا وهو التفسير في ذاته ومدى معالجة الآيات القرآنية واستخلاص الدروس منها لمقابلة مشاكل الحياة والقضايا المعاشة، وتنزيل ذلك على واقع الناس، فأتى التفسير في عصرنا الحاضر:

- منافحاً ومقاوماً للاستعمار يربي الأجيال ويعبئ الرجال يمدهم بالقوة المعنوية والمبادئ الفكرية لمجاهدة أعداء الأمة والاستعمار، وطرده واجتثاث جذوره من البلاد الإسلامية وقد نجحت في ذلك أيما نجاح الحركات القائمة الدين وأهل التفسير في الجزائر وأفغانستان... إلخ.
- تصدى لقضايا مهمة منها قضية التربية والمبادئ الاجتماعية الغربية التي بثها الاستعمار الغربي في العالم الإسلامي وبصفة خاصة قضية المرأة، ولقد تصدى لها العلماء الأجلاء وكانت مجالس تفسير القرآن تقارع الأفكار الجديدة الحجة بالحجة وتثبت المسلمين على دينهم، وتكتشف لهم حكمة الإسلام ومقدمته على معالجة كل ما يتعلق بحياة المرء.
- تصدى أهل التفسير وعلماء الدين أيضاً للتقدم العلمي التجريبي الذي بهرت به الحضارة الغربية المادية الناس في أركان الدنيا، وكشف هؤلاء العلماء للناس المنهج العلمي الفذ والرصين الذي جاء به القرآن يوم أن كانت الإنسانية تعيش في ظلمات الجهل، وتجد ذلك – عزيزي الدارس – مفصلاً في هذه الوحدة.
- توافرت الدراسات والمدارس الإسلامية على دراسة التشريعات الدستورية والقانونية والنظريات السياسية التي يتباهى بها الغرب، وقارنتها مقارنة علمية بما لدينا من تشريعات مختلفة، وكشفت هذه المدارس للمسلمين عظمة وتفوق التشريع في دينهم، وكان ذلك سبباً رئيساً في صحوة إسلامية شاملة انتظمت العالم الإسلامي كله تطالب برفض (العلمانية) والعودة إلى (الإسلام العظيم).

.2

أ: في ظلال القرآن **سيد قطب.**

ب: الأساس في التفسير **سعيد حوى.**

تدريب (17)

1) المؤسسات مثل الخلوة.

الوسائل مثل اللوح.

الدواة.

قلم البوص.

يدل ذلك على العناية والرعاية الفائقة للقرآن والحرص على تيسيير حفظه ونشره في الأجيال المتتالية.

2) الغبش بربر

الكواوير

مناطق الشايقية

الحواجنير

المجاذيب

مناطق الشمال – الجعليين

الكتياب

أم ضبان (البادراب) ضواحي الخرطوم

خلاوي الشيخ بيتاي (همشكوريب) شرق السودان.

مسرد المصطلحات

❁ **الروافض:** اسم يطلق على الشيعة وهم من شايعوا سيدنا علي – كرم الله وجهه – وتطرفوا وغالوا غلواً شديداً مع الزمن واتهموا الكثير من الصحابة، وفسروا القرآن تفسيراً باطنياً يوافق أهواءهم وأهدافهم ونزعاتهم العدائية.

❁ **الشراة:** اسم يطلق على الخوارج وهم من خرجوا على سيدنا علي – كرم الله وجهه – وكفروا الفرق كلها آنذاك وحاربوا الدولة الأموية والعباسية، ويطلق عليهم أيضاً الحروريون نسبة إلى موقعة حارواراء.

❁ **الصوفية:** أُختلف في نسبة هذا الاسم فمنهم من نسبة إلى الصفاء، والبعض إلى أهل الصفة أو ليس الصوف، هم رجال دعوا إلى لفظ الدنيا والزهد فيها، والاتجاه إلى الله بالكلية والانقطاع إليه راجين الكشف الرباني ، ودعوا إلى تربية النفوس على الأخلاق القرآنية، ومن أشهر المبادئ التي يتمسكون بها أن الدين (شريعة وحقيقة)، وأن كل شيء له (ظاهر وباطن)، لذا بحثوا في باطن القرآن وفسروه تأسيساً على هذا المبدأ، ولقد غالى بعضهم غلواً عظيماً وابتعدوا عن ظاهر القرآن كل البعد، والكثير منهم معتدلٌ يتمسك بظاهر الشرع بل إن شيخ الطائفة الإمام الجنيد يقول فيما روى عنه: (أن أمرنا هذا مسيجٌ بالشرع فمن ترك الشرع فليس منا) أو كما قال.

❁ **الباطنية:** مصطلح يطلق على غلاة الشيعة والصوفية، الذين جعلوا من الأوهام والأباطيل والترهات باطناً للقرآن والشريعة أو مزجوا الدين بفلسفات وعقائد أخرى، فأضحى دينهم مسخاً مشوهاً، والله أعلم.

❁ **الحديث الموضوع:** هو الحديث المختلق المصنوع، الذي رواه كذاب من كلامه أو من كلام غيره، ونسبه عمداً أو افتراءً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمي حديثاً من باب التجاوز، حسب دعوى من اختلقه، بل هو في الأصل ليس من الحديث البتة.

المراجع

1. ابن خلدون، **عبد الرحمن بن خلدون المغربي، المقدمة**، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
2. السيوطي، **جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر** ت (911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، الطبعة الثالثة (1951م) – مصر.
3. الطبري، **أبو جعفر محمّد بن جرير** ت (310هـ)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، المطبعة اليمنية.
4. زاده، **طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم**، الطبعة الأولى حيدر أباد.
5. النووي، **محي الدين بن شرف** ت (676 هـ)، **تهذيب الأسماء واللغات**، مصر.
6. البغدادي، **أبو منصور عبد القاهرة** ت (429هـ)، **الفرق بين الفرق**، القاهرة.
7. ابن الجزري، **محمّد بن محمّد، غاية النهاية في طبقات القراء**، (1953م) – مصر.
8. الغزالي، **أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد**، ت (505هـ) **الفرق بين الفرق**، القاهرة.
9. السيوطي، **جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر**، ت (911هـ)، **طبقات المفسرين**، (1960م) طهران.
10. الغزالي، **أبو محمّد بن محمّد بن محمّد** ت (505هـ) **إحياء علوم الدين**، الطبعة الأولى (1975هـ) بيروت.
11. نعمة الله، **نعمة الله بن محمود النخجواني** ت (920هـ)، **تفسير جزء عم**، دار الفكر العربي (1969م) مصر.
12. الطير، **مصطفى محمّد الحديدي، اتجاه التفسير في العصر الحديث**، المطابع الأميرية (1974م) القاهرة.
13. السعدي، **عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الطبعة الثالثة (1999م) الكويت.

14. الشوكاني، **محمّد بن علي بن محمّد** ت (1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار المعرفة – بيروت.
15. ابن القيم، **شمس الدين محمّد بن أبى أبكر بن قيم الجوزية** ت (751هـ)، **التفسير القيِّم**، دار الكتب العلمية (1978م) بيروت.
16. ابن كثير، **أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر** ت (774هـ)، **تفسير القرءان العظيم**، الطبعة الأولى (1998م) دار الكلمة مصر.
17. قطب، **سيد قطب، في ظلال القرآن**، الطبعة السابعة (1971م) – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
18. حوَّى، **سعيد حوَّى، الأساس في التفسير**، الطبعة الأولى (1985م) دار السلام – القاهرة.


الوحدة الرابعة
من رجال التفسير

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**183**
تمهيد	183
أهداف الوحدة	184
1. نبذة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى (110 – 210 هـ)	**185**
1.1 الاختلاف حول مكانته الدينية	185
2.1 الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن	189
3.1 كتابه (مجاز القرآن) والرواية	192
2. أبو جعفر الطبري	**197**
1.2 نشأة الطبري (224 – 310 هـ)	197
2.2 الطبريّ والعلم والعلماء	198
3.2 تفسير الطبري	201
3. أبو القاسم الزمخشري (467 – 538هـ)	**206**
1.3 نشأة الزمخشري	207
2.3 تفسير الكشاف والاعتزال	212
3.3 الكشاف والتفوق العلمي	213
الخلاصة	**221**
لمحة مسبقة عن الوحدة الثانية	**223**
إجابات التدريبات	**223**
مسرد المصطلحات	**229**
المصادر والمراجع	**230**

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس،

مرحباً بك إلى الوحدة الرابعة التفسير

إن هذا الدين حمله رجالٌ صدقوا الله فصدقهم، وأخلصوا لله في ميادين شتى، ففتح الله عليهم الفتح المبين إذ نشروا الإسلام في أركان العالم وبلغت الدولة الإسلامية شأواً عظيماً، وكانت في يوم من الأيام سيدة العَالم بلا نزاع مما جعل أحد الخلفاء يخاطب السحاب من فوقه قائلاً: ((فلتمطرِ أنىً شئت فإن خراجك آتيني)).

ومن أعظم ميادين الجهاد "**ميدان العلم والفقه في الدين**" ولقد عده الله كذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (التوبة: ١٢٢) فالنفرة والنفير من مصطلحات الجهاد وألفاظه اللصيقة، ولقد استجاب لذلك علماؤنا الأجلاء فكرسوا حياتهم للقرآن والتفسير وأجادوا أيما إجادة بتوفيق من الله، ومدده المديد، والقريب من المتقين "اتقوا الله ويعلمكم الله".

في هذه الوحدة تخيّر لك المعد نماذج ثلاثة من رجال التفسير الذين يمثلون مناهج ومدارس هذا العلم الواسع الرحب، فمن خلالهم تكتسب المعرفة، وتتشوق إلى المزيد، وتدرك طرفاً من عظمة هذا الدين ورجاله الأفذاذ.

تتخلل الوحدة تدريبات وأسئلة تقويم ومناشط شتى، بالإضافة إلى التنبيهات التي تعينك على التعلُّم الذاتي. وإتقان مهاراته.

نحن في انتظار كل ما تجود به تجربتكم مع هذا الكتاب، والنقد الهادف من أنجع سبل البناء السليم، والسير على النهج القويم.

مرحباً بك مرة ثانية وتقدم نحو الوحدة باسم الله.

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس،

بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1. **تُعطي** نبذة مفصلة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى.
2. **تستعرض** موقف العلماء ومعاصريه من مكانته العلمية.
3. **تُشرح** أهم منجزاته العلمية وآثاره في مدارس التفسير اللاحقة.
4. **تُعَّرف** محمد بن جرير الطبري.
5. **تُعبر** عن الدور العظيم الذي لعبه نهج الطبري في التفسير.
6. **تميز** بين أسلوبه والأساليب الأخرى في التفسير.
7. **تُعَّرف** الزمخشري وتفوقه العلمي.
8. **تُبرز** مزايا تفسيره الكشاف المتفردة.
9. **توضح** آثاره العميقة بالأمس اليوم في التفسير.
10. **تُقارن** بين مناهج المفسرين الثلاثة **(المثنى)** و **(الطبري)** و **(الزمخشري)**.

1. نبذة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى (110 – 210 هـ)

ولد **أبو عبيدة في السنة العاشرة بعد المائة الأولى من الهجرة**، وتُوفِّي في **السنة العاشرة** بعد **المائة الثانية**، فهو إذن من المعّمرين، يدلك على ذلك قوله:

حنتني حانيات الدهر حتّى كأنيّ خاتل أدنو لصيد

ريب الخطو يحسب من رآني ولست مقيداً أنّى بقيد

حنتني حانيات الدهر: طول العمر أدى إلى حني ظهره.

خاتل أدنو لصيد: يعني أنه يتصنع الإنحناء خداعاً للصيد.

وفي هذا المعنى أيضاً يقول شاعرنا الفحل محمد سعيد العباسي:

سبعون عاماً قصرِت الخطى وتركنني أمشي الهوينا ظالعاً متعثراً

من بعد ما كنت الذي يطأ الثرى تيهاً ويستهوى الحسان تبختراً

ولم تمضْ تلك الأيام الطوال من حياة **أبى عبيدة** سدى إذ شغل نفسه بالعلم الذي شغفه حباً فعكف عليه عكوف المحبين، وصبر عليه صبر أولي العزم من الرجال.

نشأ **أبو عبيدة** – وكان مولىً من الموالى ذوى القدر والشأن والنباهة – بالبصرة وكانت **(البصْرة)** عهدئذٍ مباءة العلم، وكعبة المعرفة وبيت المكارم، فروى عن شيوخها الأعلام، وأساتذتها الأثبات:

~ كأبى عمرو بن العلاء.

~ ويونس بن حبيب، وأضرابهما واستطاع بما وهبه الله من حدّة في الذكاء، وشدة في النظر أن يتبوأ **مكاناً عالياً في العلوم والفنون والآداب** وأن يُصْبح قمة يشار إليها بالبنان ممّا أثار حفيظة معاصريه وحسدهم فحاولوا أن ينالوا من مكانته بالطعن واللمز والنميمة فهو عندهم لا يحسن أن يقيم بيتاً من الشعر واحدا.

1.1 الاختلاف حول مكانته الدينية

وكان بينه وبين قادة الفكر ورؤوس العلم من معاصريه منافسَةٌ ومنازعة وخصام، وأشهر منافسة ومنازعة وخصومة تلك التي كانت بينه وبين **عبد الملك بن قريب الأصمعي** التي تصدّع الناس فيها إلى فريقين:

الفريق الأول: يصفّق **لأبى عبيدة.**

والفريق الثاني: يهتف **للأصمعي.**

وكان **رجل الموسيقى الأول** في العصر العباسي إبراهيم الموصلي في صفّ أبى عبيدة وذلك لمّا طاله الأصمعيّ بلسانه وأزرى بشعره فقال مفضّلاً أبا عبيدة على صاحبه مخاطباً أميراً من الأمراء:

عليك أبا عبيدة فاصطنعه فإن العلم عند أبى عبيدة

ثم يندد بالأصمعيّ قائلاً:

ودع عنك القريد بن القُريدة (القريد: تصغير القرد)

كان أبو عبيدة من العلم **باللسان العربيّ، وأيام العرب،** و**عادات النّاس في الجاهلية والإسلام، ومناقب القبائل ومثالبها، وتاريخ الملوك** و**أنسابهم بموضع لا يُنكر**. وكثيراً ما أثنى عليه تلاميذه والمقرّبون إليه ثناءً عظيماً، ولا غرو فهم أعرف النّاس بفضله، وهم أجدر النّاس بالتنويه به، وأقدرهم على التذكير بعلمه ومكانه فأبو نواس يقول عنه:

(أبو عبيدة مَسْك حُشِيَ علماً)

والمسك: هو الجلد ومنه قوله ضمرة التميمي:

(ليست الرَجال بمُسوك يُستقي بها)

وهو ما نُطلق عليه نحن في السودان لفظ **القربة أو السِعن.**

- والجاحظ يذكر إن ليس في الأرض خارجيٌّ ولا جَمِاعِيٌ أعلمُ بجميع العلوم من أبى عبيدة.

خارجيٌّ: أي من الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي أبي طالب كرم الله وجهه.

جماعيٌ: أي من أهل السنة والجماعة.

➢ وقالوا: (إنّه ما كان يُفَتش عن علم من العلوم إلاّ كان من يفتشه عنه يظنُّ أنه لا يحسن غيره. ونحن نعلم أن **أبا عبيدة** قد أتى العلم من أبوابه فكان يسأل عن كل فنّ رجاله؟

وهكذا أخذ النحو عن ⟵ **الأخفش الكبير.**

والقراءة عن ⟵ **أبى عمرو بن العلاء.**

وغريب اللغة عن ⟵ **رؤبة بن العجّاج.**

والحديث عن ⟵ **هشام بن عروة بن الزبير.**

جالس أبو عبيدة هؤلاء الفحول، وجالس غير هؤلاء الفحول. أخذ عن كثير في حرّية وسماحة، وقوة شخصية فكانت له آراؤه التي نجدها مبثوثة في مجاز القرآن.. أخذ أبو عبيدة عن شيوخ البصرة ذوى المكانة العلمية العالية ثمّ رحل عنها إلى بغداد حيث الشهرة والتألق ونعومة الحياة، ونضارة العيش فأصاب من ذلك حظاً، ونال منه نصيباً فكان له مكان أثير عند السلاطين من رجال البرامكة ➢

تدريب (1)



1. ما مرد سعة علم أبي عبيدة في تقديرك؟
2. ابحث في القاموس ووضح العبارات الآتية بلغتك الخاصة:

مباءة العلم، أساتذتها الأثبات، أثار حفيظة معاصريه، ازدرى بشعره، التنويه به.

أسئلة تقويم ذاتي



1. متى ولد أبو عبيدة معمر بن المثنى وكم عاش من السنين؟
2. إلى أي طبقة اجتماعية ينتمي هذا العالم؟
3. من هم أبرز شيوخة؟ وما مكانتهم العلمية؟
4. ناصبه الكثير من قادة الفكر والعلم العداء، لماذا ومن أبرز هؤلاء العلماء؟
5. من هم أبرز العلماء ووجوه الثقافة ممن أشاد بعلمه ودوره؟
6. كتابه **(مجاز القرآن)** يعكس شخص هذا العالم، فما أهم ما تميّز به هذا الكتاب؟

۞ أُتهم أبو عبيدة في علمه فقيل عنه كان مُخِلاً بالنحو كثير الخطأ، وأُتهم في عقيدته فقالوا كان خارجياً سمع أبا حاتم السجستاني ينشد شعراً فقال لمن هذا الشعر؟

قال: **لقطريّ بن الفجاءة – وقطريّ** كان قائداً من قادة **الخوارج** المبرزين – فقال له **أبو عبيدة** فَضَّ الله فاك ألا قلت **لأمير المؤمنين أبى نعامه** وهذه كنية **قطريّ** ثم قال له أُكتم عنّى.

➢ وخلاصة ما تقدم أنه كان يتعاطف مع الخوارج، ويجِّل **قطري بن الفجاءة** ولذلك احتج على **أبي حاتم** بأن يسميه دون أن يكنيه، لأن في الكنية إكبار للرجل، ثم خاف أن ينفضح أمره بأنه خارجي وطلب من **أبي حاتم** أن يتكتم عليه.

والخوارج هم من خرجوا على **أمير المؤمنين** – علي بن أبي طالب – بعد أن كانوا من شيعته ثم ما لبثوا أن كفّروا الفريقين شيعة علي – كرم الله وجهه –، ومعاوية بن أبي سفيان، ثم كفروا كل الأمة واعتزلوا الناس ولجأوا للأماكن البعيدة وظلوا في حرب دائمة على الدولة الأموية والعباسية شبيهه بحرب العصابات اليوم ولا تزال بقاياهم في ليبيا والجزائر وتونس وسلطنة عمان.

* وما ذكروه عن **أبى عبيدة** لا نكاد نلمس له أثراً في أثره القيم **(مجاز القرآن)** فليس فيه ما ينمُّ من قريب أو بعيد عن عقيدة من عقائد الخوارج التي اشتهروا بها واندفعوا يجاهدون في سبيلها.

* أمّا النحو فيبدو أن أبا عبيدة لم يكن يتقيّد فيه بمذهب إذ أنّ مدرستي **البصرة والكوفة** كانتا في **طور الخلق والتكوين،** ولم يكن أبو عبيدة يبالي ببعض القواعد التي أرساها النحاة فهو لا يبالى بإدخال الألف واللام على كلمة (بعض) فيقول في مجازه:

➢ (ولأُحلَّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم)

بعض: يكون شيئاً من الشيء ويكون كل الشيء قال لبيد بن ربيعة:

ترّاك أمكنةٍ إذا لم أرضها أو يَعْتَلقْ بعض النفوس حِمامها•

فلا يكون الحِمام – الموت – ينزل ببعض النفوس، فيذهب البعض، ولكنه يأتي على الجميع.

~ ومهما **أرجف المرجفون بأبي عبيدة،** فهم لا يستطيعون أن **يطمسوا أثره المحفور في تاريخ العربية وعلومها وآدابها.**

•هذا في معلقته إلى أولها:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

2.1 الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن

فلولا **أبو عبيدة** لضاع علم كثير فهو الذي جمع **النقائض** – وقد يكون جمعُه لها لحاجة في نفسه – لكنّه جمعها وهو من الجامعين لأمثال العرب والشارحين لغريب اللغة والمصنفين في القرآن.

* وقد حُفظت النقائض من الضياع فمكثت في الأرض لتدل على سعة علم أبى عبيدة ومعرفته الوثيقة بالعرب لغةً وتاريخاً.

ولقد بِقِيَ لنا (مجاز القرآن) وهو يدلُّ على ما كان لصاحبه من علم، وفضل، وجهد ومشاركة، **ومجاز أبى عبيدة** يمثل ←**الاتجاه اللغويَّ لتفسير القرآن الكريم.**

~ فالقرآن عنده إنّما أُنزل بلسان عربيّ مبين، وتَصْداق ذلك في أية من القرآن، قال تعالى:

▲ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ (إبراهيم: 4)

~ ويرى أبو عبيدة أنه لم **يحتج** السلفُ ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه.

فأبو عبيدة وابن خلدون ينظران من مِشكاةٍ واحدة وهى نظرة لم يرض عنها جماعة من العلماء كابن قتيبة وجلال الدين السيوطي.

وأبو عبيدة عندما سمّى كتابه مجاز القرآن لم يرد **المعنى الاصطلاحي** لكلمة **(مجاز)** الذي استعمله البلاغيّون المتأخّرون فإن قال مجاز الآية كذا إنّما يعنى تفسيرها ومدلولها وقد أشار إلى نحو من ذلك **الأمام ابن تيمية** حيث أشار إلى أن أبا عبيدة لا يعني بكلمة "**مجاز**" الذي هو **قسيم الحقيقة** ولكن هذا لا يعنى أنّ أبا عبيدة كان يجهل المعنى الاصطلاحي لكلمة (مجاز) جهلاً مُطْبقاً يدلك على ذلك أنّه سئل عن قوله تعالى:

▲ ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الصافات: 65)

فقال: هو" مجاز" كقول امرئ القيس:

أيقتلني والمَشْرفّي مُضَاجعي ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوال

هذا من لاميته التي أولها:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في القصر البالي

المشرفي: السيف.

ومسنونة زرق: إشارة إلى السكين.

كأنياب أغوال: أي ناب الغول الحيوان الضخم الأسطورة الذي تخيلته العرب كرمز للقوة العظيمة وشدة البأس والبطش، فالمجاز هنا أنه شبه سكينته ذات السنون بأنياب أغوال.

وما دام أبو عبيدة يرى أن القرآن نصٌّ عربيّ **فالشرط الأول والأخير عنده الفقهُ بأساليب العرب في التعبير** ففي القرآن ما في الكلام العربيّ من الغريب والمعاني. فهو يشرح المفردات ويستشهد عليها بالكلام العربيّ من شعر، ونثر وأمثال ففي قوله تعالى:

- ﴿ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ﴾ **(البقرة: 7)**

✓ يقول أي غِطاء قال الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة:

تَبْعتُك إذ عيني عليها غشاوَةٌ فلّما انجلت قَطعتُ نفسي ألومُها

وفى قوله تعالى:

- ﴿ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨ ﴾ **(البقرة: 108)**

✓ يقول أي **وَسَطُه**، قال عيسى بن عمر:

(مازلتُ أكتب حتّى انقطع سَوَائي) أي **وسطى.**

وفى قوله تعالى:

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ **(البقرة: ٥)**

✓ يستشهد استطراداً بقولهم: إن الحديَد بالحديد **يُفْلَح** أي يُفْلَق.

➢ ولم يُرْضِ هذا الاتجاه اللغويُّ الخالص **جماعة من العلماء كالإمام الطبري** الذي حمل على أبى عبيدة **حملة نكراء** فاتهمه **بضعف المعرفة، وقلة الرواية** لأقوال السلف من أهل التفسير، يقول الطبري في ذلك:

(وقد زعم أيضاً بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل، وقلّت روايته لأقوال السلف من أهل التفسير أنّ الرحمة مجازه ذو الرحمة، والرحيم مجازه الراحم)•

ثمّ يمضى الطبري ناقلاً عن صاحب المجاز مفنَّداً لأقواله وقديماً تمنَّى أبو زكريا الفرّاء أن يضرب أبا عبيدة لمسلكه الذي سلكه في تفسير القرآن.

- ورأى أبو حاتم السجستاني أنّه لا تحِلّ كتابةُ المجاز – يعني كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة– ولا قراءته إلاّ بهدف النقد.

▪أبو عبيدة والرواية:

ورغم هذا النقد والاعتراض الذي وجّهه هؤلاء الأئمة إلى مجاز أبى عبيدة، فإن المجاز لم يخلُ خلّواً كاملاً من الرواية عن السلف. ففيه بعض الأحاديث النبوية.

✓ قال أبو عبيدة في قوله تعالى:

➢ ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (البقر: ١٧٣) أي وما أُريد به، وله مجازٌ آخر أي ما **ذُكرَ عليه من أسماء آلهتهم**، ولم **يُرد به الله** عزَّ وجلّ.

جاء في الحديث: (أرأيت من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهلّ أليس مِثْل ذلك يُطَلّ).

والشاهد فيما تقدم (ولا صاح فاستهل) أي لم يذكر اسم الله فهو لم يصدر عنه ما يدل على حياة من صياح أو استهلال فالأَولى نبا أن نطَلّ عليه ونبحث في أمره وأن ونتحسس ونستجلي خيره.

وفى قوله تعالى:

➢ ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) يقول أبو عبيدة أي **جماعة** ثُمّ يُشيرُ إلى حديث يبعثُ **زيد بن عمرو بن نُفيل** أُمّةً وحده.

✓ ومن قوله تعالى:

•انظر الطبرى / جامع البيان / تفسير سورة الفاتحة

▲ ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ (النساء:

ككك

✓ يستشهد أبو عبيدة بقوله صلى الله عليه وسلم اللهمّ من كنت مولاه فإنَّ عليّاً مولاه.

وفي قوله تعالى:

▲ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا ﴾ (النساء:

ككك

✓ يقول أبو عبيدة **نَشْويهم** بالنّار و**نُنْضجُهم** بها يُقال أتانا بحمل مَصْلِيّ وشاة مصلية أي مَشْوية..

وفى تفسيره (للملأ) ←**بالوجوه والأشراف.**

يَسْتَدلُّ بقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – لمّا رجعوا من بدر وسمع رجلاً من الأنصار يقول إنّما قتلنا **عجائزَ صُلْعاً**، فرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم:

(أولئك **الملأُ من قريش** لو حضرت فَعالهم احتقرت فَعَالك مع فَعَالهم).

3.1 كتابه (مجاز القرآن) والرواية

➢ وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة بالإضافة إلى الأحاديث النبوية شيءٌ من الرواية عن السلف من صحابة وتابعين ففي تفسيره لكلمة (قنطار) من قوله تعالى:

▲ ﴿ وَٱلۡقَنَـٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ ﴾ (آل عمران: 14)

✓ يحكى أبو عبيدة أقوالاً مختلفات عن ابن عباس، وجابر بن عبد الله، والسُّدي والكلبي.

تدريب (2)



1. لماذا هوجم الاتجاه اللغوي لأبي عبيدة بهذه الشدة سيما من رجال مثل الطبري؛ مع أن هذا الاتجاه انتشر في فترات تالية ولم يُقابل بهذه المعارضة القوية؟
2. ما مزايا كتاب (مجاز القرآن) على الرغم من النقد والتشنيع عليه، في تقديرك؟

أسئلة تقويم ذاتي

1. ما هي الاتهامات التي وجهت إلى أبي عبيدة في علمه، وفي عقيدته؟
2. لماذا أُتهم بأنه خارجي؟
3. من هم الخوارج، وما أهم عقائدهم؟
4. ما أهمية النقائض التي جمعها أبو عبيدة؟
5. علامّ تدل هذه النقائض؟
6. ماذا يعني مصطلح المجاز لدى أبي عبيدة؟
7. هات ثلاثة أمثلة تدل على عمق الاتجاه اللغوي في التفسير لدى أبو عبيدة؟
8. على الرغم من ميل أبى عبيدة الشديد للغة، إلا أن كتابه (المجاز) لم يخل من أحاديث نبوية وروايات للسلف استدل على ذلك ببعض الأمثلة ووضح مغزى ذلك؟

ورغم هذا الذي قلناه عن الرواية فلابُدّ من الاعتراف بأنَّ **جُل اعتماد أبى عبيدة** إنما هو على **اللغة واللسان**، و**المجاز مَليٌ بالاستشهاد بالشعر العَربي**، ولقد كان في روايته واستشهاده أكثر تحرراً من أستاذه **(أبى عمرو بن العلاء)** الذي جلس إليه **الأصمعيّ** عشر حجج – أي سنوات عشر – فما سمعه يحتجُّ ببيت إسلامي واحد.

أما أبو عبيدة فإنه لا يتحرج من الرواية عن معاصريه ففي قوله تعالى:

▲ ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ **(البقرة: 68)**

✓ قال: والعرب تقول: (لا كذا ولا كذا ولكن بين ذلك، فمجاز هذه الآية بين هذا الوصف، ولذلك قال بين ذلك)

ثم استشهد بقول **رؤبة** الذي قال في ذلك: **(فيها خطوطٌ من سواد وبلق)** فالخطوط مؤنثة والسواد والبلق اثنان، ثم قال:

هذا من أُرجوزته المشهورة ذات القافية المقيدة

(كأنّه في الجلد تَوْليعُ البَهَق) – قال أبو عبيدة فقلت لرؤبة (أي صححه): إن كانت خطوط فقل **كأنّها**، وإن كان سواد وبلق فقل **(كأنّهما)**.

فقال: كأنَّ ذاك ويلك توليعُ البهَق، ثمَّ رجع إلى السواد والبلق والخطوط فقال:

(يُحْسَبن شاماً أو رقاعاً من بَنَقْ).

۞ وأبو عبيدة في غمرة استشهاده بالشعر العربيّ على ألفاظ القرآن ومعانيه **قَلّ أن يلتفت إلى مواطن العظة والعبرة في النص، ويَندُرُ أن ينظر إلى أسباب النزول، ومناسبة الآيات** مع أنّ النظر إلى هذه الأمور من الوسائل المهمة التي تعين على فهم النصّ فهماً مستقيماً.

وأبو عبيدة قد يشْغلُ نفسه وقارئه باستطراد **لا يتطلبُه** فهم الآية التي هو بصدد تفسيرها.

ففي قوله تعالى:

➢ ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ **(الفاتحة:**

ك)

✓ يقول الصراط ←**الطريق، المنهاج الواضح** وقال جرير:

أمير المؤمنين على صِراط إذا اعوجّ المَوارد مُسْتقيم

ثم يستطرد قائلاً:

والموارد ← **الطرق ما وردت عليه** من ماء وكذلك القَرِيّ وقال:

وَطِئنا أرضهم بالخيل حتّى تركناهم أذل من الصراط

وفى قوله تعالى:

➢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ۝٧١ ﴾

(النساء: 71)

✓ يقول أبو عبيدة واحدتها **ثُبة** ومعناها **جماعات** فدى تفرقة وقال زهير بن أبى سلمى:

وقد أغدو على ثُبةٍ كرامٍ نشاوى واجدين لما نشاء

ثمّ يستطرد قائلاً: وقد تجمع **(ثبةٌ)** على **(ثُبين)** قال عمرو بن كلثوم:

فأمّا يوم خشيتنا عليهم فتُصبح خيلُنا عُقباً ثُبينا

هذا من معلقته:

آلا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور إلا ندرينا

ومثل هذا الاستطراد كثيراً ما يلجأ إليه الشيوخ في حلقات الدرس وهو قد لا يخلو من فائدة ولكنّه لا يتيمّم صميم الموضوع وَلُبّه فمكانه الحاشية.

ومن باب الاستطراد أن يذكر لنا أبو عبيدة شيئاً من أخبار الشعراء الذين يستشهد بشعرهم وهذا كثير تجده مبثوثاً في تضاعيف هذا الكتاب، ونحن نجتزئ بالتمثيل عن الاستقصاء (يعني المعد أنه يذكر أجزاء قليلة يعطي بها أمثلة لاستطراد أبي عبيدة ولا يستقصي أي لا يحصى كل كبيرة وصغيرة) فمن تلك الأمثلة:

قال **أبو عبيدة قال الخنَّوْت** – وهو **تَوْبةُ بن مُضَرس**– **أحد بني مالك بن سعد ابن زيد مناه بن تميم**، وإنّما سماه **الخِنَّوْت الأحنفُ بن قيس**، لأنّ **الأحنف** كلّمه فلم يكلمه احتقاراً له فقال:

إنّ صاحبكم هذا **لَخِنَّوت، والخنِوْت** المتجبّر الذاهب بنفسه المستصغر للنّاس فيما أخبرني "**أبو عبيدة محمد بن حفص بن محبور الأُسَيْدىّ**" ومن يدرينا لعلَّ أبا عبيدة كان يفعل ذلك استجابةً لدعوة أو تلبيةً لطلب أو إجابة عن سؤال.

تدريب (3)

"أهمل أبو عبيدة أسباب النزول ومواطن العظة والعبرة في تفسيره، وأكثر من الاستطراد في اللغة" حلل هذه العبارة واذكر ما استخلصته منها بإيجاز.

أسئلة تقويم ذاتي

1. ما موقع الرواية في تفسير مجاز القرآن؟
2. كان جلّ اعتماد صاحب المجاز على اللغة، اضرب أمثلة كافية توضح ذلك.
3. اذكر بعض أمثلة الاستطراد التي أفاض فيها صاحب المجاز.
4. ما مثالب الاستطراد في اللغة في كتاب كُرِّس للتفسير؟

➢ومهما قيل عن عيوب **هذا الكتاب** فإنَّه سيظلُّ **ذا قيمة علمية عالية** فهو أول كتاب جُمعَ **في القرآن ومعانيه** على ما ذكره **ابن خير الاشبيلي** في **الفهرست**. بل لعله **أول** من استعمل كلمة **مجاز في الدراسات القرآنية** ولا ريب أنه من أوائل الذين تنبهوا إلى الأساليب البلاغية في القرآن الكريم كتنبُّهه إلى الالتفات في قوله تعالى:

➢ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ **(يونس: 22)**

ولا شك أن كتاب المجاز من أوائل الكتب التي صُنّفت في ذلك المجال فهو:

أقدم من تفسير الطبري بنحو قرن كامل من الزمن مع أن تفسير الطبري من التفاسير القديمة جداً.

ولقد **اعتمد** على مجاز أبى عبيدة جماعة من فضلاء الرجال وإن شنّعوا عليه في بعض **المواضع**، ويكفى أن نذكر من جملة من استفاد من هذا السفر العظيم:

~ الأمام أبا عبد الله البخاري ⟵ في كتاب التفسير من الجامع الصحيح.

~ وأبا جعفر الطبري ⟵في كتاب جامع البيان.

وأبا عبيد الهروي ⟵ في الغريبين (غريب القرآن وغريب الحديث).

وكلهم ذو مكانٍ معروف، وقدْر موصوف، ومقامٍ معلوم، وجزى الله علماءنا خيراً وصالحة، ولقد أحسن الأستاذ التركي "**فؤاد سزكين**" إحساناً كبيراً بنشره لهذا الكتاب وتقديمه لأهل العربية.➢

نشاط



ارجع إلى الفقرة الأخيرة والتي حاول المعد أن يقوِّم فيها كتاب (مجاز القرآن) ويقوِّم من خلاله أبي عبيدة كعالم أثر أثراً عميقاً في علماء أفذاذ آخرين، واقرأها بتمعن واستعرض ما ذكر في الوحدة ككل، ثم ضع تقويماً خاصاً لهذا الكتاب وأثره في التفسير في خلاصة بلغتك الخاصة معبراً عن انطباعك وتقديرك لهذا الكتاب.

۞ ناقش تقريرك مع المشرف الميداني والزملاء. بهدف إثراء النقاش.

2. أبو جعفر الطبري

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري من العلماء **المتفوَّقين** الذين لهم في **العلم والفضل قدم ثابتةٌ**، وعِرْقٌ ضارب وقد ترجم له جماعة منهم **(ابن خلكان)** في "وفيات الأعيان"، و**(النووي)** في" تهذيب الأسماء واللغات" و**(ياقوت الحموي)** في "معجم الأدباء".

1.2 نشأة الطبري (224 – 310 هـ)

وُلدَ – رحمه الله – في **نهاية الربع الأول من القرن الثاني للهجرة**، وتوُفى في نهاية **العِقْد الأوّل من القرن الثالث** في قرية من قرى "**طَبرسِتان**" يقال لها "**آمل**". ومن طَبرسِتان جاءته النَّسْبَةُ فقالوا **طبري**•، وكان والده عَوْناً له في تلقي العلم وكسبه إذ ما فَتِئ يشجّعه ويحثه على ذلك باذلاً له من ماله مّما جعله متفرغاً للعلم، لا ينصب في اكتساب رزقه ومعيشته. وهكذا كان عَيْش الطبريّ ميسوراً اللهمّ إلاّ في حالات قليلة اضطر في بعضها إلى بيع شيء من ثيابه (كان هذا في مصر كما حكى مترجموه). وكان في أحواله كلّها وأطواره جميعاً مثالاً للمسلم الأَنِفِ المعتّز بدينه، وخلقه وعلمه، لا يتخشَّع إن أصابته لأواء، ولا يَطْغى إن ساعفته الأيام، وساعدته الظروف ولا عجب فهو القائل:

إذا اغتنيتَ فلا تكنْ بَطراً وإذا افتقرت فَتُهْ على الدهر

- **الأُنف: من الأنفة أي الاعتزاز بالنفس والتعفف.**
- **يتخشع: يخضع ويتذلل.**
- **لأواء: شدة وعسر.**
- **البطر:التعالي والتكبر عند حلول النعمة.**
- **فَتُه: من التيهه. ولا يعني هنا التكبر بل يعني التسامي وعدم الاستكانة لمصائب الدهر.**

~ كان **الطبريّ** يعرف لنفسه حَقَّها، وللعلم قدره فما كان يتذلّل لحاكم ولا لأمير من ذلك:

• أما النسب إلى بحيرة طبرية فتقول طبرانى بزيادة الألف والنون للتفريق بين النسبتين

أنه كان جالساً في حَلْقتِه يُقرئ النَّاس وجاء دَوْر أحدهم في القراءة وصادف ذلك حضور **الوزير ابن الفرات** الذي **تهيبه القارئُ فسكت** فما كان من **الطبريّ** إلاّ أن زجره قائلاً:

(إذا جاء دَوْرُك في القراءة فلا تلتفت إلى دجلة ولا الفُرات)

2.2 الطبريّ والعلم والعلماء

ولم يُضع الطبريُّ وقته عبثاً بل قسمَه قِسْمةً عادلة فكان منذ حداثته مصاحباً للعلم والعلماء، ولا يألوُ جهداً في المتابعة والمشايعة والاكتساب. وفى آمل والرىّ ودولاب أخذ عن الشيوخ الحفّاظ:

~ كمحمد بن حميد الرازي• ~ وأحمد بن حماد الدولابي

واستطاع بما أوتى من قدرة وذكاءً وملكةٍ مصقولة بالجدّ النّاصح، والجهد المبارك أن يحفظ القرآن عن ظهر قلب ولمّا يتجاوزِ السابعة من عمره. ولم يرض الطبريّ بما ناله من علم من القرى القريبة فعزم على سفر طويل تتقطع دونه همم الرّجال فشقّ طريقه إلى **(بغداد)** آملاً أن يسمع من مُحَدثها الحجّة "**أحمد بن حنبل الشيباني**"، وكم كانت خيبته كبيرة حين سمع بموته فور دخوله فغادرها يحث الخُطَى إلى واسط – أي يسرع إلى واسط هي من المدن التي بناها الحجاج بن يوسف وفيها ألف ابن تيمية **(العقيدة الواسطية)** – التي ما لبث بها غير قليل حتى جاوزها إلى الكوفة حيثُ لازم **أبا كريب محمد بن العلاء الهمداني** ملازمة الظلّ. وكان أبو كريب على جفاء طبعه، وضيق صدره، وحدّة مِزاجه آية من آيات الله في الحفظ والإتقان والإجادة وعنه أخذ شيوخ العصر من المحدثين "**كالبخاري**" و"**مسلم**".

تدريب (4)



ماذا تستشف من المعالم البارزة الآتية في سيرة الطبريّ؟

1. السفر الشاق والتنقل في البلاد على الرغم من يسر الحال وطيب المعشر في بلده.
2. ملازمته **لأبى كريب** رغم جفاء طبعه.
3. عدم تهيبه للوزير والسلطان.

•كان محمد بن حميد الرازي مصدراً لكثير من المرويات الشيعية في جامع البيان وقد اتهم برداءة المذهب

وغادر **الطبريّ** الكوفة إلى البصرة ومنها إلى بغداد كرّةً أخرى. وفى بغداد كان تلاميذ **الأمام الشافعي** يملأون الدنيا علماً وفقهاً وفضلا واتّصل بهم **الطبريّ** وأخذ عنهم غير قليل، وكان **لمحمد بن الحسن الزعفراني** عليه يَدٌ ومِنّة به تأثّر الطبريّ غاية التأثر وكان في بداية حياته العلمية يميل إلى المذهب **الشافعيّ** الذي أفتى به عشر سنوات ثمَّ استقلّ بمذهب فقهيّ عرف بالمذهب الجريري الذي استمر بعد صاحبه نحو قرن من الزمان واعتنقه رجالٌ لهم في الفضل غايات وسبق **كأحمد بن كامل القاضي والمُعافى بن زكريا النهرواني.**

أسئلة تقويم ذاتي



1. ما العمر الذي عاشه الطبري بحساب الزمن؟
2. كيف ساعدت ظروفه العائلية والبيئية على نشأته العلمية؟
3. من هم أبرز شيوخه وعلمائه؟
4. عدّد البلاد التي تنقل فيها لطلب العلم؟
5. من هو أبرز العلماء الذين أثروا في هذا العالم الفذ؟
6. ما المذهب الذي أثر في الطبري في بداية حياته العلمية؟
7. وضع الطبري مذهباً خاصاً به – فما الاسم الذي اشتهر به؟ ومن أبرز من اعتنقه من العلماء؟

لم تقنع نفسُ **الطبريّ** المتطلعة إلى المزيد من **العلم** و**المعرفة** و**الخبرة** بما نالت من حظّ عظيم في **آمل والريّ ودولاب وبغداد وواسط والكوفة والبصرة** فعزم على الرحيل على سوء في وسائل الاتصال، وبُعْدٍ في الشُّقّة...

وَلّى **الطبريُ** وجهه شطر **بيروت**، كانت **بيروت** عَهْدئذ **مدينة فضل وعلم ونور** مكث فيها **الطبريّ** أُمّةً معدودة استطاع فيها أن يُلمَّ بضروبٍ من القراءات إلمام العالم المُستبصر، ثم غادرها إلى **مصر** حيث كان أصحاب **الأمام الشافعيّ** يملأونها علماً وفضلاً كما ملأوا **العراق** من قبل.

وفي **الفُسْطاط** لقِي **الطبريّ** العلماء، وباشر الشيوخ.. فيها لَقي **يونس بن عبد الأعلى الصَفَدي** وفيها لقي **الربيع بن سليمان المُرادي** وكلاهما شافعيٌ ضليعٌ متمكنّ وهكذا تهيأ **للطبريّ** أن يجمع بين أقوال **الأمام الشافعي** قديمها وجديدها ولم يكن **الطبري** في مصر تلميذاً شادياً – ناشئاً ومقلداً – مبتدئاً بل كان أستاذاً ضخماً، وعالماً كبيراً، مشاركاً في الحياة الأدبية والدينية.. ففيها تعلّم وعلّم وفيها سئل عن **علم العروض** ولم تكن له فيه سابق معرفة **فاستعار كتاباً من كتب العروض وسهر فيه ليلة فأصبح عروضياً** كما قال ولم يك **عروضياً من قبل!** فأي ذكاء وأي توفيق وأي همة !

وفيها – أي مصر – شرح شعر **الطرماح بن حكيم**، وعلق على غريبه، وفيها **نقد المذاهب الفقهية**، واستقل بمذهب دلّ على سعة في الإطلاع وتبحّر في العلوم. مكث **الطبريُّ** في مصر ما شاء الله له أن يفعل ثمَّ ودّعها إلى بغداد وفيها أقام حَيَاته ولم يغادرها إلاّ مرتين اثنتين في زيارة خفيفة إلى **طبرستان** حيث أهله وعشيرته الأقربون وفى بغداد انقطع **الطبريّ** للعلم انقطاعاً تاماً حتى قيل كان اليومُ الذي يشهده **الطبريّ** يوماً مشهوداً.

انقطع **الطبريّ** للعلم تحصيلاً وتدريساً وتصنيفاً وكان مثالاً رائعاً للعالم العامل المتعبَّد الذي يُفْني عُمُره في جهدٍ علميّ مُثْمر مبارك فيه. ولقد ساء هذا التفرّدُ والإحسانُ جَماعةً من معاصريه فكانوا له عَدُّواً وحَزناً واتَهموه بفساد العقيدة بل ذهب بعضهم إلى اتهامه بالكذب، ووضع الأحاديث النبوية تأييداً وتعضيداً لمذهب الروافض.

➢ وكان للمتعصبين من الحنابلة ضِلْعٌ فيما نال الطبريَّ من أذى وتجريح، ولا بأس على **الطبريّ** في ذلك كلّه إذ العرانين – العرنين هو السيد الشريف – تلقاها مُحسّدة ولا ترى للئام النّاس حُسادا (هذا مما استشهد به الزمخشري صاحب الكشاف لما رأى كثرة أعداء المعتزلة وشانئيهم وانظر مقدمته لتفسيره).

ولا بأس على **الطبريّ**، من ذلك كله وقد خلف لنا من الآثار ما يدلُّ على مبلغه من العلم وهو مَبْلغٌ عظيم لا يرتاب فيه مرتاب ومن آثاره التي شهد لها الناس بالتفوّق والصدارة والتقدّم تفسيره الجليل الذي سَمَّاه:

❖ **(جامع البيان عن تأويل أي القرآن).**

تدريب (5)



اتهم الطبري في عقيدته، وأنه يضع الأحاديث تأييداً للروافض، فمن هم الروافض، وما أشهر عقائدهم المنفرة.

3.2 تفسير الطبري

شرع الطبريّ في تأليف **تفسيره** وهو **شيخ كبير** قد بلغ من العلم **غاية**، ومن المعرفة **مدى** فجاء كتابه **فريداً في بابه، فذّاً** في **مجاله** فهو **العمدة** لمن جاء بعده من الباحثين، وهو **المعين** الذي لا **ينضب فيضه** لكلّ **ناظر مُتوسم** في **كتاب الله** عّز وجلَّ. فمن **ثماره** قطف **القرطبيّ وأبو حيان**، ومن **نَبعه استقى السّيوطي والشوكاني**، وفى **أعطافه** نظر **ابن كثير**، وإليه التفت من غير هؤلاء كثير.... هيأ الله لابن جرير فرصة التأليف وهو شيخ كبير إلاّ أنّه كان مشغول الفكر به منذ الحداثة، فهو ينبئنا أنّه قد حدث نفسه به وهو بعدُ صبيٌّ صغير، واستخار الله في عمله وسأله العون على ما نواه ثلاث سنين عدداً قبل أن يبدأ فيه.. كان للتفسير والتأويل في فكره مكانٌ، وكان لهما في قلبه مَنزله فقد كان يقول رحمه الله:

(إنيّ لأعجب ممّن **يقرأ القرآن**، ولم **يعلم تأويله**، كيف **يَلَذُّ به)**.

➢ تناول **الطبريّ** في تفسيره ألواناً من المعارف، وضروباً من الفنون فصار بذلك مصدراً لا يستغنى عنه باحث، ومرجعاً لا يُمكن أن يُغفِلَه طالب علمٍ قط..كان الطبريّ عالماً باللغة، عارفاً بالنحو، بصيراً بأساليب العرب في التعبير، خبيراً بمناحي كلامهم وشعابه قال **أبو عمر الزاهد:**

(قابلتُ هذا الكتاب من أوّله إلى آخره، فما وجدت فيه **حرفاً خطأً في نحو أو لغة)**.

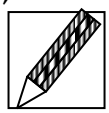
كان **الطبريّ** من النحاة **البغداديين** الذين حاولوا أن يتخذوا سبيلاً وسطاً بين مدرستي البصرة والكوفة ولم يتعصّبوا لواحدة منهما. ففي تفسيره تجده يحكى عن الكوفيين من أمثال الكسائي والفّراء كما يحكى عن البصرين كأبي عمرو بن العلاء وأبى عبيدة معمر بن المثنى وهو قد يرجحَّ هؤلاء تارة وأولئك أحياناً.

✓ وفي تفسيره تجد **حَملة شعواء** على من حاول أن يفسَّر القرآن **تفسيراً لُغَوياً خالصاً** مجرداً، وفيه ينوش **أبا عبيدة معمر بن المثنى** بلسانه، ويحَّرق جلده باللوم والتشنيع لأنّه جاء

ببضاعة مُزجاة في الرواية عن سلف هذه الأُمة، وكان يرى أن السلف من صحابة وتابعين أولى الناس بتفسير القرآن الكريم وذلك لقرب عهدهم بالنبوّة، وإشراقها.

- **ينوش:** أي ينال منه.
- **مزجاة:** ضعيفة القيمة أو لا قيمة لها.

تدريب (6)



ما دلالة قول الطبري:

"إني لأعجب ممن يقرأ القرآن، ولم يعلم تأويله، كيف يلذ به"

ولم يجد **الطبريُّ حرجاً ولا بأساً** في **الاستدلال بالشعر العربيّ القديم ففي تفسيره غير قليل من الاستشهاد،** لكنه لم يشأ أن يغلو في هذا الجانب كما غلا أبو عبيدة ومن شايعه من اللغويين وكثير من شواهد الطبريّ في التفسير نجدها في مجاز أبى عبيدة.

وسنكتفي من شواهد **الطبري** بذكر بعض الأمثلة عليها: قال **الطبري** في الصفحات الأولى من تفسيره:

✓ ومن الدلالة على أنَّ معنى السُّورة المنزلة من الارتفاع قول **نابغة بنى ذبيان:**

الم تر أن الله أعطاك سُورَة ترى كلّ مُلْك دونها يتذبذب

وفى تفسيره لقوله عزّ وجل:

➢ ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ **(البقرة: ١٩)**

يُبيّن الطبريّ أنَّ (أو) قد تأتى دالة على مثل ما تَدُلّ عليه الواو إمّا

~ بسابقٍ من الكلام قبلها.

~ وإمّا بما يأتي بعدها ثمَّ يستشهد على ذلك – أي على حالتي أو – بأبيات منها قول **توبة بن الحُميَّر:**

وقد زعمت ليلى• بأنّي فاجرٌ لنفسي تقاها أو عليها فجورها

• ليلى المشار إليها هي ليلى الأخيلية الشاعرة التي كان يُشَبِّب بها توبة، وهى ممن مدح الحجاج بن يوسف الثقفى

وقول جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر

– فلو لاحظت – عزيزي الدارس – في البيتين أنت (أو) بمعنى الواو.

ملحوظة: الصيب: المطر الغزير شديد الوقع، قال الطبري: أصلها **صيوب** اجتمعت الواو والباء وكانت الأولى منها ساكنة فقلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء في الياء فصارت صيِّب.

▲وفى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

✓ يقول الطبري يعنى به أنهم **آيسون** من **الخير**، **نادمون حَزَنا** ثمّ يستشهد بقول العّجاجَ•:

يا صاح، هل تَعْرفُ رسْماً مُكْرسا قال: نعم أَعْرِفُه وأبلسا

كما يستشهد ببيت آخر لابنه رؤبة فالطبريّ إنما يتخذ من الشعر القديم وسيلة للكشف والإبانة عن معاني الألفاظ القرآنية الشريفة.

تدريب (7)

1. كان الطبري يُشنع على أبي عبيدة أيما تشنيع لاتجاهه اللغوي في تفسير القرآن، مع أنه استعان كثيراً باللغة نحواً وشعراً وأسلوباً، فكيف تفسِّر ذلك؟

▪ القراءات في تفسير الطبريّ:

والطبريّ يهتم في تفسيره بإيراد القراءات المختلفة والحكم عليها بالصِحَّة والشهرة والاستفاضة أو العلّة والنكارة والشذوذ ففي قوله تعالى:

▲ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾ (المائدة: 6)

يذكر **الطبريّ** ثلاثة **أوْجُه لقراءة كلمة** ←**(أرجلكم)**

• هو والد رؤبة وكلاهما كان راجزاً إلا ان رؤبة أشعر من أبيه واشهر.

- ثنتان منهما – أي من الثلاثة – صحيحتان مشهورتان مستفيضتان.

وهما قراءة **الجرّ والنصب** (وإن كان الطبري أميل إلى قراءة الجرّ لمكان كلمة رؤوس المجرورة بالباء)

- أمّا الوجه الثالث وهو **الرفع** فإن هو إلاّ رواية شاذة عن **الشيخ الجليل الحسن البصري** رضي الله تعالى عنه.

➢ والطبري قد يرجح قراءة تلائم النظم الموسيقيّ للآيات القرآنية أكثر من غيرها من ذلك ترجيحه لقراءة ~~(ناخرة)~~ من قوله تعالى:

▲ ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ ﴾ (ونخرة وناخرة)

كلتاهما صحيح لكنّ الطبريّ أميلُ إلى الثانية لوجود الألف الذي يناسب سائر كلمات الفواصل كالحافرة والساهرة والخاسرة.

۞ وفى الفقه – وقد نال منه **الطبري** النصيب الأوفى، وألّف فيه كتباً بقى منها منشوراً كتابه في (اختلاف الفقهاء).

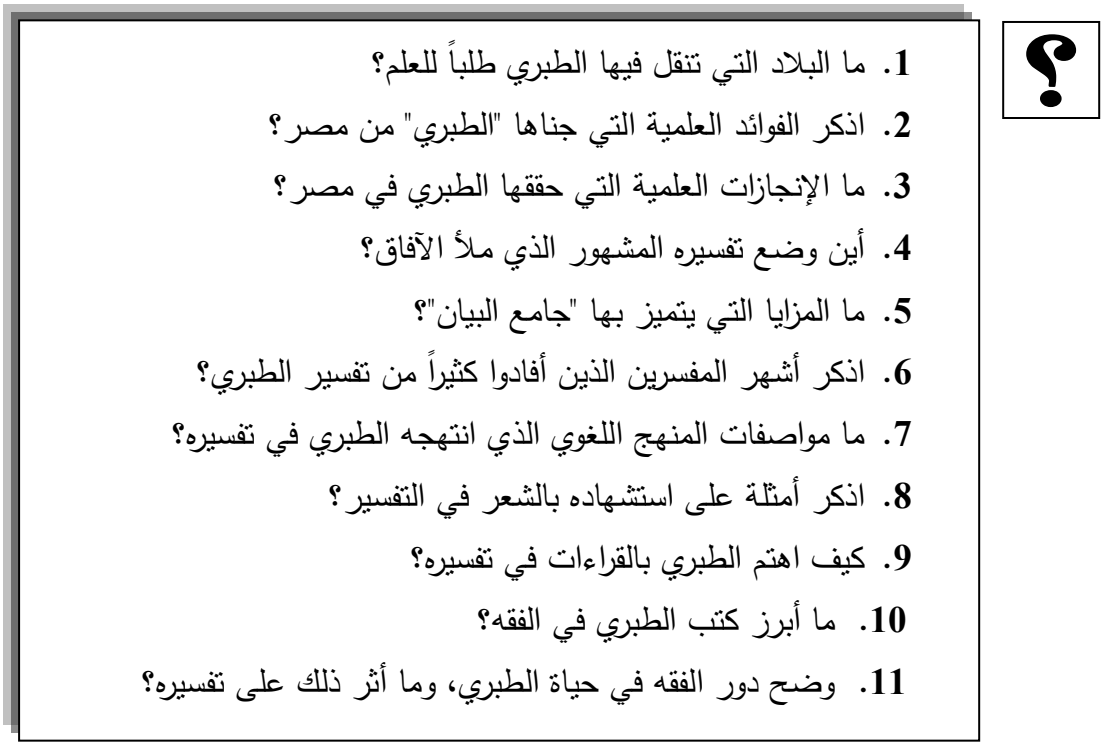
يجمع الطبريّ في تفسيره آراء الفقهاء ثم يرجح بينها ويوازن غير متعصب لمذهب ولا متحيز إلى فئة فهو من الذين بلغوا درجة الاجتهاد المطلق، وتفسيره كنز ثمين لمن أراد أن يتعرف آراء الفقهاء ومذاهبهم ولاسيما تلك المذاهب التي اندثرت وكانت مُنْتَعَشةً يوماً كمذهب سفيان الثوريّ والأوزاعي رضي الله تعالى عنهما.

ولم ينس الطبريّ أن يمسّ المخالفين من أصحاب الأهواء والبَدع بِنَصْب وعذاب فردّ على الشيعة والقدرية والخوارج والجهمية وجهلة المتصوفة الذين ذهبوا إلى إنكار التكسب زاعمين أنّه مناقض للتوكل والله سبحانه وتعالى يقول:

▲ ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (البقرة: 275)

وناقش في أثناء ذلك كثيراً من القضايا التي كانت تشغل أهل زمانه كرؤية الباري – عزّ وجلّ، ومرتكب الكبيرة، والجبر والاختيار، واستعمل في ذلك كلّه الأساليب التي اصطنعها المتكلمون، وتسلح بسلاح المنطق واستطاع أن يأتي في كثير من منازعاته بحجج دامغات وآيات باهرات لا ينكرها إلا مكابرٌ معاندٌ لا يُذعِن لحقٍ ولا يرضى بحجّة.

أسئلة تقويم ذاتي



1. ما البلاد التي تنقل فيها الطبري طلباً للعلم؟
2. اذكر الفوائد العلمية التي جناها "الطبري" من مصر؟
3. ما الإنجازات العلمية التي حققها الطبري في مصر؟
4. أين وضع تفسيره المشهور الذي ملأ الآفاق؟
5. ما المزايا التي يتميز بها "جامع البيان"؟
6. اذكر أشهر المفسرين الذين أفادوا كثيراً من تفسير الطبري؟
7. ما مواصفات المنهج اللغوي الذي انتهجه الطبري في تفسيره؟
8. اذكر أمثلة على استشهاده بالشعر في التفسير؟
9. كيف اهتم الطبري بالقراءات في تفسيره؟
10. ما أبرز كتب الطبري في الفقه؟
11. وضح دور الفقه في حياة الطبري، وما أثر ذلك على تفسيره؟

وهكذا كان الطبري وتفسيره سيلاً جارفاً مَدُّه، وعيلماً متدافعَة أمواجه، وقد عرف له العلماء قدره فأثنى عليه ابن تيمية ثناء عاطراً لخلوّ كتابه من المذاهب المَبتَدعة التي تخالف منهاج السُّنَّةِ وأشار إليه:

كمثال للتفاسير المَرْضيّة النافعة المفيدة

- **العَيلم:** (بفتح العين) البحر.

وما من أحدٍ يشكُ أنّ تفسير الطبري من أجلّ التفاسير، وأعظمها قدراً، وأعلاها شأنا فالطبري يُعَدّ شيخ المفسرين، ورأس المؤرخين وتفسيره أقدم التفاسير على الإطلاق إذا استثنينا محاولات يسيرة مُبتسرة وصلت إلينا كمجاز أبى عبيدة، ومعاني الفراء، وتفسير الثوريّ. وكُلها عن منافسة تفسير الطبريّ بمعْزِل وهى لا يمكن أن تضارعه جودةً وتحقيقاً إذ أنَّ الرجل كان من المحّدثين ذوى المعرفة الهائلة بالأسانيد ورجالها، والأخبار ورواتها وإن تكلم الناس في الأخبار التي يرويها عن أهل الكتاب فإنّما كان يرويها استئناساً ولم يُرِدْ أن يُقيم بها

حُجَّةً في دين الله والتفاسير التي سبقت تفسير الطبريّ لا يمكن أن تُضاهيه ثراءً وكثرةً وغناء فقد كان الرجل راوية محيطا، وكتابه على ضخامته إن هو إلاّ مُخْتَصرٌ وجيزٌ لما كان يرجو أن يقوم به في البداية ولكن تلاميذه هالتهم ضخامة العمل فسألوه أن يختصره لهم ففعل بعد أن استرجع قائلاً:

(إنّا لله وإنّا إليه راجعون ماتت الهمم) ﷺ

ولا أدرى ما **الطبريُ** قائل لو أُتيح له أن يرى ما نحن فيه اليوم من عَجْزٍ وتقاعس حتّى عن قراءة أجزاء من تفسيره العظيم وإنّا لله وإنّا إليه راجعون **!.**

نشاط



ارجع إلى تفسير الطبري ثم أعد قراءة ما ذكر في هذه الوحدة من تقريظ وإطراء لهذا التفسير العظيم، واكتب بإيجاز عن:

1. منهج الطبري في التفسير.
2. الاتهامات والنقد الموجه إليه وكيف ترد على ذلك؟

3. أبو القاسم الزمخشري (467 – 538هـ)

ترجم لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري جماعة من الرجال:

~ كابن خَلَّكان ⟵ في وفيات الأعيان.

~ والسمعاني ⟵ في الأنساب.

~ وياقوت الحموي ⟵ في معجم الأدباء.

~ وجلال الدين السيوطي⟵ في طبقات المفسرين.

- فهو من مشاهير الرجال الذين لا يجوز إغفالهم بحال وقد اهتم به عدد من المحدثين:

~ كالصاوي.

~ الحوفي.

ووضعت فيه رسائل علمية كرسالة المرحومة **د. زكية عوض ساتي** لنيل درجة الدكتوراة.

1.3 نشأة الزمخشري

ولد **فخر خوارزم** بقرية **زمخشر** التي لولاه لما طَنَّ – من الطنين ويعني الصيت والشهرة – لها ذكر في التاريخ سنة سبع وستين وأربعمائة للهجرة وعُرِفَت الأسرة التي نشأ فيها الزمخشري بدينٍ وورعٍ وتقوى فأبوه يصوم النّهار، ويقوم الليل كما يذكر الزمخشري في عَينيةٍ يَرثيه:

صام النّهار، وقام الليل وهو شجٍ من خَشْيةِ الله كابى اللون مُمْتقعُ

- **شجٍ:** من الشجن أي الحزن والخوف من الله.
- **كابى اللون:** متغير

أمّا الخمرُ فلم يَذُقْها لا هو ولا أبوه ولا أحدٌ من أُسرته قال:

هاتِ التي شُبِّهتْ ظُلْما بشمس ضحى لو عارضتها لغطتها بإشراق

أستغفر الله أنيَّ قد نَسَبْتُ بها ولم أكن لحُمَيّاها بذوّاق

ولم يَذقها أبى كلاّ ولا أحدٌ من أسرتي واتفاق الناس مصداقى •

فكأنها قضيّةٌ ظاهرةٌ مكشوفةٌ يَتَّفقُ فيها الناسُ جميعاً ولعلّ في هذا دليلاً على أنّ أُسْرتّه عُرفت بدين وورعٍ وخُلُق ذاع بين النّاس صيته. وما أنْ بلغ **الزمخشري** سِنَّ الطّلب حتى توجّه تِلقاء **بُخاري** التي كانت عهدئذٍ قبلة لطلاب العلم والأدب والحديث. وتلقى **الزمخشري** العلم من أساتذةٍ لعل أعلاهم ذكراً، وأرفعهم شاناً، وأكثرهم أثراً في نفسه وتوجيهه في مجال العلم والفكر والأدب **محمود بن جرير الضبيُّ الأصفهاني** المتوفى سنة سبع وخمسمائِة للهجرة. والزمخشري يعترف بفضله، ويُقرُّ بيده التي دفعت عنه الخطوب، وَوَلتْ عِراكها عنه:

ولو لم يَلِ الضّبيُّ عنّى عِرَاكها لَغَالت يدُ البلوى أديمي بِعَرْكها

~ **يل:** أصلها يلي جُزمت (بلم)، ومعناها يتولى التصدي لها بالإنابة عنه.

~ **لغالت:** لطالت وأصابت.

~ **أديمي:** الأديم الجلد ويقصد بذلك إلحاق الأذى العظيم به.

• هذا من ابيات يشكو فيها الزمخشرى لنظام الملك شدة عيشه وشطف منها: يقول:

إليك نظام الملك شكواى فاستمع إلى بث مجذوذ المعايش ضنكها.

كان **الضّبيُّ** آية من آيات الله في الأدب والنحو والكلام وعليه تخرّج **الزمخشري** في هذه العلوم. وكان الضّبيُّ من الدعاة لمذهب الاعتزال ولم يألُ في نشر هذا المذهب جهداً، ولم يدّخر فيه وُسعاً إذ كان من المتحمسين له حماسةً شديدةً فائقة. واستطاع أن يستميل تلميذه الزمخشري إلى هذا المذهب فَرَبح مذهب الاعتزال باعتناق **الزمخشري** له شخصيةً علمّيةً فذّةً.

اعتنق **الزمخشري** مذهب **المعتزلة**، وكان به فخوراً وإليه داعياً، وبه مستمسكا كان إذا أتى باب أحدهم يقول لخادمه:

(قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب)

۞ نشأ **الزمخشري** نشأة أدبية لغويّة كلامية وأثر تلك النشأة ظاهر بَيِّنٌ في تفسيره الذي:

أداره على ← **عِلْمَي المعاني والبيان.**

يقول المعد: **(لعله حاول أن يطبق في تفسيره آراء عبد القاهر الجرجاني في البلاغة)**

وناقش فيه كثيراً من القضايا الكلامّية – أي قضايا العقيدة – مؤيِّداً مذهب المعتزلة بما ملكت يداه من حجج وأدلّة وبراهين.

كان الزمخشري مؤلفاً رحب **الذراع**، واسع **الإطلاع**، نَاصِعَ **الأسلوب**، قوىّ **الحجة** ألف في:

~ **النحو** ← كتاب **المفصَّل**• وشرح شواهد الكتاب

ألف في **المعاجم اللغوية** ← ألف معجماً سماه "**أساس البلاغة**" جمع فيه من فصيح كلام العرب عيوناً

وفي الشعر ← شرح "**لاميه العرب**" **للشنفري** والتي أولها:

أقيموا بنى أمى ظهور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

وفي الحديث ← ألَّف كتاب "**الفائق في غريب الحديث**".

وفي التفسير ← ألف "كتابه" **الكشَّاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**".

۞ وله غير ذلك من التصانيف الحسان كثير، وهو فخور بهذه التصانيف يستغنى بها عن النسل والزواج (ولقد لامه الناس على ترك الزواج) فقال يدفع عنه اللوم:

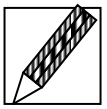
•من أشهر شراح هذا الكتاب يعيش بن يعيش

وحسبي تصانيفي وحسبي رواتها بنين بهم سيقت إليّ مطالبي

▪ الزمخشري والارتحال في طلب العلم

ولم يستطع "**الزمخشري**" أن ينال ما نال من علم وفضل ومعرفة، وأن يصَّنف ما صنّف من كتب ومقالات ورسائل حتّى صمد لذلك وكدّ واجتّهد، لم يستطع "**الزمخشري**" أن ينال ما نال من علم حتى شرّق في البلاد وغرّب كما فعل غيره من العلماء النّابهين.

تدريب (8)



1. اجتمعت عوامل شتى وساهمت في نبوغ هذا العالم الفذ منها: "أسرة الزمخشري،" – "البيئة العلمية" – "العلماء الأفذاذ الذين تلقي عليهم العلم،" – "شخصية الزمخشري" الذكية الطموحة، ناقش ذلك باختصار؟
2. ارجع إلى كتب الفرق والنِحل، وأكتب ملخصاً عن نشأة المعتزلة وأهم المبادئ التي نادوا بها، وأثرهم في الحياة الفكرية والدينية، وأبرز علمائهم وهل لا تزال هناك بقية من آثارهم، أم اندثروا تماماً شخوصاً وأفكاراً؟

زار "**الزمخشري**" **مكة**" مرتين وجاور فيها حتّى لُقّب **(بجار الله)** وهو القائل:

سيرى تماضرحيثُ شئت وحدَّثي أنيّ إلى بطحاء مكّة سائرُ
سأروح بين وفود مكة وافداً حتى إذا صَدَرُوا فما أنا صادرُ
بفِنَاء بيت الله أضربُ قُبّتي حتّى يَحِلَّ بي الضريح القابرُ
أُلقي العصا بين الحطيم وزمزم لا يطبيني إخوة وعشائر
حسبي جوارُ الله حسبي وحده عن كلَّ مفخرة يَعُدُّ الفاخر
سأقيم ثَمَّ وثمَّ تدفنُ أعظمي ولسوف يبعثني هناك الحاشر

لكنه رحمه الله لم يفعل إذ أطبّاه –أشتاق إليهم– الإخوة والعشائر فغادر مكة إلى حيث هم مقيمون... زار "**الزمخشري**" **مكة** مرتين وفيها قرأ "**الكتاب**" كتاب **سيبويه** على **عبد الله بن طلحة اليابري**، وفيها ألّف تفسيره وكان به تيّاها فخوراً وحق له أن يفعل:

وناهيك بالكشّاف كنزاً نُضَاره يُعَلَّم تمييز الجياد الصيارفا •

* الصيارف: هم النقدة الذين يميزون بين الجيد والردئ من الدراهم والدنانير.

وفيه يقول:

إنَّ التفاسير في الدنيا بلا عدّد وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشّاف كالشافي

وزار "الزمخشري" بغداد وفيها قرأ بعض كتب اللغة على أبى منصور الجواليقي،• وزار **همدان باليمن**، وقال فيها يتلاعب بالألفاظ تلاعب معاصريه:

كم قُلْتُ فى خورزم عند ترحّلى لركائبى سيرى إلى همدانا

لو لم أقل سيرى إلى همدان ما همدت بنا في سيرها همدانا

وهكذا قطع "**الزمخشري**" في طلب العلم وكسب المعرفة منادِح لو سارت بها العيسُ كلّتِ، وهكذا شرّق وغرّب، وهكذا وَطِئ كلّ تربةٍ في أرض العرب ورغم هذا النصب الدائب، والجهاد الدائم فأنَّ "**الزمخشري**" لم يتبوأ في مجتمعه ما يستحقُّ من مكان فكان كثير الشكوى، دائم التذمّر فهو يصف نفسه بأنه طريح الخطوب مجذوذ المعائش، ويبدو أنّه كان كالمتنبي يريد من ممدوحيه أن يُنيطوا به ضيعةً أو ولايةً وما هم بفاعلين ولقد كان الرجل في جهد ونصبٍ ونزاع مع نفسه الكبيرة وقلبه الطمّاح:

وأخّرني دهري وقدّم معشراً على أنّهم لا يعلمون وأعلمُ

فمذ أفلح الجُهّال أيقنت أنّني أنا الميم والأيام أفلح أعلم

•الصيارف هم النقدة الذين يميزون بين الجيد والردئ من الدراهم والدنانير قال الأعشى

دراهمنا كلها جيد فلا تحبسنا بتنقادها

•هو شارح كتاب أدب الكاتب لا بن قتيبة

- الأفلح الأعلم: المشقوق الشفتين ومشقوق الشفتين لا يستطيع أن ينطق (الميم) هذا الحرف الشفوي الذي تحتاج أن تطبق شفتيك لكي تأتي به، فهو يعبر عن حظه العاثر وأن الدنيا لا نصيب له فيها ولا يتأتى له ذلك فهو فيها كالأفلح الأعلم الذي يستحيل عليه نطق الميم.

~ **منادح:** الساحات الواسعة.

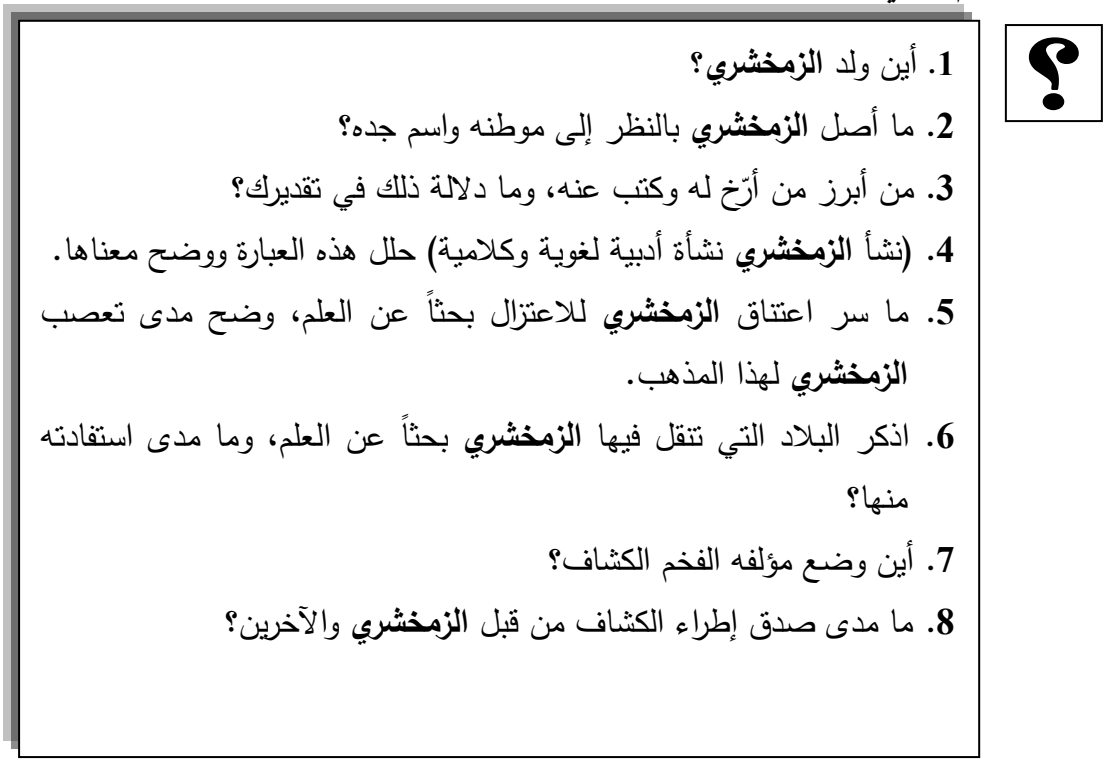
~ **مجذوذ** المعائش: مقطوع، كناية عن ضيق العيش.

ولعّل "**الزمخشري**" قد التمس تأساءً وتعزيةً في التفاف الناس حوله ليقتبسوا من علمه الزاخر الفيَّاض:

ألم تر أنى حيثما كنتُ كعبةً يَحُفُّون بي كالطائفيين طوايفا

فشرقيّهم يَهْوِى إلى النور قابساً وغربيّهم يسعى إلى البحر غارفا

أسئلة تقويم ذاتي



1. أين ولد **الزمخشري؟**
2. ما أصل **الزمخشري** بالنظر إلى موطنه واسم جده؟
3. من أبرز من أرّخ له وكتب عنه، وما دلالة ذلك في تقديرك؟
4. (نشأ **الزمخشري** نشأة أدبية لغوية وكلامية) حلل هذه العبارة ووضح معناها.
5. ما سر اعتناق **الزمخشري** للاعتزال بحثاً عن العلم، وضح مدى تعصب **الزمخشري** لهذا المذهب.
6. اذكر البلاد التي تنقل فيها **الزمخشري** بحثاً عن العلم، وما مدى استفادته منها؟
7. أين وضع مؤلفه الفخم الكشاف؟
8. ما مدى صدق إطراء الكشاف من قبل **الزمخشري** والآخرين؟

2.3 تفسير الكشاف والاعتزال

ولا شكّ أنّ مِمنّ طاف به وحَفّ أولئك المتعَّطشون إلى المعرفة بالقرآن الكريم وعلومه من تفسير وفنون. ولهم ألف مصنّفه الفاخر الموسوم بالكشاف.

➢ والزمخشري في مقدمته للكشاف يكشف لنا عن الدافع لتأليفه وذلك إذ يقول (ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العَدْليّة• الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية كلّما رجعوا إلىّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحُجُب أفاضوا في الاستحسان والتعّجب واسْتُطيرُوا شوقاً إلى مُؤلفٍ يَضمّ أطرافاً من ذلك حتّى اجتمعوا إلى مقترحين أن أُمْلِي عليهم:

~ (الكشّاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) فالرجل معتزليٌّ داعيةٌ إلى الاعتزال حادب عليه مدافعٌ عنه بالذُّرا والكلاكل.

قال أبو طالب في لاميته التي مدح بها الرسول – صلى الله عليه وسلم:

حدبت بنفسى دونه وحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

- **الذّرا:** ما يستتر به، ويطلق أيضاً على النمل.
- **الكلاكل:** الجماعات أو ما غلظ واشتد {كناية عن أنه لم يدع **سلاحاً كبر** أو **صغر** في منازلة ومحاربة أعداء الاعتزال}.

يُسَمَّي (طائفة المعتزلة) بالفئة الناجية إذ أنّهم "أهلُ العدل والتوحيد"، ويسمي المناوئين لهم بالمبتدعة، ويرميهم **بالجهل والتقصير وسوء النظر**، وعنده أنّ اشرف العلوم، وأعلاها منزلةً عند الله علمُ أهل العدل والتوحيد ثم ينصح قائلاً ولا يغُرَنَّك عنه كثره أعدائه:

إنّ العرانينَ تلقاها محسّدة ولا ترى للئام الناس حُسادا

- **العرانين:** جمع **عرنين** – السادة الأشراف، ومن ذلك أن من له قيمة ومقداراً يكون هدفاً للحسد أما اللئيم الذي لا قيمة له فلا أحد يأبه له.

• اشارة الى المعتزلة فمن أصولهم الخمسة (العدل)

تدريب (9)



1. اشرح وصف الزمخشري للمعتزلة بأنهم:
الفئة الناجية العَدلية – ووضح مفهوم العدل لدى المعتزلة بعد الرجوع إلى مراجع علم الكلام.
2. ما معنى قوله: (ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه)؟

۞ وهو كثير الإجلال والإكبار لشيوخ الاعتزال يحكي أقوالهم في إعزاز قال في الكشاف:

(وقد صنّف شيخنا أبو على الجُبّائي) – قدس الله روحه – غير كتاب في تحليل (النبيذ) فلما شاخ، وأخذت منه السِّنُّ العالية قيل له:

لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسَمُج في المروءة.

فهو هنا أيضاً – أي الشيخ أبو علي الحبائي – يحتجُّ بأنَّ الشيء قد يكون حلالاً من طريق السمع ثم العقل يأباه – فمنهج الاعتزال يقوم على تقديم العقل كثيراً وقد سماهم البعض "بعقلاء الأمة".

➢ والزمخشري يحكم على الآية بأنّها: محكمةٌ أو متشابهة ⟵ وذلك وفقاً لما قرّره المعتزلة ⟵ من مبادئ وأُصول.

▲ فقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾ (القيامة: 22 – 23)

يعده – الزمخشري – من المتشابه الذي ينبغي أن يُردَّ إلى المحكم ⟷كقوله تعالى:

▲ ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾

(الأنعام: 103)

3.3 الكشاف والتفوق العلمي

۞ وكشّاف **الزمخشري** يمثّل قِمة نضوجه الفكري وذرْوة مَبْلَغِه من العلم، ففيه:

~ المباحث البلاغية والنحوية.

~ وفيه الاستشهاد بالشعر العربيّ القديم على ألفاظ القرآن ومعانيه ففي قوله تعالى:

➢ ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾ (ص: 31)

يقول الزمخشري: (الصافن الذي يجمع بين يديه ويستشهد على ذلك بقول الآخر:

ألف الصفون فما يزال كأنّه مما يقوم على الثلاث كسيرا

وفى تفسيراً قوله تعالى:

✓ ➢ ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يقول الزمخشري:

من أقام العود إذا قوّمه أو الدوام عليها والمحافظة عليها من قامت السّوق إذا نَفَقَتْ وأقامها قال:

أقامت غَزالة سُوق الضراب لأهل العراقين حولاً غميطاً

- **حولاً غميطاً**: أي حولاً جريداً كاملاً.

وفى تفسير قوله تعالى: ➢ ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ ﴾

✓ يقول الزمخشري وإدخال (لا النافية) على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم، قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامِريِّ لا يدعى القومُ أنّى أفرّ

۞ وفى كشاف الزمخشري كثيرٌ من القراءات المختلفة للنص القرآني الواحد ففي قوله تعالى:

➢ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الشعراء: 56)

يقول – الزمخشري – وقُرئ:

حَذرون – وحاذرون – وحادرون • بالدال غير المعجمة

والمعنى: وإنّما يفعل ذلك حَذَراً واحتياطاً لنفسه.

- والحادر السمين القوى، قال:

•آما حاذرون وحذرون فصحيحتان معروفتان واما (حادرون) بالدال غير المعجمة فشآذة ابن جنى / المحتسب /ج172/2

أُحب الصبيّ السُّوءَ من أجل أُمَّه وأبغضُه من بُغضها وهو حَادِر

۞ **والزمخشري في الكشاف** يورد بعض **الأحاديث النبوية**، ويستشهد بها في أثناء التفسير، فالسنّة – والعربية – والعقل كلّها عنده من أدوات التفسير وآلاته.

~ ومن أمثلة استشهاده بالحديث كلامه عن قوله تعالى:

۞ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (آل عمران: 173)

✓ يقول الزمخشري: الطاعات من جملة الإيمان لأن الإيمان اعتقاد وإقرارٌ وعمل –وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قلنا:

يا رسول الله! إن الإيمان يزيد وينقص؟!

قال: نعم يزيدُ حتّى يُدْخِلَ صاحبه الجنّة، ويَنْقُصُ حتى يدخلَ صاحبه النّار.

وعن عمر – رضي الله تعالى – عنه أنّه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدَدْ إيماناً.

وعنه أيضاً – أي عن عمر رضي الله عنه: (لو وُزنَ إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمّة لرجح به).

تدريب (10)

1. لماذا اعتبر الزمخشري قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ من المتشابه وردها إلى المحكم في تقديره كقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ ؟
2. والكشاف يكشف عن نضوج الزمخشري الفكري وتفوقه العلمي "ناقش".

▪ اتهام الزمخشري بوضع الأحاديث

هذا ولقد اتهم **الزمخشري** بأنه يثبت:

"الأحاديث **الضعيفة** و**الموضوعة** تأييداً لما يذهب إليه المعتزلة" من آراء وأفكار حيث قال فيه شاعر سُنيٌ:

فَيثبت موضوع الحديث تعَصباً لمذهب سُوْءٍ فيه أصبح مارقا

و**الزمخشري** قد يَعْرِضُ في تضاعيف تفسيره إلى بعض العلوم القرآنية الأخرى:

كالناسخ والمنسوخ – وأسباب النزول ومناسَبَة الآيات – وقد نجد فيه قصصاً وأساطير كحديثه عن الثعبان المبين الذي تحوّلت إليه عصا موسى – عليه السلام – وقد يَرجعُ فيه إلى الاسرائيليات ككلامه عن آدم، وحواء وبَدْءِ الخليقة.

۞ **والزمخشري** في كشافه مَيال إلى الإيجاز وخطم الكلام وزَمّه – أي لملمه أطرافه واختصاره – وهو كثيراً ما يلجأ إلى أسلوب المحاورة والمداورة والجدال والسؤال والجواب وصيغه (فأن قُلْتَ كذا قُلْتُ كذا) ←

صيغةٌ غالبة مستفيضة في تفسيره وهو ما يعرف عندهم بأسلوب (الفنقلة).

والزمخشري يهتمُّ في تفسيره بالناحية البلاغية، وإبراز وجوه الجمال في النصَّ القرآنيّ الكريم، ولو لم تكن فيه إلاّ هذه الحقيقة وحدها لكان جديراً بالبقاء خليقاً بالدارسة.

➢ والزمخشري بما له من قدمٍ في علوم الدين والقرآن، كثير التنبيه إلى أنَّ القرآن نزل بلغة العرب وأساليبها في التعبير فلا يجوز أن تؤخذ الألفاظ على الحقيقة إن كانت إنّما تعبر تعبيراً مجازيّاً ليس إلا➢

ففي قوله تعالى:▲ ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ • (المائدة: 64)

✓ يقول الزمخشري: (غُلَّ اليد وبَسْطُها **مجازٌ عن البخل والجود** ومنه قوله تعالى " ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تَبْسُطها كلّ البسط " **ولا يَقْصد من يتكلم** به إثبات **يدٍ ولا غُلَّ ولا بسط).**

▲وفى قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (القلم:42)

•المائدة /64- الزمخشرى / الكشاف ج35/1

يقول **الزمخشري**: (الكشف عن الساق مثل في شدة الأمر، وصعوبة الخطب، وأصلُه في الرَّوْع والهزيمة وتشمير المخّدرات – النساء في ستورهن – عن سُوقهن في الهرب، فمعنى (يوم تكشف عن ساق) يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثَمّ ولا ساق كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولةٌ ولا غُلّ ولا يد وإنّما هو مُثلٌ في البخل وأمّا من شبه فلضيق عَطَنه، وقِلّةِ نظره في علم البيان)•.

عزيزي الدارس،

خلاصة ما تقدم فإن منهج **الزمخشري** في التفسير إنما أسس بالإضافة إلى علوم القرآن والحديث والشرع على علوم العربية بالدرجة الأولى، لأن في – تقديره – إعجاز القرآن وبيانه يتأتى من فهم العربية والتعمق فيها وتناول القرآن على ظاهر الألفاظ فيه إسفاف وخطل عظيم وانحطاط في الفهم وضعيف الأفق وجهل عظيم بعلم البلاغة وأساليب العرب، ويؤول الأمر إلى العقم والحرمان من التلذذ بحلاوة القرآن وإدراك البعض من هذا الإعجاز العظيم وبلا حدود.

وفى قوله تعالى:

➢ ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ (الزمر: 67)

✓ يَجهرُ الزمخشري قائلاً: (**الغرض من هذا الكلام** إذا **أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصويرُ عظمته، والتوقيف على كُنْهِ جلالته لا غير**، من غير **ذهابٍ بالقبضة** ولا **باليمين** إلى **جهة حقيقية أو جهة مجاز**).

وفى فاتحة الكتاب يقف الزمخشري عند أول صورة من صور ما يسميه البلاغّيون ←——————— بالالتفات.

فقد مضى أوّل سورة الفاتحة في لفظ الغيبة ثُمَّ إلى الخطاب في الآية الكريمة﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ .

يقول **الزمخشري**: (فأن قلت لم عُدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟ قلت هذا يسمى الألتفات في علم البيان).

•**الزمخشري** / الكشاف ج131/130/4- ومنه قول الشاعر: أخو الحرب إن عضت به الحرب عضا وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ثم يمضى قائلاً: (وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرّفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظاً للأصغاء إليه من إجرائه على أُسلوب واحد)•

وفى موضع آخر من الكشاف يشير الزمخشري إلى الإلتفات واصفاً إياه بأنّه فَنٌّ من الكلام جَزْلٌ فيه هَزٌّ وتحريكٌ للسامع وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويَسْتهوى الأنفس للَقَبُول)•

والأمثلة على الالتفات كثيرة وذلك كقول نابغة بنى ذبيان:

وعيرتني بنو ذبيان خشيته وهل على بأن أخشاك من عار

أسئلة تقويم ذاتي

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة:

1. (...) وضع الزمخشري كتابه الكشاف لخدمة أهداف ومبادئ المعتزلة.
2. (...) أطلق المعتزلة على أنفسهم أسماء منها (أهل العدل والتوحيد) و (الطائفة الناجية) و (عقلاء الأمة).
3. (...) أبو علي الجبائي من أبرز شيوخ الاعتزال.
4. (...) النبيذ كان محللاً لدى المعتزلة.
5. (...) آيات العقيدة يفسرها الزمخشري ترتيباً على الرواية فقط.
6. (...) يلتزم الزمخشري أصول ومبادئ الاعتزال في تفسير آيات العقيدة.

•**الزمخشري** / الكشاف / ج10/1.

ولم يقل أخشاه فعدل عن الغيبة إلى الخطاب

7. (...) تفسير الكشاف يمثل قمة من قمم النضوج الفكري والعلمي.
8. (...) يُعد الكشاف تفسيراً عادياً لا يخرج عن كونه اعتنى بالنواحي اللغوية.
9. (...) أغفل الكشاف الاستعانة بالرواية والآثار تماماً في التفسير.
10. (...) الدليل على بلاغة الزمخشري وتضلعه قدرته الفائقة على الإيجاز مع الوفاء بالمعنى.
11. (...) وعني الكشاف بإبراز العلوم القرآنية واللغوية من خلال التفسير.
12. (...) أكد الزمخشري على ضرورة البلاغة والمجاز بصفة خاصة في تأويل كثير من الآيات وإلا وقع المرء في التشبيه والجهل الفاضح.
13. (...) أبرز أحياناً المعاني البعيدة وكشف عن المغزى دون اللجوء إلى المجاز والبلاغة وكان مقنعاً غاية الإقناع.
14. (...) يصر الزمخشري بأن اللغة العربية وعلومها هي المنطلق والجوهر في تفسير القرآن بل هي الكاشفة عن إعجازه والمبلغة لمراميه وسَبْر أغواره.

۞ ومهما قيل في الزمخشري وكشافه، ومهما أكثر أعداؤه في ذمَّه فما هم بمسُتَطيعينَ أن يُنْكِروا فضله في:

~ الكشف عن بلاغة القرآن واستشفاف جماله في الأداء. يقول ابن خلدون وهو من الطاعنين في المعتزلة:

(قد يكون التفسير اللسانيّ غالباً على بعضهم ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفَنّ من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل الاعتزال في الاعتقاد فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة فحذّر المحقّقون من أهل السنة الجمهور منه مع إقرارهم برسوخ قدمه في اللسان والبلاغة إلاّ أن من يحسن المذاهب السُّنية ينبغي ألاّ يفوته الوقوف عليه).

هذا ولقد اعتد به كثير من المفسرين المتأخرين **كالبيضاوي وأبى السعود** و**فخر الدين الرّازي، ونظام الدين النيسابوري والسيوطي**. وأقر هذا الأخير بفضله وتقدّمه وتبريزه وبكلامه نختم سائلين الله الصفح والغفران قال رحمه الله (محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي، اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر يُلَقّبُ جار الله لأنّه جاور بمكة زماناً. ولد بقرية زمخشر، وكان متظاهراً بالاعتزال، داعية له. له التصانيف البديعة منها الكشاف في التفسير، الفائق في الحديث، وأساس البلاغة، والمُفَصل في النحو مات سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة)•.

نشاط



1. عُد إلى تفسير الكشاف واطلع على تفسير بعض السور والآيات، وعبر عن انطباعك الشخصي عن هذا التفسير من حيث البلاغة واستيفاء المعنى والكشف عن المراد من الآية.
2. قارن بين منهجي الطبري والزمخشري في التفسير بحسب ما استوعبته من هذه الوحدة.
3. اعرض إنجازك على المشرف الأكاديمي والزملاء للمناقشة وإثراء النشاط.

•السيوطي / طبقات المفسرين

الخلاصة

تناولت الوحدة الفائتة ثلاثة نماذج من رجال التفسير هم:

- **أبو عبيدة معمر بن المثنى (110 – 210)هـ –**

يُعد هذا الرجل مثالاً لمنهج " التفسير اللغوي " فهو أول من ألف في مجاز القرآن، ويعتبر كتابه (مجاز القرآن) سابقاً في هذا الباب، وعلى الرغم من أن بعضهم شنَّع عليه، بعضهم وحرّم قراءته ودراسته إلا لنقده وبيّن انحرافه إلا أنه ينطوي على فائدة علمية عظيمة حيث كشف عن بلاغة القرآن وإعجاز لغته. وعلى الرغم من هذا المنحى الذي أفاد منه التفسير كثيراً ولو في جانب اللغة، إلا أن البعض عده انحرافاً وتجاوزاً لمنهج التفسير إذ لم يهتم الرجل بالحديث والرواية إلماماً، ولم يتدبر مواطن العظة والعبرة المبثوثة في آيات القرآن، وما أعظم فوائد القرآن الروحية والتعبدية وحَرياً بالمفسر أن يكشف عن ذلك، أما الاستطراد اللغوي وحشد أبيات الشعر وأمثلة العرب فمكانها كتب الأدب واللغة والبون شاسعٌ بين مرامي وجوهر وقدسية التفسير وبين البراعة اللغوية.

- أما النموذج الثاني: **أبو جعفر محمد بن جرير الطبري** فقد جاء بعد أبى عبيدة في الفترة من (224 – 310) هـ فقد أدركه في العقد الأخير من حياته، ولد في طبرستان وبها تُوفي ومنها جاءت نسبته (طبري).

- الطبري ملأ الآفاق شهرةً وذكراً وصيتاً، وكان عالماً حاوياً لعلوم النقل والعقل، ولكنه التزم نهج المأثور، واجتهد وجاهد في أن يجد لكل آيات القرآن أثراً من المأثور، فكان بحق عَلَماً في التفسير بالمأثور. جاء كتابه الجليل (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) فريداً في بابه، فذاً في مجاله فهو العمدة لمن جاء بعده من التفاسير، وهو يعد شيخ المفسرين الذي تجول في كل أنحاء الدول الإسلامية من بغداد إلى الكوفة إلى البصرة إلى القاهرة وبيروت، وتتلمذ على الأعلام مثل الشافعي والحفاظ مثل محمّد بن حميد الرازي، وأحمد بن حماد الدولابي، وأبى كريب محمد بن العلاء الهمداني.

اتهم أيضاً من معارضيه وحاسديه على وضع الأحاديث وتأييد مذهب الشيعة.وكل ذلك لا دليل عليه ولا برهان لهم به، كَتَبَ في الفقه والأخبار وكان له مذهب فقهي خاص به يطلق عليه الجريري.

• أما النموذج الأخير من الرجال **فهو جار الله أبو القاسم محمّد بن عمر الزمخشري** (467 – 538) هـ – ولد بقرية زمخشر (بخوارزم) وإليها نُسب الرجل، وكان معتزلياً متشدداً يعتز بلا حدود بهذا المذهب بل ذكر بأنه: ألف الكشاف من أجل المعتزلة والاعتزال ويرى أنهم الفرقة الناجية.

من أبرز شيوخه الذين أثروا فيه أثراً بالغاً محمود بن جريري الضبي الذي كان علماً في العلم والفكر والأدب وكان فضله على الزمخشري كثيراً كما يقر الزمخشري بذلك، وهو الذي غذى الزمخشري بالاعتزال.

كان الزمخشري عالماً قوي الحجة، طويل الباع في علوم النحو والبلاغة فقد شرح (لامية العربية)، وألف معجماً لغوياً سماه (أساس البلاغة) وألف في غريب الحديث كتاب (الفائق) وجاور مكة وأخذ لقبه جار الله من هذا الجوار ثم زار بغداد واليمن وغيرهما.

أما الكتاب الذي صب فيه خلاصة علمه وحجته الباهره، وكشف عن عميق إيمانه بمذهب الاعتزال فهو كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) وقد أسسه على علمي البيان والبديع.

يمكن القول أن **الزمخشري** ينهج اسلوباً قائماً بذاته في التفسير ارتكز فيه بالأساس على البلاغة، لكنه لم يهمل العلوم القرآنية والاستدلال بالحديث وطرح فيه قضايا علم الكلام منافحاً بشدة عن عقيدة الاعتزال – فهذه المدرسة جمعت بين اللغة والعقل والنقل، فهي لم تهمل العلوم الشرعية من علوم قرآن وحديث وقراءات وعلم كلام، لكنها اعتمدت المنهج العقلي في التفسير اعتماداً كبيراً ولذلك جاء حقاً كاشفاً عن حقائق التأويل، ويعد الكشاف ثروة عظيمة أشاد بقيمته وعلو مكانته علماء أفذاذ منهم **جلال الدين السيوطي**.

لمحة مسبقة عن الوحدة التالية

سورة الحجرات من السور المدنية الجليلة التي تجد فيها من الآداب والأخلاق القرآنية الكثير، ومن التشريعات الاجتماعية والمعاني الإنسانية الراقية ما لو وعاه والتزم به الناس لعاشوا في نعمة وأمن وسعادة وحياة تليق بالبشر، فتجدها بدأت بتعليم الناس بالالتزام بالتشريع الإلهي وعدم التطاول عليه، ثم الأدب مع الرسول الكريم ووجوب توقيره وتقديره حق قدره، وتعرضت لكل ما يؤدي إلى الكراهية والتباغض مثل السخرية والغيبة والظن واختتمت كل ذلك بتعريف البشر بأصلهم الواحد، وعليه فلا يتأتى لأحد أن يسخر من أحد، ثم تعرضت لأمر جلل حيث فرقت بين الإسلام والإيمان وكشفت عن أن الإيمان أعمق وآكد وأنه مرتبة متقدمة يتمخض عنها البذل والتضحية بالنفيس والغالي – هذه السورة جعل منها المعد نموذجاً حياً لمناهج التفسير التي درستها آنفاً.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

مرد ذلك إلى:

1. أ) ذكائه وفطنته وما حباه به الله من طموح وحب للعلم.
   ب) بيئة البصرة التي ترعرع فيها والتي كانت تعج بالعلم والعلماء والأعلام.
2. • **مباءة العلم:** أي المكان الذي اتصف بالعلم من الفعل (تبوأ) أي سكن، فمن شدة إتصاف البصرة بالعلم فكأنما أصبحت له سكناً ومقراً – فقد كانت المرجعية ومظلة العلم وقبلة طلابه.

• **الأساتذة الاثبات:** الثبت في كل علم وفن هو الثقة الواسع الضليع في علمه ومعرفته، فهو راسخ القدم وثابت الجذور لا تزعزعه المؤثرات مهما قويت كالضعيف أو المبتدئ في علمه.

• **أثار حفيظة معاصريه:** أي أثار غيرتهم وبغضهم وحسدهم نتيجة تفوقه عليهم، وحفيظة النفوس هي عبارة تشير إلى جانب الشر في النفس الإنسانية مما يكبته الإنسان ويحاول السيطرة عليه، ولكن النفوس قد تثور وتندفع وترتكب ما ترتكب لأسباب شتى منها الغيرة والتنافس والحسد وحب الانتصار على الآخر، أو في حالة الإهانة أو الاعتداء بأي شكل من الأشكال.

• **ازدرى بشعره:** احتقره واستهان به وقلل من قيمته.

• **التنويه به:** الإشادة به وتقريظه إعجاباً به.

تدريب (2)

1. أبو عبيدة معمر بن المثنى هو من الأوائل في هذا الباب إن لم يكن الأسبق، ومن شأن المبتدع السابق أن يكون عرضةً للذم والتشنيع والهجوم، وقد يجد من يمدحه ويبالغ في إطرائه ويستحسن ما أضاف، وبما أنه تصدر هذا المنهج الذي مال به كل الميل عن الرواية والنقل إلى اللغة فقد رآه العلماء بدعاً في الدين وخطراً على منهج التفسير ألصق العلوم بالقرآن، وقد يفتح باباً بذلك يتبعه فيه الكثير وينصرفون عن مصادر التفسير

الأولى القرآن والسنة وما أثر عن الصحابة والتابعين فينحرفون انحرافاً بعيداً ويشططون أيما شطط.

2. الكتاب على ما قيل فيه فأنه لا يُنكر انه سابق في مجاله – له قيمة علمية ثمينة، وهو أول كتاب جُمع في القرآن ومعانيه، ولقد أفاد كثيراً في الكشف عن الإعجاز البلاغي في القرآن، وأول من نبه إلى مجالات (المجاز) (والالتفات)، وأبواب البلاغة الأخرى، فشكل بذلك تراثاً نافعاً وثروة عظيمة في بابه، وهذا إنجاز عظيم وخدمة كبرى للقرآن والتفسير لأن اللغة العربية من مصادر التفسير الرئيسة، وفهمها والتعمق فيها يفتح الآفاق لفهم أدق وأوسع للقرآن الكريم.

تدريب (3)

التحليل اللغوي وضرب الأمثال والاستطراد في بيان المعاني اللغوية، والاستشهاد بالشعر كان الهم الأكبر **لأبى عبيدة**، ولم يلتفت كثيراً إلى العلوم القرآنية والأحاديث النبوية والمرويات عن الصحابة وغيرهم، كما لم يهتم بمواطن العظة والعبرة وكل ذلك من الأهمية بمكان في تفسير القرآن، والاستفادة منه.

تدريب (4)

أ) حُب الطبري للعلم والمعرفة والشغف العظيم به، مما دفعه إلى أن يترك أسباب الدعة والترف ورغد العيش إلى الهجرة في أركان الدولة الإسلامية طلباً للعلم.

ب) الصبر على رجل فظ جافي الطبع مثل أبا كريب محمد بن العلاء الهمداني دليل قوي على رغبته الأكيدة للعلم وحبه والسعي الحثيث في طلبه.

ج) التقوى والورع والعمل بعلمه، لأن من يخاف الله حق خوفه ينبغي أن لا يتهيب بشراً مهما كانت مكانته وصفته وامكاناته، أو يطمع فيما عند السلطان فيتملقه ويتذلل إليه فيُفسد بذلك دينه.

تدريب (5)

- الروافض هم الشيعة.
- أشهر عقائدهم المنفرة: اتهام كبار الصحابة رضوان الله عليهم بالنفاق وبخيانة الله ورسوله ووصفهم بالطاغوت، واتهامهم بإخفاء الحق الذي وحى به الرسول – صلى الله عليه

وسلم – حسداً وظلماً لسيدنا علي كرم الله وجهه. وتجرأهم على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها وأرضاها.

- أن القرآن الحقيقي بأيد آل البيت، وأن هذا القرآن الذي معنا أسقطت منه الكثير من الآيات تآمراً من بعد الصحابة لتغويت الحق على سيدنا علي كرم الله وجهه.
- أن كثيراً من الأحاديث الصحيحة الثابتة عندنا موضوعة وكذب وافتراء على الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأن في اعتبارهم الكثير من رواة الأحاديث من الصحابة منافقين ووضعوا الأحاديث لخدمة مصالحهم.
- عصمة آل البيت تماماً مثل الأنبياء سيما الأئمة الذين انحصرت فيهم الإمامة الكبرى في اعتقاد الشيعة الأثناعشرية.

تدريب (6)

إن من جهل شيئاً لا يعرف قيمته فالتأويل (أي التفسير إذ لا فرق بينهما عند الطبري) هو السبيل الوحيد لمعرفة قيمة القرآن وإعجازه ويستلذ بثمراته، أما مَنْ جهل معانيه وأعياه عن فهم آياته فأنى يجد المتعة في مدارسته وتلاوته.

تدريب (7)

أبو عبيدة جعل من اللغة عمدته وركيزته وركنه الركين الذي يأوي إليه ولم يأبه كثيراً إلى مصادر التفسير الأولى بالرعاية والعناية **(القرآن والسنة)**، أما **الطبري** فقد اعتمد الطريق السليم وهو اعتماد المأثور أولاً ثم اللجوء إلى اللغة كإضافة وتدعيم لمنهج السلف في التفسير.

تدريب (8)

1. تضافرت عوامل عدة في نبوغ الزمخشري وعلمه الواسع.
   أ) أسرته التي امتازت بالدين والروع والتقوى.
   ب) همة الزمخشري وطموحة وذكائه الواضح.
   ج) وفرت له الظروف أساتذة كبار لهم الباع الطويل في العلوم الشرعية وفي مقدمتهم **محمود بن جرير الضبي الأصفهاني** وكان معتزلياً ولقد أثر فيه تأثيراً بالغاً.

2. مؤسس المعتزلة هو **واصل بن عطاء** – وكان تلميذاً عند **الحسن البصري**، ولقد ورد سؤال في المجلس عن: حكم مرتكب الكبيرة هل هو كافر أم مسلم؟ فكانت الإجابة بأنه مسلم عاصٍ، فاعترض **واصل** على هذه الإجابة، وقال: أما أنا فأقول إنه ليس بمسلم ولا كافر بل في منزلة بين المنزلتين وهو مخلدٌ في النار، ثم اعتزل بعد ذلك واصل مجلس **الحسن البصري**، وانفرد بمجلس خاص به، فعلق **الحسن البصري** على ذلك بقوله: (اعتزلنا **واصل**) فسأطلق عليهم من ذلك الحين اسم (المعتزلة).

واعتمدوا العقل اعتماداً لا حياد عنه في تأويل النصوص سيما آيات العقيدة والمتشابه فيها وبرزوا في علوم الجدل والمنطق والعلوم العقلية مثل أصول الفقه وعلم الكلام، وملئوا الدنيا ضجيجاً سيما أيام **المأمون** إذ كان مؤيداً لهم، ومن ما يحمد لهم أنهم تمكنوا من الرد على أصحاب الفلسفات الشعوبية الدخلية الذين لا يحتكمون إلى القرآن، وإنما يعالجون الأمور معالجة عقلية بحته، لذا سماهم البعض (بعقلاء الأمة)، ومن المعلوم أن القرآن والوحي فوق العقل ولا يمكن تطويع الدين للعقل وإنما الواجب الاستسلام والتسليم لعلم الله المحيط بكل شيء وحكمته البالغة.

- لا تزال مبادئ الاعتزال في العقيدة متمثلة في المذهبين الشيعي والإباضي (الإباضية فرقة من فرق الخوارج منتشرة اليوم في سلطنة عمان وليبيا وجزءاً من تونس والجزائر).
- من أبرز علماء المعتزلة **واصل بن عطاء** – النظام – **أبو علي الحائي والجاحظ الأديب العلم**، وكان من أتباعهم **أبو الحسن الأشعري** فلقد كان بداية أمره معتزلياً ثم إنشق عنهم وأسس المذهب الأشعري الذي يكاد ينتظم العالم الإسلامي اليوم.

تدريب (9)

1. **يعني بقوله هذا إنها الفرقة الناجية** التي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: (ستفترق أمتي ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار عدا واحدة هي الناجية) أو كما قال.

أما قوله (العدلية) لاشتهار المعتزلة بمبدأ (العدل) وهو في مفهومهم وجوب (العدل) على الله تعالى، ووجوب أن يفعل بعباده الصلاح والأصلح تعالى الله عن ذلك علواً عظيماً – وهذا مما يُعد من أعظم مواطن الزلل والسقوط العظيم لديهم، فالله الكبير المتعال لا يُتصور ولا يُتخيل أن يكون في حقه تعالى ذلك ولا يتسنى للإنسان الحق الضعيف أن

يتفوه بمثل هذا، فهو الكبير المتعال القاهر فوق عباده صاحب الأمر والنهي ذي الطول شديد المحال يفرض ويتصرف في ملكه أنّى شاء، وهو من بعد الحق والعدل الكامل وأحكم الحاكمين.

2. أي لا يصرفنك عن المعتزلة والتذهب على مذهبهم كثرة أعدائهم.

تدريب (10)

1. لأن **الزمخشري** إذا فسر الآية على حقيقتها الظاهرة التي لا لبس فيها والتي لا حاجة فيها للتأويل (لأن التأويل يكون عند الضرورة) ستتعارض مع مذهبه القائل بأن الله لا يُرى أبداً لا في الدنيا والآخرة بحسب القياس العقلي لديهم: أن كل من يرى فلا بد أن يكون جسماً والجسم لا بد أن يتحيز مكاناً فالخير والتجسيم والزمانية والمكانية هي من صفات الحوادث وجميع المخلوقات وبالتالي إذا فسر الآية بحسب ظاهرها سيدخل في التشبيه والتمثيل والتجسيم الذي ينافي كل المنافاة صفات الله تعالى المتفردة كما وصف ذاته العلية بقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى: ١١) وهم يسعون بذلك إلى المبالغة في تقديس وتنزيه الله تبارك وتعالى.

ومن البدهي أن أحكام الآخرة تختلف بالكلية عن أحكام الدنيا، ومن المؤكد أيضاً أنه لا يمكن للإنسان أن يدعي بأنه ينزه الله أكثر مما نزه به نفسه، وفي الدعاء "**رب لا أحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**".

2. الزمخشري صب خلاصة علمه في البلاغة والأدب والشعر وكل علوم اللغة والعلوم الشريعة ومذهبه في علم الكلام (الاعتزال) في كتابه (الكشاف) فأتى جامعاً وافياً وشاهداً على نضوج هذا الرجل وسعة علمه وباعه الطويل في علوم شتى، وأضحى الكشاف – على ما فيه – لا غنى عنه لطالب علم أو عالم مهما كان معارضاً لطريقته ناقداً لها ولقد أشاد به الكثير من أهل العلم والدراية بل من فطاحل العلماء مثل السيوطي على سبيل المثال لا الحصر.

مسرد المصطلحات

❁ **المأثور:** الأثر في اللغة يعني ما بقي من رسم الشيء.

وفي الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي ﷺ والصحابة والتابعين.

❁ **الحديث المرفوع:** هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو صفة، سواء كان متصل إلى الإسناد أم منقطعاً عنه، وسواء كان الراوي صحابياً أم تابعياً أم غيرهما: فينظر في رفعه إلى رسول الله ﷺ، ولا ينظر إلى إسناده.

- **الرفع الصريح:** ما كان الرفع إليه – صلى الله عليه وسلم – صريحاً مثل قول الصحابي: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: كذا، أو قال رسول الله ﷺ كذا، أو حدثنا بكذا).
- **الرفع حكماً:** ويمثل له قول الصحابة فيما يتعلق بأمور الدين والغيب مثل أحوال الأنبياء وأشراط الساعة والأمور التعبدية إذ الصحابي لا يقول ذلك إلا توقيفاً عن الرسول ﷺ.

مثاله: قول أحد الصحابة: كنا نقول ذلك أو نفعل ذلك على زمن رسول الله ﷺ – فإن هذا يدل على أن الرسول ﷺ أقرهم عليه – فهو سنة تقريرية – فالرسول ﷺ لا يسكت على باطل.

❁ **الضعيف:** هو كل حديث لم تجتمع فيه صفات القبول، وعرّفه (ابن الصلاح) فقال: "كل حديث لم يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحديث الحسن فهو ضعيف" وبعبارة أخرى إذا فقد صفة أو أكثر من صفات القبول مثل:

1. اتصال السند.
2. العدالة (عدالة الرواة).
3. الضبط.
4. عدم الشذوذ.
5. عدم العلة.

المراجع

1. المثنى، **أبو عبيدة معمر بن المثنى التّيمي** تـ (210هـ)، **مجاز القرآن**، مكتبة الخانجي – القاهرة.
2. ابن حزم، **أبو محمّد علي بن أحمد** تـ (456هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنَحِل**، الطبعة الأولى (1317هـ) القاهرة.
3. الطبري، **أبو جعفر محمّد بن جرير** تـ (310هـ)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، المطبعة اليمنية.
4. الزمخشري، **أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي** تـ (538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة – بيروت.


الوحدة الخامسة
نموذج من التفسير
(سورة الحجرات)

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**233**
تمهيد	233
أهداف الوحدة	234
1. الأدب مع الرسول ﷺ الآيات (1 – 5)	**235**
2. التثبت في تلقي الأخبار	**243**
3. الآداب الاجتماعية الراقية في سورة الحجرات	**249**
1.3 إصلاح ذات البين	249
2.3 توقير الآخر من توقير الذات	251
3.3 الظن وما أدراك ما الظن	255
4.3 الغيبة	256
4. الإسلام... والإيمان	**259**
الخلاصة	**266**
إجابات التدريبات	**268**
مسرد المصطلحات	**271**
المصادر والمراجع	**272**

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس – مرحباً بك إلى هذه الوحدة الرابعة،،

بعد أن علمت الكثير من معاني التفسير ونشأته وتأريخه ورجاله، ما استعرضه لك هذا المقرر (الذي يفيض بالعلم والمعلومات الوافرة) من مناهج المفسرين وطرائقهم في تناول آي القرآن، ها نحن نقدم لك تطبيقات ونموذج للتفسير من خلال سورة الحجرات التي تجد فيها من علوم القرآن، أسباب النزول لكثير من آياتها، وتتعرف على ألوان من الآداب والسلوك القويم في التعامل مع هذا الرسول الكريم – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – ليصبح ديدناً ونهجاً لا تحيد عنه في معرفة مقام الرسول – صلى الله عليه وسلم – وكيفية التعامل معه. فالرسول – صلى الله عليه وسلم – المثل الحي الذي تحتذى به والأدب النبوي الجمّ الذي نترسمه، يدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الدين لمعاملة) وقوله صلى الله عليه وسلم: (أنزلوا الناس منازلهم) أو كما قال. ثم تستعرض الآيات التي تعلمنا كيفية إلقاء الأخبار وتلقيها في ضوء تعاليم الإسلام المجيدة، والتريث في استجلاء حقيقتها لأن التعجل وعدم التثبت فيها يترتب عليه مفسدة وأي مفسدة. وينجم عنه خراب عظيم. ونحن في هذا العصر– عصر الإعلام الطاغي – ما أحوجنا لذلك الأدب. أما حقوق الإنسان والحفاظ على حرماته وكرامته وتجنب إيذائه فهو خلق القرآن، ودعوة الإسلام الراقية المثلى التي لا تضاهى. هذا ما يستفاد من هذه السورة.

وتتجلى السورة في عرض ثمراتها العظيمة فتكشف لنا حقيقة الإيمان وعظمته، وأنه النعمة الكبرى التي لا تدانيها نعمة، وهي في حقيقتها توفيق من الله – تبارك وتعالى – الحنّان المنّان على العالمين. وأنّى لنا أن نؤدي واجب الشكر والثناء والتمجيد له تعالى على أدنى النعم، فضلاً عن نعمة الإيمان.

والوحدة تحفل بألوان المناشط والتنبيهات ومواطن الالتفات من تدريبات، وأسئلة تقويم ذاتي، وعلامات ورموز شتى، كل ذلك ليكون عوناً كافياً شافياً يعينك في تعلَّمك الذاتي. ثم الرجاء في الله تعالى من قبل ومن بعد في النجاح والسداد.

فلا تتوانى عزيزي الدارس، في دراستها بعقل واعٍ، ونظر ناقد، وبصيرة فاحصة ولا تعجل لبلوغ آخر الشوط، فالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

مرحباً ثم مرحباً بك إلى الوحدة الأخيرة.

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس،

بعد فراغك من دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1. **تَشرح** سبب نزول السورة عامة، وبعض آياتها خاصةً.
2. **تُحدِّد** موضوعات السورة الرئيسة.
3. **تُعبِّر** عن المعاني السامية والرقي الإنساني المستفاد من هذه السورة العظيمة.
4. **تُفرِّق** بين الإسلام والإيمان وتوضح التداخل بين هذه المعاني العقدية.

توطئة

سورة الحجرات من **السور المدنية وهي ثماني عَشْرةَ آيةً**. فيها **ألوانٌ** من **التهذيب الرفيع، والتأديب البالغ** الذي أخذ به سبحانه وتعالى المؤمنين، وأرشدهم فيه إلى **السلوك القويم، والاتجاه السّوِي في معاملتهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) ومخاطبتهم له وعلاقة بعضهم ببعض**، وكشف لهم سبحانه عن السبيل الذي إن اتبعوه بلغوا منه سبحانه رضواناً ومغفرة وأجراً عظيماً.

1. الأدب مع الرسول ﷺ (الآيات 1 – 5)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾ (الحجرات: 1)

استهلها سبحانه بهذا **النداء الأبدي الخالد الذي يتردد صداه ما بَقى مؤمن يقرأ القرآن فيخشع** له **قلبه، ويستشعر** أنه هو **المنادى المعني بهذا النَّداء الإلهي الكريم** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾

۞ نهى الله سبحانه وتعالى أن يفتئت جماعة المؤمنين عليه وعلى رسوله جرأةً وتطاولاً، وطلب منهم أن يتأنوا ولا يتعجلوا في أقوالهم وأفعالهم حتى يعلموا حكم الله ورسوله.

- فالمؤمن لا يسبق **الله ورسوله** بأمر من الأمور وإنما هو متبع لا خيرة له، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾ (الأحزاب: 36)

فإذا كان واجب المؤمنين الاتباع لأوامر الله، والانقياد لأحكام الرسول – صلى الله عليه وسلم – فما يكون لهم إن يبادروا ويسبقوا ويقدموا بين يدي الله ورسوله.

وكان النهج الفكري الذي اختطه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أن يبدأوا **بالقرآن الكريم – فالسنة النبوية – ثم يجتهدون رأيهم غير** مقصرين في جهدٍ ولا طاقة، ولعل في ذلك التزاماً صارماً لا حياد عنه في الاتباع وعدم تخطي رسول الله قيد أنملة.

- روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه قالوا:

(بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – **بمعاذ بن جبل** إلى اليمن، وقال له:

~ **بم تحكم ؟ قال بكتاب الله.**

~ قال – صلى الله عليه وسلم: فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

~ قال (صلى الله عليه وسلم)**: فإن لم تجد** ؟ قال رضي الله عنه **أجتهد رأييّ ولا آلوا.**

فضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في صدره، وقال: **(الحمد لله الذي وفق رسولَ رسول الله لما يُرضي الله ورسوله).**

فالاجتهاد والرأي والنظر لا ينبغي أن يسبق القرآن والسنة، والقرآن والسنة **متبوعان** لا **تابعان..** ومن يقدم رأياً ونظراً واجتهاداً قبل البحث في الكتاب والسنة يدخل ضربة لازم فيما نهى الله عنه من التقديم بين يدي الله ورسوله.

ولا شك أن **جمهرة المسلمين اليوم يقدمون على ما يقدمون من أقوال وأفعال غير ملتفتين إلى كتاب ولا سنة** وهم **بهذا التصرف داخلون فيما نهى الله عنه في مستهل هذه السورة الكريمة حين قال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾

تدريب (1)

1. وضح معنى "لا تقدموا بين يدي الله ورسوله" بدقة وبلغتك الخاصة بعد هذا العرض المتقدم؟ وماذا أوحى لك عطف الرسول على لفظ الجلالة تبارك الله تعالى.
2. إلامَ يشير قوله تعالى "وَٱتَّقُوا ٱللَّهَۚ " الذي أعقب المنع القاطع بعدم التقديم على الله ورسوله؟

وتقوى الله عز وجل (وهو السميع لأقوالنا، العليم بأحوالنا المطلعٌ على سرائرنا) من شأنها أن تحول بيننا وبين الوقوع في المهالك، وهى ناهية عن التقدمة بين يدي الله ورسوله وذلك لأن التقي يكون خائفاً وجلاًُ مترقباً لا يشافه أمراً إلا عند ارتفاع الريب، وانجلاء الشك فى أن لا تبعة عليه فيه، أما الفاجر فهو ركاب للمخاطر لا يبالي شيئاً فيما يأتي ويدع لا يصُده خوف ولا يلجمه ورعٌ، ولا تكبحه تقوى. جاء في الحديث:

(إن المؤمن تتمثل له ذنوبه كأنها **جبل مُطل يوشك إن يقع به** و**الفاجر يتمثل** له **ذنوبه كذباب طار بأنفه** فقال به هكذا **إشارة إلى طرده ودفعه وذبَّه فالذنب خفيف** على **الفاجر** لا يبالي به ، وهو **ثقيل** على التقي **ينقض ظهره، ويثقل كاهله).**

- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ (الحجرات :2)

يجدد سبحانه وتعالى النداء ويعيده لعلة بلاغية نفسية ذكرها الزمخشري في كشافه فقال: **(إعادة النداء** عليهم **لتجديد الاستبصار** عند كل **خطاب وارد، وتطرية الإنصات** لكل حكم نازل، **وتحريك** منه لئلا **يغفلوا** عن **تأملهم).**

۞ وهذا تأديب آخر أخذ الله به المؤمنين فبعد أن نهاهم إن يقدموا بين يدي الله ورسوله عاد ليأمرهم:

~ بخفض الصوت وغضه بين يدي **صاحب الرسالة** – صلوات الله وسلامه عليه – وعند **حضور مجلسه.** وفى **تعظيم صاحب الرسالة تعظيم لما جاء به من عند ربه.**

سبب النزول: قد روى أنها نزلت في **أبى بكر** و**عمر** حين رفعا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصواتهما حين قدم ركب **بني تميم** فاختلفا في مسالة من المسائل ورفعا أصواتهما فوق **صوت النبي** – صلى الله عليه وسلم، **فنزلت الآية الكريمة** ترشد وتعلم وتنبه إلى شيء **عزيز غفل عنه الشيخان الكريمان رضوان الله عليهما.**

۞ روى **البخاري** – رضي الله تعالى عنه – قال فما كان عمر يسمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد هذه الآية حتى **يستفهمه.....** فانظر – عزيزي الدارس:

كيف تكون الاستجابة لنداء الله، والتنفيذ لأوامره، والقيام بأحكامه فعمر وهو من هو في **جهارة صوت، وعلو كلام** لا يسمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد هذه الآية حتى يستفهمه**!!!**

أو تظن إن الصحابة كانوا سيبلغون ما بلغوا عظمة، ومجداً ورفعةً، وسناءً لولا هذه الاستجابة التي لا تعرف تردداً، ولا تقف أمامها عقبة ؟

عمر يُكلم الرسول كأخي السرار لا يسمع حتى يستفهمه، **وأبو بكر إذا قدم** وفدٌ أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون، ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله – صلى الله علي وسلم – **وثابت بن قيس بن شماس** وكان **خطيباً مفوهاً صيتاً، رفيع الصوت جهيرة،** يبقى في بيته منكساً رأسه حتى يفتقده الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيقول الرجل:

~ (أنا من كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله حبط عملي فأنا من أهل النار فيقول له الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – بل أنت من أهل الجنة قال **أنس:** فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة).

۞ نزلت الآية الكريمة تُعلِّم المؤمنين إن للنبوة حُرمة تُرعى، وجلالاً يصان، ومحلاً يحفظ فما يكون لهم أن يجهروا له بالقول ويخاطبوه بما يخاطب به بعضهم بعضا فهذا مما يؤدي إلى حبوط العمل وبطلانه، تقول: (حبط عمل فلان) إذا بطل بطلاناً مطلقاً لا صحة معه ولا صلاح.

وقوله: ﴿ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ مماثل لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ وهذا من **مواضع تفسير القرآن بالقرآن.**

تدريب (2)



1. اطلع على الفقرات السابقة، ومن خلال دراستك لبعض مناهج التفسير، وضح النهج الذي اتبعه المفسر في تفسير الآيات السابقة.
2. هل يسري الأمر بعدم الجهر بالقول في حضرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى؟ وكيف يكون ذلك؟

وقوله تعالى:

▲ ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ يفتح على التقيّ باب خوف كبير يجعله يحترز ويتوقى **ويتحفظ** وهذا **دأب** كل ورعٍ متحوط. ثم بين سبحانه:

فضل من يعرف للنبوة قدرها ومقامها، وما سيدخر له من المغفرة الواسعة، والأجر الربيح فقال تعالى:

▲ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

وأصل الغض: الكسر والخفض، تقول غض فلان صوته إذا **خفضه وكسر** من **جهره وحدته،** وفي القرآن:

▲ ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان:19)

انظر عزيزي الدارس، كيف يستعين المعد بالقرآن في توضيح الآية، وهذا نهج في التفسير يسمى .....(أكمل)؟

ومن معاني الغض أيضاً غض الطرف، وهو أن تكفكف من غربه وغلوائه، وأن تكبح من جموحه وطموحه فهو فعل الورعين المتحرجين، قال تعالى:

▲ (﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ

وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور: ككا - ككا)

- **وغض الصوت** ← **هو علامة الحياء وحسن الأدب،** وأولئك الذين أمرهم ربهم، فامتثلوا أمره، وغضوا أصواتهم في مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم- **موقرين له معززين مكبرين** قوم **مجربون ممتحنون.** عرف الله منهم التقوى وهى ذات تكاليف بواهظ وأحمال ثقال تحتاج إلى ضروب من الدربة وألوان من المكابدة، وأصناف من البلاء. ولقد كتب أحدهم إلى عمر بن الخطاب يسأله قائلاً:

~ يا أمير المؤمنين رجل **لا يشتهي المعصية** ولا **يعمل بها أفضل** أم **رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟**

فكتب عمر - رضي الله عنه - يقول:

~ إن الذين **يشتهون المعصية ولا يعملون** بها أولئك **الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم.**

أسئلة تقويم ذاتي



زاوج بين القائمتين (أ) و (ب) بما يحقق الصحيح:

(أ)	(ب)
1. سورة الحجرات	1. من القرآن المكي وهي ثماني عشرة آية
2. التشريعات الاجتماعية آداب التعامل	2. من سمات القرآن المدني
3. أسباب نزولها	3. التنبيه على أن المؤمن الحق ينبغي أن لا يقع في ما وُقِعَ في حضرة الرسول ﷺ.
4. تكرار نداء (يا أيها الذين آمنوا)	4. سورة مدنية وهي ثماني عشرة آية
5. لا تقدموا بين يدي الله	5. ارتفاع الأصوات عند رسول الله
6. من دلائل التقوى والإيمان	6. يعني خفض الصوت وعدم الجهر به
7. غض الصوت وعدم الجهر به عند رسول الله ﷺ.	7. الاتباع الصارم لحكم الله ورسوله وتجنب الابتداع.
8. من علامات الحياء والإيمان وتبجيل الرسول ﷺ.	8. غض الصوت والأدب الجم في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم.
9. عدم تقدير الرسول – صلى الله عليه وسلم – حق قدره.	9. دليل الجهل وتدني التقوى ويؤول إلى بطلان العمل وفساده تماماً.
10. إن الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى.	10. الذين لا يشتهون ولا يقارفون المعاصي البتة.
	11. هم الذين يشتهون المعاصي ويكبحون النفوس فلا يفعلونها.

❁ وفي مقابلة هؤلاء الذين **يغضون** أصواتهم عند رسول الله **حياءً وأدباً وفضلاً**، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوته احتراماً وإجلالاً وتوقيراً، في مقابلة هؤلاء الأتقياء الأبرار، **يأتي** ذكر قوم آخرين امتلأت قلوبهم **غلظة وكبراً وجفاء**، وانتفخت أوداجهم جلافة وفظاظة وسوء أدب..... الخ.



قوم من أطراف العرب وجفاتهم وأجلافهم أتوا والرسول الكريم راقدٌ في حجرة من **حجرات نسائه** فجعلوا **ينادونه** من وراء الحجرات قائلين:

يا **محمد!** اخرج إلينا إن **مدحنا لزين**، وإن **ذمنا لشين**، فخرج إليهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو يقول:

ذاك الله عز وجل (الذي يمدح ويذل) ففي هؤلاء وأمثالهم نزل قوله سبحانه :

➧ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ ﴾

الحجرات: جمع حجرة، وكل رقعة من الأرض محجوزة بحائط يحوط عليها تسمى حجرة. وحظيرة الإبل تسمى الحجرة وتجمع على حُجُرات وحُجَرات، وحُجْرات وقرِئ بهن جميعاً. والشاهد أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان في وقت راحة ومقيل فجاءه جماعة من بني تميم وهو راقد وقت الظهيرة، فجعلوا يصيحون وينادون من الخارج متعجلين، غير عارفين لقدر الرجال. فليس صلوات الله وسلامه عليه ممن يجوز للناس مناداته من وراء الحجرات كما يفعل مع عامة الناس.

ولقد **تأدب المسلمون** بهذا **الأدب الرفيع** في **الأجيال المتعاقبة** حتى قال بعض متأخريهم ما دققت باباً على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه.

وهكذا كان طلاب العلم يقفون عند أبواب الدّور الساعات الطوال لا يستخفهم برد، ولا يعجلهم أمرٌ حتى يخرج إليهم الشيوخ فينتفعون مما عندهم من علم ومعرفة وفضل. وجدير بالمسلمين إن يتمسكوا بهذه الآداب الرفيعة ويعرفوا لأهل الفضل فضلهم.

قوله تعالى:

➧ ﴿ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ﴾ معناه إلى أن تخرج إليهم، وذلك لأن **حتى** من معانيها: **الاختصاص** بالغاية المضروبة.

ومن ذلك قوله تعالى:

➢ ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ وقوله: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ ﴾

وقوله تعالى:

➢ ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ **يدل على** ⟵ **أن مغفرة الله الواسعة**، ورحمته الممتدة **لن تضيق** عن هؤلاء **الأجلاف** إن هم أحسنوا صنعاً فتابوا وأنابوا ووقروا الرسول الكريم، وعاملوه بما هو أهله من تعظيم وتوقير وتبجيل فعسى أن يشملهم الله بعفوه ومغفرته.

2. التثبت في تلقي الأخبار

قال تعالى:

➢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾

❁ وإنها لآية عظيمة جليلة ترسى قواعد التبيُّن والتثبت والتحقق، فيما يرد إلينا من أنباء، وما يأتينا من أخبار. والمسلمون الذين استمسكوا بهدى القرآن الكريم، ونزلوا على حكمه وعاشوه عقيدة وسلوكاً وواقعاً كانوا آية في التثبت والتعرف، وعدم الاستعجال في الحكم على الأشياء قبل أن ينكشف وجه اليقين فما عرف **عنهم إسراع في البت في أمور ظنية غير مستيقنة، وإنما هو التأني والتثبت والتبيُّن وكل هذا لا يتأتى إلا لمن رزق سعة في الصبر والصدر جميعاً ولهذا جاءت هذه الآية عقب قوله سبحانه:**

﴿➢ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ (الحجرات: ٥)

➢ فلو صبر هؤلاء لكان خيراً لهم، ولو صبر أولئك المبلغون حتى تبتدى لهم صفحة الحق واليقين لكان خيراً لهم أيضاً.

تدريب (3)



1. الصبر جماع كل خير وأصل كل خلق كريم، كيف تستنبط ذلك مما تقدم؟
2. هات بعض الآيات التي تدل على عظمة ومكانة الصبر في الدين.

عزيزي الدارس، نقف عند الآية الكريمة التالية لنتعرف معانيها متأدبين؛ قال تعالى:

➢ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾

- **أصل الفسوق:** الخروج من الشيء، والانسلاخ منه. نقول: فسق فلان عن أمر ربه إذا خرج عنه عاصياً غير مطيع، ومنه قوله تعالى في سورة الكهف:

➢ ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾

فالفسوق الخروج، تقول فسقت الثمار عن أكمامها إذا فتقتها وخرجت عنها، ثم استعمل في **الخروج عن القصد**، والانسلاخ من الحق والتنكب – التعثر والانحراف – عن سواء الصراط ومنه قول رؤبة بن العجاج: (فواسقاً عن قصدها جوائرا).

سبب النزول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾

ذكر كثير من المفسرين، وأهل الأخبار أن هذه الآية الكريمة نزلت في **الوليد بن عقبة بن أبى معيط** حين بعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على صدقات بني المصطلق.

قال **الحارث بن أبى ضرار الخزاعي** (رضي الله تعالى) عنه قدمت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به. ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يا رسول الله، أرجع إليهم (يعنى إلى قومه) فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة فمن استجاب إلى جمعت زكاته، وترسل إلى يا رسول الله رسولاً إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من زكاة.

فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الوقت الذي أراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطه من الله تعالى ورسوله، فدعا بسروات قومه.

– فقال لهم:

إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان وَقّتَ لي وقتاً يرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه فانطلقوا بنا نأتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

وكان قد بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من زكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِقَ – أي خاف– ومنه قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾، وفي المثل (رب **فروقة** يدعى **ليثاً**). أي جباناً: يدعي الشجاعة.

رجع الوليد بن عقبة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال يا رسول الله إن الحارث – رضي الله عنه – قد منعني الزكاة وأراد قتلي.

فغضب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه، وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم:

إلى من بعثتم؟ قالوا إليك

قال: **ولِمَ** ؟ قالوا: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة! وأردت قتله!

قال رضي الله عنه: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بتةً، ولا أتاني فلما دخل **الحارث** على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟) قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيت ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس على رسولك، خشيت إن يكون هناك سخطة من الله تعالى ورسوله: قال فنزلت:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ

وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨ ﴾ . (الحجرات)

قوله تعالى:

▲ ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾

~ يعنى تثبتوا وتبينوا **مخافة وكراهة** أن **توقعوا بقوم**، وأنتم **جاهلون بحقيقة الأمر**، غير **عارفين لوجه الصواب ومفصل الحق**. روى قتادة إن الرسول– صلى الله عليه وسلم – كان يقولك

(التثبت من **الله**، و**العجلة** من **الشيطان)** وأنه لمن الأمور المشاهدة إن **التعجل مطية الزلل فى كثير من الأحيان** إذ:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

هذا من قول القطامي التغلبي في كلمته اللامية:

(إنا محيوك فاسلم أيها الطلل).

قال تعالى:

﴿ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ (الحجـــــرات: ٦)

~ والندم ضرب من الغم، وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع ومنه قول الآخر:

ندمت ندامةً لو أن نفسي تطاوعني إذن لقتلت نفسي

ومنه قول الفرزدق:

ندمت ندامة الكسعي لما غدت منى مطلقة نوار

▲ ويقول تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ ﴾ ~ الخطاب لجماعة **المسلمين المؤمنين** الذين ناداهم سبحانه قائلاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ورسول الله فيهم جسدٌ وروحٌ يغدو

ويروح وهو فينا قولٌ وفعلٌ وسيرة وأسوة. وقوله ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ إرشاد إلى مكانه الذي لا ينبغي أن يغيب عن قلب مؤمن أبداً، فلابد للمؤمنين من أن يعرفوا للرسول الكريم مكانه فيخاطبونه بما هو أهله من تكريم وتعظيم، ويعاملونه بما هو **أهله من توقير وتكبير فهو السيد المتبوع المطاع الذي يتبع ما يوحى إليه من ربه ولا يتبع أهواء الناس الذين قال فيهم خالقهم:**

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

واجب المؤمنين التعظيم والتوقير، والتأدب والانقياد إذ أنهم بذلك مأمورون، وهو صلوات الله وسلامه عليه أولى بهم من أنفسهم ولو كان (صلى الله عليه وسلم) يتصرف حسب ما يعنّ لهم من آراء، وما يزين لهم من أهواء لوقعوا في حرج شديد وضيق وعنت، قال تعالى:

▲ ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (الحجرات)

تدريب (4)

بماذا ترد على من يقول: إن المبالغة في تعظيم وتوقير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيه إخلال بعقيدة المرء ونقاء توحيده.

والإيمان تصديق بالقلب يؤدي إلى التسليم المطلق والاتباع غير المقيد لأوامر الله. ولولا نعمة الإيمان لما انقاد المسلمون للرسول (صلى الله عليه وسلم) حين يفعل ما يخالف أهواءهم، ويأمرهم بما قد يكرهون وهو الحق.

والراشد الذي آتاه الله هداه وتقواه وزكاه هو من حبب إليه الإيمان وزُيِّنَ في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان. فالراشد لا يكفر والراشد لا يفسق، والراشد لا يعصي.

روى الأمام أحمد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا يوم أحد فكان من بعض دعائه (اللهم إني أسالك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين).

۞ بعد أن دعا سبحانه إلى التثبت في **أنباء الفاسقين** ، أرشد إلى ما ينبغي على المسلمين فعله إن شجر خلاف وقتال وفتنة بين طائفتين منهم.

أسئلة تقويم ذاتي

1. ما سبب نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ ﴾ .
2. ما هو الخلق الذميم والسلوك المشين المنطوي على منادة – الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة؟
3. كيف استفاد المسلمون على مر الأجيال من هذا التوجه الإلهي في التأدب مع رسول الله؟
4. ما دلالة قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾ التي جاءت في عقب الآية؟
5. استخلص الثمرات المترتبة على التثبت في تلقي الأخبار.
6. ما هي العواقب المتوقعة في حالة التعجل وعدم التحقق من الأنباء؟

7. ما هي حقيقة الإيمان الذي وضحته الآيات؟ وما الدلالة على عظم هذه النعمة؟
8. اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ .
9. ما معنى الفسق – وما العبرة المستفادة من وصف الصحابي بهذا الوصف؟
10. ما واجب المسلم تجاه خاتم الأنبياء والرسل – صلى الله عليه وسلم – وما أثر القيام بذلك الواجب في دين المرء؟
11. (معرفة قدر الرسول واتباعه يقي المسلم العنت والزيغ والضلال) ناقش ثم هات أمثلة في هذا السياق.

3. الآداب الاجتماعية الراقية في سورة الحجرات

1.3 إصلاح ذات البين

دعا سبحانه في هذه السورة العظيمة إلى إصلاح ذات البين، قال سبحانه:

- ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ ﴾ (الحجرات: 9)
- ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ (الأنفال:1)

إذن – عزيزي الدارس – واجب المسلمين الإصلاح ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فإن تجاوزت إحداهما الحق طغياناً وبغياً فينبغي قتالها حتى ترجع إلى أمر الله، وتطيع الحق فالحق يعلو ولا يعلى عليه.

~ عن **أنس** رضي الله عنه إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقلت نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟) قال: (تمنعه عن الظلم فذاك نصرك إياه)

وهكذا تُقَاتَلُ الفئة **الظالمة الباغية** حتى تفيء وترجع، فإن فاءت ورجعت حكم بينهما **بالعدل**، وأصلح بينهما.

~ فالقسط: العدل تقول: أقسط يُقسط فهو مقسط إذا كان عادلاً.

~ والقسط: الجور وتقول: قَسَط يقسط وهو قاسطٌ إذا كان جائراً أي ظالماً.

ومنه قوله تعالى:

➢ ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الجن: 15)

۞ والإسلام دعوة إلى العدل والقسط، والإسلام دعوة إلى الإخاء والإصلاح والإسلام دعوة إلى التقوى التي تفتح باب الرحمة، وتسد باب العذاب، قال تعالى:

➢ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

الحجرات

➢ فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. ولو أدرك المؤمنون اليوم شيئاً من هذا وحققوا منه طرفاً، وبلغوا منه نصيباً لكان لهم شأن آخر ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

2.3 توقير الآخر من تقدير الذات

قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَـٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَـٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ١١ ﴾ الحجرات:11

۞ وهذه آية تُعلِّم من **الآداب النفسية العالية الرفيعة** ما تعجز عنه **حضارات الأرض** كلها وما من **مجتمع جاهلي قديماً أو حديثاً** إلا تكثر فيه **السخرية وتفشو**، وذلك لأنه **يتعامل تعاملاً مادياً ظاهرياً لا يلتفت فيه إلى قيمة معنوية مستبطنة**، وإنما هو النظر إلى الشكل دون الجوهر، والقشور دون اللباب. فالناس لا يطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات، وإنما الذي **يزن** عند **الله خلوص الضمائر، وتقوى القلوب**، وعلمهم من ذلك بمعزل فإن رأيت شخصاً **تزدريه العين وتقتحمه**. أو رأيت شخصاً رث الهيئة، ضعيف البنية مهيناً لا يكاد يبين فلا تحتقرنه فقد يكون عند الله عظيماً فللحق ميزانه الذي يزن به الناس والأشياء، وللسماء ميزان ليس كموازين الأرض فرب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو شفع لم يشفع لو أقسم على الله لأبره. والاستهزاء بالناس والسخرية منهم دليل الكبر والعنجهية والغرور وهو خلق جد ذميم وفى الحديث:

~ (الكبر **غمط** الناس):

~ وفيه أيضاً (لا يدخل الجنة من في قبله مثقال ذرة من كِبْر)، فاحتقار الناس محجور في شرع الله، واستصغارهم حرام فقد يكون **المحتقر** أنقى ضميراً، وأتقى قلباً، وأصلح حالاً وأدنى إلى الله من **المحُتَقر** ولهذا جاء هذا النهى ليضع الأمور في نصابها فالذي لا يطلع على السرائر والخفايا لا يجوز له أن يحقر ويصغر ويسخر.

~ كان الجاهليون يحقر بعضهم بعضاً ويسخر بعضهم من بعض فجاء القرآن الكريم ينهى عن هذا الخلق الذميم الذي يورث القلوب غلاً وحقداً وبغضاء.

سبب النزول: روي أن هذه الآية نزلت في **ثابت بن قيس** وكان به وقر – ضعيف السمع – وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليسمع فأتى يوماً وهو يقول تفسحوا لي، حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال لرجل: تنح فلم يفعل. فقال من هذا فقال الرجل: أنا فلان. فقال بل أنت ابن فلانة. يريد أُمّاً كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت:

- لا **أفخر على أحد في النسب أبداً**، أي عزم على التوبة الحقة عن السخرية بعد نزول هذه الآية:

وعندما عير أحدهم عماراً قائلاً يا ابن السوداء زجره الرسول – صلى الله عليه وسلم– وقال له: (طفَّ الصاع، طفَّ الصاع – أي طفح الكيل وبلغ بك الجهل والإثم مبلغاً لا حد له– لا فضل لابن بيضاء على ابن سوداء إلا بالتقوى) وهو تقرير لحقيقة أكدها الإسلام قرآناً وحديثاً.

~ قال تعالى في هؤلاء الآيات التي تليت آنفاً:

﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ وما دامت التقوى أمراً قلبياً وان كانت له أثاره في الظاهر فلا ينبغي أن نجترئ بالسخرية من أحد فعسى إن يكون خيراً منا.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٌ مِّن قَوۡمٍ ﴾ (الحجرات)

~ القوم هاهنا الرجال خاصة واستدلوا بقول زهير بن أبى سلمى:

وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وهذا من باب تفسير القرآن باللغة والاستشهاد عليه بالشعر القديم.

وفى الآية شاهد على أن لفظة **قوم** قد تشير إلى طائفة الرجال دون النساء وذلك لأن الله سبحان وتعالى قد وجه الخطاب للرجال ثم ثنى بالنساء فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٌ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ ﴾ **(الحجرات)**

• وهي آية دالة على أن **المرأة** في **الإسلام محل للتكليف، وموضع للسؤال** فعليها **الاستمساك بالآداب الإسلامية السامية، والعزوف عن أنماط السلوك الجاهلي الأجوف** ولا فرق في هذا بين رجل وامرأة فكل عبد لله مطالب بالاتجاه إليه بقلب سليم.

ولهذا جاءت كثير من الآيات القرآنية **تخاطب النساء** بما يخاطب به **الرجال،** كقوله سبحانه:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

وفى النهى عن السخرية نهى عن تحقير الناس ومن تحقير الناس لمزهم قال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ ← **وهو تعبير فيه إيحاء كريم أن المؤمنين كالجسد الواحد،** والنفس الواحدة فمن لمز أخاه، وطعن فيه فكأنما لمز نفسه وطعن فيها، وهو كقوله سبحانه:

▲ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

نشاط



الآيات الفائتة تضمنت آداباً اجتماعية إذا ما طبقت والتزم بها الناس حق الالتزام فإنها تحقق الآتي:

- الوقاية التامة من الأمراض الاجتماعية الفتاكة كالحقد والكراهية والشنآن.
- معالجة الفتنة بعد وقوعها علاجاً ناجعاً.
- الوحدة الاجتماعية التي تجعل من الكل جسداً واحداً.

حلل هذه المبادئ الراقية ووضح ثمراتها الاجتماعية الثمينة سيما لمجتمعنا السوداني، ودلل على كل فائدة. وأعرض ذلك على مشرفك.

▪ النفس الإنسانية واحدة

قال تعالى في سورة النساء:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء: 1)

ففي آية الحجرات نهي عن أن يطعن بعضنا على بعض، **والطاعن على أخيه بمنزلة الطاعن** ⟵ على نفسه.

والعلاقة بين المؤمنين لا تقوم على الطعن واللمز والسخرية وإنما تقوم على التحابب والتناصح والمصارحة والتوقير.

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ﴾

–والكنى – مجموعة كنية – مرغوب فيها لما فيها من **توقير وتكبير**.

– والألقاب مرغوب عنها لما فيها من **تحقير وتصغير**.

قال الآخر: (ولا ألقبه والسوءة اللقبا)

والتنابز بالألقاب التداعي بها. ومنه يقال: بنو فلان يتنابزون ويتنازبون. والتلقيب المنهي عنه، وهو اللقب السوء لما فيه من تقصير بصاحبه وذم له.

أما الألقاب الحسنة الحميدة فلا شيء فيها كالتلقيب ⟵ **بالأمانة والصداقة، والعتاقة والنجابة.....** الخ.

➢ ولا يجوز لمسلم بعد أن دخل في الإسلام، وهذّبه الإسلام أن يعود في أخلاق جاهلية فاسقة فيسخر ويلمز ويتنابز، ومن أتى شيئاً من ذلك فليتب ومن لم يفعل فإنه ظالم لنفسه مبين. انظر – عزيزي الدارس – إلى قوله تعالى:

▲ ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾).

3.3 الظن وما أدراك ما الظن

ثم يردف سبحانه النداء بنداء آخر، ويعضد الدعاء، بآخر قائلاً:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

وفى الآية **نهي عن الظن** وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول: (لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً).

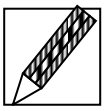
وفى الصحيحين عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (إياكم **والظن** فإن **الظن أكذب الحديث** ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا).

وروى عنه – صلوات الله وسلامه عليه – أنه قال: (إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض – يعني أن لا يحبسك التشاؤم عن إنجاز ما شرعت فيه).

• وهذا كله من قبيل ←——————— **تفسير القرآن بالسنة التي هي مصدر من مصادر التفسير**. كما مر بنا وبعض الظن الإثم والإثم الذنب فلا يجوز أن تظن بالناس ظن السوء من غير ما تَبيُّن وتَثَبُّت ومَبرر.

➢ ولا يجوز لنا تتبع عورات الناس ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه فليحاول كل منا أن ينظر إلى نفسه ويصلح ما فيها من اعوجاج فإنه إن فعل لا يجد متسعاً لتتبع عورات الناس وتسمع أخبارهم وهتك أستارهم.

تدريب (5)



1. ما هي العواقب المترتبة على انتشار الظن والتجسس والتحسس بين أفراد المجتمع في تقديرك؟ وما دلالة قوله تعالى:﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾؟

4.3 الغيبة

~ قال تعالى:﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

حُكم الغيبة: والغيبة حرام بإجماع، وقد عرضها سبحانه في هذه الصورة الحسية المنفرة ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾.

• وكانوا إذا اغتاب أحدهم أحداً قالوا: **(قُم تخلل إنا لنرى خضرة اللحم في فيك – أي اللحم المنتن)**



فإذا جاءك أحدهم مستنصحاً – أي يطلب النصيحة – سائلاً عن أحدهم لمصلحة يرجوها – أي يُشْرِكُكَ في التعرف على شخصية ما – فقل فيه ما تعلم! فهذا وشبهه عن الغيبة بمعزل – أي ليس من الغيبة – لأن مصالح العمل والزواج والعلاقات واستعمال شخص ما بعمل. الخ من الأمور الحياتية التي تستلزم معرفة وتقويم المرء بدقة لكي يوضح في منزلته الأنسب والأليق به.

مـن ذلـك قولـه – صـلى الله عليـه وسـلم – لفاطمـة بنـت قـيس (عنـدما أرادت الـزواج واستشارته) صلى الله عليه وسلم: (أما معاوية فصعلوك – يعنى لا مال له وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه – (إما لأنه كثير التجوال وإما لأنه ضراب للنساء).

➢ فقد بيِّن لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عيوب كل منها حتى تكون على بينة من أمرها فلا تقدم على زواج قد تشقى به لطيلة حياتها، فالدين النصيحة، والمستشار مؤتمن. فالنية والتوجه والهدف ليست الغيبة، وإنما الحصول على الأصلح والأمثل.

- **تقوى الله**

ثم نختتم هذه التوجيهات الكريمة من النهي عن **الظن والتجسس والغيبة** بدعوة لتقوى الله عز وجل وإخبار عنه سبحانه وتعالى بأنه تواب على من تاب، غفار لمن رجع وأناب، رحيم بعباده يرضى لهم الإيمان ومعالي الأمور، ويكره لهم الكفر والفسوق والعصيان.

عزيزي الدارس،

بعد هذه الآداب السامية والأخلاق القرآنية المطهرة يختتم الله الآية بالدعوة العريضة إلى **تقوى الله ورحمته**. مما يؤكد على أن جماع الخير كله في تقوى الله، فالمبدأ والمنتهي، والباطن والظاهر، مداره وقطب الرحى فيه هو تقوى الله التي تُيسر التوفيق والسداد والرحمة والخلاص في الدنيا والآخرة.

- **وحدة الجنس البشري**

وتؤكد السورة مرة أخرى **حقيقة جد عظيمة لو وعاها الناس لتحققت كرامة الإنسانية وحقوق البشر**، ولما عانى البشر ويلات الحروب والمآسي أحقاباً مديدة (ولا زالوا يتخبطون في ظلمات العنصرية والعرقية والتعالي على بعضهم البعض).

ها هو الحق يصدح ويعلو، يتوجه سبحانه بمخاطبة الناس كافة على اختلاف أجناسهم وعصورهم وهو خطاب يدل على أن القرآن الكريم من لدن عليم خبير وأنه سيظل سباقاً لكل عصر، متقدماً على كل فكر، صالحاً لكل زمان فهو الرأس المقدم في كل مسالة من مسائل الفكر والفلسفة والعقائد. وهو النور المضيء الذي يجب الظلام، ويقطع التخرص، ويصوغ المبادئ والأفكار والأصول في أوضح بيان وأوفاه:

➢ قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾

ولو أدركت إنسانية القرن العشرين شيئاً مما دعا إليه القرآن الكريم، لما كانت هناك مشكلة لونٍ وتفرقة وتمزق في بلدان تزعم لنفسها الرقيّ والتقدم والتحضر، وتتهم الإسلام بالرجعية والتأخر والتحجر. والتأخر والتحجر ما هم فيه. ومن جهلت نفسه قدره رأى الناس منه ما لا يرى. ونسألك اللهم تقوى القلب التي تورث علماً ونوراً وبصراً.

نشاط

قوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ تتضمن هذه الآية مبدأً عظيماً من مبادئ الاجتماع البشري، حلل هذه الآية من منظور معاصر يتناول المظالم التي عانت منها الإنسانية في أفريقيا والعالم العربي والإسلامي انطلاقاً من عنصرية اللون والعرق. وأعرض ذلك على مشرفك الأكاديمي.

أسئلة تقويم ذاتي

1. ما أهمية إصلاح ذات البين الإجتماعية؟
2. ما هي الشروط التي اشترطتها الآية في الإصلاح؟
3. ما حكم الطائفة التي ترفض الصلح وتصر على البغي والعدوان؟
4. ما معنى السخرية وما آثارها وعواقبها الوخيمة؟
5. ما معنى (قوم) في الآية وما الدليل على أنه يشير إلى فئة بعينها دون فئة؟

4. ما معنى (اللمز) وعلامّ يدل؟ وما حكمه الشرعي؟
5. فرِّق بين الكنى والألقاب، من حيث المعنى والحكم والشرعي، وما علة تحريم التنابز بالألقاب؟
6. ما معنى الغيبة لغةً، وعبر عن صورتها القبيحة التي عكسها القرآن بلغتك الخاصة؟
7. ما دلالة ختم الآية التي حرمت الظن والتجسس والتحسس والغيبة بالدعوة إلى تقوى الله؟
8. ما الفرق بين التجسس والتحسس؟

4. الإسلام ..... والإيمان

➧ يقول تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾

~ لقد ادعى الأعراب مقاماً لم يصلوه، ومكانةً لم ينالوها فجاء القرآن الكريم يُنكر عليهم زعمهم وادعاءهم إذ ادعوا ما ليس لهم، وزعموا ما لم ينالوا، وقالوا ما ليس لهم بحق. زعموا لأنفسهم الإيمان الذي لم تخالط بشاشته قلوبهم بعد. إذ الإيمان نور يقذف في القلب فيمتليء نوراً ومعرفة وحكمة، فإذا دخل القلب، انشرح الصدر وانفسح، وتغير الإنسان وتبدل.

➢ والإيمان تصديق يورث ثقة وطمأنينة وسلاماً. تصديق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر – فالإيمان شهادة أن ما جاء به محمد حق وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

والإيمان حقيقة تستقر في القلب، وتملك على النفس شعابها وتدفع بها في طريق الخير والرشد والفلاح. ولهذا فلا يكفي في مقام الإيمان أن نتلفظ بألفاظ لا يكون لها أثرها في النفس والحس والشعور.

{لا يكفى أن نقول بأفواهنا ما ليس في قلوبنا. لا يكفى أن نقول لا اله إلا الله محمد رسول الله وننطق بالشهادتين نطقاً ميتاً لا يتوافق فيه القلب واللسان}

ولهذا عرف الأصوليون الإيمان بأنه:

۞ ما وقر في الصدر وصدقه العمل.

فهو: اعتقاد **بالقلب**، وقول **باللسان**، وعمل **بالجوارح**.

أما إن **تلفظنا بالشهادتين** فأننا **نكون بذلك قد دخلنا في الإسلام**، ولا يعني هذا **بالضرورة أننا مؤمنون** فقد نفعل ذلك لأي علة من العلل التي لا شأن لها بالتصديق القلبي، والعقيدة الداخلية.

۞ فالإسلام فيه معنى ⟵ الاستسلام والانقياد فقد **يرضى الرجل** أن **يعيش في مجتمع مسلم**، ولا يكون **حرباً** على المسلمين وان **يسلس للمسلمين القياد** فيؤدي **ما عليه** من **حقوق وواجبات، ولكن هذا كله لا يجعل منه مؤمناً**.

~ **فالإيمان** تصديق واعتقاد.

~ **والإسلام** استسلام وانقياد، أما إذا كان الإسلام استسلاماً لإرادة الله عز وجل، وانقياداً لأوامره، واتباعا لتعاليمه فإنه ساعتئذ يصبح جزءاً لا يتجزأ من الإيمان وتنقطع تلك الشعرة التي تفصل بين المعنيين:

~ معنى الإيمان والإسلام ⟵ ولهذا جاء في القرآن الكريم في سورة الذاريات، قالُهُ تعالى:

➢ ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الذاريات:35 – 36)

فانظر – عزيزي الدارس، إلى هذا التداخل بل التطابق التام فالمؤمن مسلماً، والمسلم مؤمناً. وذلك عندما يتمكن الإسلام من نفس المرء ويوقن به ويطمئن إليه قلبه، وتنطبع عليه جوارحه وأعماله الظاهره والباطنة، عندها يجوز أن نطلق عليه أحد المصطلحين تعبيراً عن الآخر.

والأعراب الذين رد عليهم القرآن زعمهم ألقوا إلى المسلمين السلم ولكن بينهم وبين الإيمان شقة. ولهذا قيل:

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾

~ ففي الآية تكذيب لدعواهم، ودفع لما انتحلوه من صفة الإيمان، ونفي لدخول الإيمان في قلوبهم، لأن لماَّ هاهنا للنفي فأنت تقول لمن سألك قائلاً هل نجحت في سعيك؟ كِدتُ ولمَّا أفعل أي لم أنجح نجاحاً تاماً. وأولئك قوم استعجلوا القول إذ زعموا أنهم مؤمنون ولما يدخل الإيمان في قلوبهم. ثم وعدهم سبحانه بأنهم إن بذلوا الطاعة لله ورسوله، نالوا أجرهم كاملاً غير منقوص ولا مجذوذ، قال تعالى:

▲ ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ فقوله سبحانه (لا يلتكم) معناه لا ينقصكم كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾.

وكذلك القول:

(ألتَّ السلطان الناس حقهم أشد الألت) إذا ظلمهم وجحدهم حقهم. وها هنا موضع آخر من مواضع تفسير القرآن بالقرآن.

تدريب (6)



1. كيف تميّز بين الإسلام، والإيمان، والإحسان؟ وضح التداخل بين هذه المصطلحات العقدية؟
2. ما الفرق بين الأعراب والعرب؟

~ ثم ذهب سبحانه ليبين صفة الإيمان التي أنكرها على أولئك الأعراب فقال:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ • و(إنما) حرف يفيد

الحصر كأنه قيل هؤلاء هم المؤمنون الذين تنطبق عليهم صفة الإيمان وهو كقوله سبحانه في سورة الأنفال:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ .

فالمؤمنون في سورة الحجرات من الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله، واستقاموا على هذا الإيمان وعلى هذه العقيدة، ولم يساورهم فيها شك، ولم يلابسهم منها ارتياب. ولم يكن إيمانهم إيمانا مخدراً نائماً. وإنما هو الإيمان اليقظ المتحرك الذي يدفع للعمل، ويقود إلى الجهاد في سبيل الله، وبذل المال والنفس في سبيل تلك الغاية السامية النبيلة. فمن اتصف بهذه الصفة واستقام على تلك الحال فهو المؤمن حقاً، وهو الصادق حقاً فليس الإيمان دعوى تفترى، ولا هو زعم يدعى ولكنه تصديق يؤدي إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس. وإن البون بين هؤلاء الذين ذهبت صفتهم، وبين أولئك الأعراب الذين مضى ذكرهم لكبير **وهو بون ما بين الفعل والمقال.** هؤلاء قالوا بأفواههم (أي الأعراب) وأولئك ~~آمنوا بقلوبهم~~ إيمانا يجلو كل شك، ويرفع كل ريب، ثم اندفعوا لتحقيق مقتضيات هذا الإيمان غير عابئن بما يصادفهم من عقبات.

- **علم الله المحيط**

قال تعالى﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٦ ﴾ ~ وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء القوم الذين يريدون أن يخبروا الله بما في ضمائرهم من عقائد، وما في قلوبهم من دين. أو لا يعلمون أن الله مطلع على السرائر وأنه لا تخفى عليه خافية، وأنه يعلم السر وأخفى، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

انظر عزيزي الدارس إلى خلاصة الآية تختم هذه الآية بهذه الخاتمة البليغة المضيئة الحاوية الجامعة ← (وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ)

✓ فأربع كلمات كريمات تصف علم الله بما لا مزيد عليه أبدا (وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ) وتمضي الآيات لتقرّع وتوبخ أولئك الأعاريب الذين جاءوا يعتدون على الرسول – صلى الله عليه وسلم – في صلف وكبرياء. جاءوا يمنون على الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويزعمون أن لهم عليه يداً ونعمة ومنة جاءوا يمنون بإسلامهم واتباعهم ونصرتهم للنبي الكريم.

➢ فقال تعالى لنبيه:

﴿ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ ﴾ فالهداية إلى الدين الحق إنما تعود نفعا على المهتدي، ولو كان هؤلاء الأعراب صادقين في زعمهم ودعواهم لما منوا على الرسول (صلى الله عليه وسلم) إيمانهم. بل الله يمن عليهم أن هداهم للأيمان أن كانوا صادقين. ومن هنا تعلم أن من جاهد فإنما يجاهد لنفسه فلا يجوز لمسلم أن يمن على أحد باتباع، إذ أن اتباع الحق إنما يعود خيره ونفعه وبره على المتبع، وأن التوفيق للإيمان بالله لهو أعظم مِنةٍ من الله سبحانه وتعالى على عباده، ولهذا فالمؤمن الصادق في شكر مستمر، وحمد متصل لله الذي هداه ووفقه وسدد خطاه في طريق البر والإيمان والعمل الصالح ولهذا فهو لا ينفك يدعو ويقول:

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

أسئلة تقويم ذاتي

1. اذكر مواصفات الإسلام والإيمان كما وردت في الآيات الكريمة.
2. ادعاء الأعراب للإيمان أعظم دليل على جهلهم به وبعهدهم عن هذه المرتبة العالية، علل.
3. ما معنى (المن)ولماذا حُرّم ؟
4. ما دلالة قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٦ ﴾ ؟
5. وضح المعاني العميقة والرد المفحم في قوله تعالى ﴿ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ .

➢ فالله الذي هدى للإيمان – ولا سبيل للهداية إلا به – وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله هو صاحب النعمة. وهو صاحب اليد، وهو صاحب المنة فعلام المن إذن وفيم الاعتداد. اللهم إلا أن يكون الجهل المطبق بحقائق الأشياء وكنه الأمور.

➢ ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾

ولقد كان الصادقون **من سلف هذه الأمة** يدركون هذا الأمر إدراكاً جيداً من ذلك أن الأنصار كانوا يجيبون الرسول – صلى الله عليه وسلم – يوم حنين عندما ابتدرهم قائلاً:

ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟

وكنتم متفرقين فألفكم الله بي. وكنتم عالة فأغناكم الله بي ؟

كانوا يجيبون في كل مرة الله ورسوله أَمَنْ.

۞ وفى ختام سورة الحجرات يكرر سبحانه القول ويعيد بأنه عالم محيط لا يغيب عنه شيء ولا يعذب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو سبحانه بصير بما يعمل عباده، قال تعالى:

➢ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾

فاللهم أنت بصير بما نعمل فضاعف الحسنة أضعافاً كثيرة، وتجاوز عن السيئة تفضلاً وتكرماً ولا حول ولا قوة إلا بك إليك المصير.

نشاط



1. كيف يمكن تطبيق مصادر التفسير على تفسير سورة الحجرات، اكتب بحثاً موجزاً تتبع فيه آيات السورة محاولاً تطبيق المصادر التي درستها على هذه الآيات.
   - اعرض ما أنجزت على المشرف الميداني والزملاء، للنقاش والمزيد من الفائدة.

الخلاصة

عزيزي الدارس،

الوحدة الأخيرة أرادها المعد أن تكون نموذجاً للتفسير يتمثل فيه ما درسته من مصادر ومناهج للتفسير، فاختار سورة الحجرات وهي سورة مدنية عدد آيتها ثماني عَشرَة آية.

السورة مدرسة قرآنية تضمنت ألواناً من التعليمات والتوجيهات والآداب الفاضلة في مقدمتها:

التعامل مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – والزجر عن التقدم على رسول الله في أي أمر من أمور الدين والدنيا، والتريث لمعرفة حكم الله ورسوله فيه، إذ أن التشريع والمنهج الحق هو الذي يأتي من العلي الحكيم، والمبلغ بهذا التشريع هو رسوله الكريم ﷺ.

انتقلت السورة بعد ذلك إلى تأديب هؤلاء الأعراب الأجلاف الغلاظ. فوجهتهم إلى كيفية التعامل والسلوك السوي مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحقيق على من أراد إتباعه أن يفهم قدره ومكانته عند ربه وإلا حُرِمَ الرحمة الثمينة المسداة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) فمعرفة الله وحب الله إنما تأتى من إتباع هذا النبي الخاتم، والحرص على سنته والتعلق به، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ .

ومن الأدب مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – عدم الجهر له بالقول وعدم الصخب والهرج. عنده لأن في ذلك إخلال بالخشوع والهدوء **والطمأنينة**، وفيها إشارة قوية إلى عدم التوقير والجهل بمكانة هذا الرسول الكريم. وعدم التأدب معه يؤدي إلى إحباط العمل وبطلانه وبذلك يكون المرء قد خسر الدنيا والآخرة.

أكدت السورة الكريمة على وحدة الإنسانية والأصل البشري. فالخلق جميعاً من ذكر وأنثى مهما اختلفت ألوانهم وأشكالهم ولغاتهم فجوهرهم واحد، والاختلاف الظاهر إنما لحكم إلهية عظيمة، منها أن يكون ذلك مدعاة للتعارف والتآلف، فالنفس الإنسانية جبلت على حب الاستطلاع ومعرفة المختلف الغريب عنها. وما أدركه الناس أن الله هيأ الأشكال والألوان

والأعضاء بما يناسب البيئة والمناخ، ويسر عيش الإنسان على الأرض. فمن الجهل المطبق والكفر بنعمة الله أن يُتخذ من اللون والعرق والجنس معايير للتفاضل والتعالي واضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان. وأبرز القرآن قيمة الإنسان الحقيقة المتمثلة في معنوياته الرفيعة وأخلاقه السامية وروحه المميزة المكرمة، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ تكريماً لآدميته في المقام الأول دون أي صفة إضافية، فإذا عرّف ربه وعرف قدر نفسه، وعظيم نعم الله عليه فاتقى الله استحق تكريماً زائداً. فالمعيار عند الله العليم الحكيم هو التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ .

ونهت الآيات عن كل ما يؤدي إلى الشقاق والفتن ويدفع من قريب أو بعيد إلى تفتت المجتمع. فحذرت الآيات من الظن واعتبرت اليسير منه إثماً فما بالك بأعظمه. ثم حذرت كل التحذير من السخرية والاستهزاء. والأمر موجه إلى كل أفراد المجتمع رجالاً ونساءً. وكل ذلك من الآداب الاجتماعية الراقية التي تحقق احترام الإنسان وتقديره لنفسه، قبل أن يقدر الآخرين. ولذا جاءت الآية: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ فكأنما الإنسان عندما يؤذي آخراً إنما في الحقيقة يؤذي نفسه، وهذا تأكيد لمبدأ القرآن وحقائقه الدامغة في أن الناس من أصل واحد.

ثم صورت الآيات الغيبة أبشع تصوير ولو استوعب الإنسان بشاعة الغيبة لبعد عنها كل البعد.

ومن الآداب الواقية التي تقي المجتمع شر الفتن والوقوع فيما لا يحمد عقباه هو التثبيت والتأني في تلقي الأخبار، لأن التعجل في ذلك قد يؤدي إلى فتن وشرور لا علاج لها وسوف تطال طائفة كبيرة من الناس.

ومن أكثر الفوائد والثمرات الاجتماعية مبدأ (إصلاح ذات البيِّن) الناجع في إيقاف الفتن عند حدها ودرء مخاطرها، العدل والإنصاف في معالجة الأصلاح، وعدم التهاون مع الفئة الباغية التي تأبى الصلح.

ومن القضايا البالغة الأهمية التي عالجتها السورة الكريمة معاني (الإسلام) و (الإيمان). فالإسلام يعني الاستسلام والانقياد. وقد يكون مجرد تلفظٍ بالشاهدتين حفاظاً على سلامته

ومصالحه الدنيوية دون أن يداخل قلب المرء، أو يعيه قلبه فيقدره حق التقدير. أما (الإيمان) فهو أبعد مدى وأعمق بعداً. فهو عقيدةٌ تداخل سويداء القلب، وتطمئن لها النفس، مما يدفع المؤمن للتضحية بالرخيص والنفيس من أجل إيمانه.

وجماع كل ما تقدم هو تقوى الله. فهي الحصن الحصين، والوقاية من الانحراف والزيغ والفتن. وتقوى الله هي أصل كل خلق حسن ونبع كل خير. ولذا أكدت عليها الآيات تأكيداً.

وإذا ما التزم المرء بأخلاق السورة الكريمة وتأدب بآدابها فإن في ذلك النجاة والفوز في الدنيا والآخرة، وفيها أمان المجتمع واستقراره وازدهاره.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. المراد لا تنطلقوا في أمر من أمور حياتكم حتى تعرفوا حكم الله فيه، وأن تردوه إلى الله، وإلى رسوله المبلغ الأمين العالم بمراده وأكمل من طبق شرعه ومنهاجه، ومن يتقدم الله ورسوله فقد اتبع هواه، وضل سواء السبيل، وسفه نفسه بهذا التطاول الذي يؤول إلى خسران مبين.

   ويوحي هذا العطف بمكانة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعلو مقامه، وأن طاعته واتباعه والالتزام بسنته هي طاعة لله سبحانه وتعالى.

2. يشير إلى أن جماع التقوى هو الالتزام بالأمر الإلهي المتقدم في الآية ﴿ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وأنها جماع كل خير.

تدريب (2)

1. جمع المعد في تفسير الآيات السابقة بين مناهج التفسير واللغة، وتنقل من تفسير القرآن بالقرآن إلى الاستشهاد بسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم، ثم استخلص من ذلك حرمة النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلو مكانته مما يعد تأويلاً يكشف عن دلالة الآيات.

2. قطعاً. فهذا دين وشرع. لا تبديل ولا تغيير فيه إلى يوم القيامة، وصور توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة، منها أنه إذا ذكر في أي مجلس من المجالس أن يوقر، وأن يُسْتَمَع للأحاديث المروية عنه، وعدم الصخب والضوضاء أثناء ذلك، والصلاة والسلام عليه عند ذكره في أي مناسبة من المناسبات، والتأدب والهدوء وخفض الصوت عند زيارة قبره الشريف – صلى الله عليه وسلم – والالتزام بسنته بأقصى ما يمكن والمبالغة في حبه – صلى الله عليه وسلم – (فالمرء مع من أحب) أو كما قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تدريب (3)

1. لو تمهل هؤلاء الأعراب وصبروا قليلاً لخرج إليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– دونما جلبة وإساءة للأدب معه – صلى الله عليه وسلم – وفي ذلك خيرٌ كثيرٌ لهم. ومدار الدِّين كله على الصبر. فالعبادات بحاجة إلى الصبر، والابتلاء من الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى الصبر. وإنجاز كل الأعمال الدنيوية والأخروية لا سبيل إلى إنجازها بدون الصبر.
2. سورة العصر.

تدريب (4)

تعظيم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتوقيره والمبالغة في تقديره أمر رباني يتجلى في القرآن في الكثير من آياته، والدليل على ذلك مدحه بأنه – صلى الله عليه وسلم– على خلق عظيم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ ومدحه بأنه – صلى الله عليه وسلم – "خاتم النبيين" وبأن شريعته هي الشريعة الأكمل المنجية عند الله. وأنه العبد الكامل العبودية لله، غير أن اسمه عُطف على اسم الله جل جلاله في مواضع كثيرة، والأمر الواضح بالصلاة عليه. وأنها من أعظم القربات عند الله تعالى، فالله والملائكة يصلون عليه – وهذه غاية التطهير والرفعة، فلا مناص لنا إلا التقرب من الله بالصلاة عليه، وهل هناك توقير وإجلال أكثر من الصلاة عليه.

ودعوى أن المبالغة في حب رسول الله ﷺ وتوقيره قد يكون من مزالق الشرك فهذه فرية باطلة وشنشنة واهية، فمقام الألوهية ومقام العبودية جلي لا جلاء بعده. وهذا من عظمة التوحيد

في الإسلام، وتقدير وتثمين مكانة الرسول – صلى الله عليه وسلم – تتأتى من أنه العبد الخالص العبودية لله تبارك وتعالى، ولو كان هناك خلطاً يتأتى من ذلك، فالأحرى أن يكون في المواضع التي عطف فيها الرسول – صلى الله عليه وسلم – على الله في القرآن والآذان، ولقد مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – في حياته وبين يديه كثير من الناس بل عفى عن من أساء إليه وألقى عليه بردته حمايةً له، وأقر آخرين على مدحه ﷺ، فلو كان هناك ثمة شرك في ذلك لما توانى – عليه الصلاة والسلام – في تقريعه واستئصاله على الفور فمن أولى بمحو الضلالة والشرك من الرسول المصطفى، والصفي المجتبى، والشفيع المرتجى، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تدريب (5)

إن انتشار هذه الآثام يؤدي إلى التباغض والكراهية والشنئآن ويتطور ذلك إلى أحقاد اجتماعية تزعزع الثقة في النفوس، وتدفع إلى إيقاظ الفتن والحروب والثأر والانتقام، وإذا درج المجتمع على الظن والتجسس والتحسس تجافت عنه الإلفة والود والتراحم، واستغرق أفراده التربص والترقب والتدبير لبعضهم البعض، ولن تجد لمثل هذا أمناً أو قراراً واستقراراً ويتبع ذلك تدني الازدهار والرخاء والتقدم المنشود.

﴿ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾ فيه دلالة عظيمة على أن الظن إثم عظيم، وذنب كبير، ووباله وخيم، فإذا كان بعضه إثمٌ فما بال الكل، فهو كالسم الزعاف القليل منه مهلك، واليسير منه شر مستطير.

تدريب (6)

1. هذه المصطلحات متداخلة مع بعضها البعض تداخلاً عظيماً، فكثيراً ما يُعبر القرآن عن الإيمان بالإسلام، والإسلام بالإيمان، وأحياناً يفرّق بينهما، وخلاصة القول أن الإسلام إذا ما تمكن ورسخ في القلب واطمئن صاحبه إلى الدين واستشعر عظمته وتيقن أن فيه الخلاص في الدنيا والآخرة ازداد في التعلق به، فهذا هو المسلم الذي ارتقى إلى درجة الإيمان، ولم يكن إسلامه مجرد التسليم الظاهري الذي لا روح فيه ولا يقين ولا قناعة معه.

أما الإحسان فهو مرتبة متقدمة جداً، فهو مراقبة الله في كل صغيرة وكبيرة، واستشعاره والتوجه إليه بالكلية والانقطاع عن كل ما يُشغل عنه، ومما لا شك فيه أن المدخل والباب إلى كل ذلك هو الإسلام.

2. الأعراب: هم سكان البادية الذين تميزوا بالجفاء والغلظة والنفاق، أما العرب فهم أهل الحضر وأهل الاستقرار والاجتماع والإلفة الذين يرجى منهم الخير والالتزام بشرع الله والوقوف عند حدوده.

وقد روي عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه نهى بشدة من العودة إلى البادية بعد الاستقرار والتحضر؛ وقد بالغ بعضهم في ذلك وجعله من قبيل الردة.

مسرد المصطلحات

- **الفسق:** الإثم العظيم.
- **الأعراب:** البدو، سكان البادية من العرب ممن عرف عنهم الجلافة والغلظة والنفاق.

المراجع

1. ابن كثير، **أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر** ت (774هـ)، **تفسير القرءان العظيم**، الطبعة الأولى (1998م) دار الكلمة – مصر.
2. المحلى، **جلال الدين بن محمّد بن أحمد بن محمّد** ت (864هـ).
السيوطي، **جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر** ت (911هـ)، **تفسير الجلالين**، (2000م) مؤسسة زايد أبوظبي.
3. الشوكاني، **محمّد بن علي بن محمّد** ت (1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار المعرفة بيروت.
4. قطب، **سيد قطب، في ظلال القرآن**، الطبعة السابعة (1971م)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
5. حوّى، **سعيد حوّى، الأساس في التفسير**، الطبعة الأولى (1985م) دار السلام القاهرة.